جامعة تلمسان
معهد الثقافة الشعبية

سجل في 92/12/19
تحت رقم 031

مكتبة | ٣٠٦,٣٨

أصول المعتقدات الشعبية ومظاهرها

• في منطقة بلعباس •

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

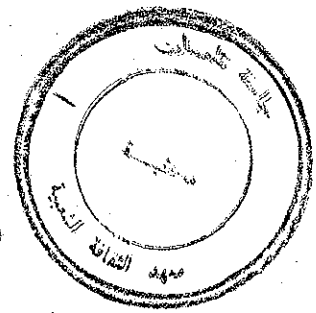

اعداد الطالب: كاملي بلخياط

اشراف الدكتورة: روزلين لبلي عريش

1992 - 1991

جامعة تلمسان
مدير فرعي للبحث
وما بعد التدرج
معهد الثقافة الشعبية

92/717

أعضاء المناقشة

د. ليلى روزلين قريش مشرفة

د. شايف عكاشة رئيسا

د. بشير بوبكرة عضوا

د. ابن عيسى محمد عضوا

الاهـــــــداء

الى والـــــدي العـــــزيـــــزيـــــن

الى زوجـــتـــي رفيقـــة الطـــريـــــــق

الى كل الذيـــن أحب٠ الذين يعطـــون الحيـــاة

ويشرقون وســـط ركام الظـــــــــلام

الى هؤلاء٠٠٠أهدي هذا العمـــــــل

مُقدمة

مقـــد مـــــــة

حظـــيت الثقافة الشعبيـــة في السنـــوات الأخيـــــرة باهتـــمام بالـــغ من قبـــل الباحـــثين نتيجـــة تطـــــور البحـــث العلمـــي و مناهج العلـــوم الانسانيـــة ، و صـــارت مختلـف المجتمـعات تـولي عنايـة بتراثهـا الشعبـي باعتبـاره صـورة صادقـة لروح شعبهـا .

و الجـزائر كغـيرها من البلـدان تتـوافر على تـــراث شعـبي ضخـم و متنـوع ، تشكـل المعتقـدات قسمـــا هـامـا منـه . و قـد اختـرت جـزءا من هـذا التراث الاعتقـادي ليكـون مـوضـوعا لـدراستي .

أقـصـد بالمعـتقـدات الشعبيـة ، تلك الطقـــوس والتصـورات والافكـار التي تـؤمـن بهـا الطبقـات الشعبيـة و التي تتـعلـق بكـل ما لـه صلـة بالجـانب الاعتقـادي من مـارسات و شعـائر أسطـوريـة و خـرافيـة كالطقـوس السحريـة ، و الاعتقـاد في عـالم الكائنـات الخفيـة كالجـن و الملائكـة و الغيـلان و الارواح و ما يـدور حـولهـا من معتقـدات و أفكـار ، و طقـوس تقديـس الاوليـاء .

ومن خصـائص هـذه المعتقـدات أنهـا خبيئـة فـي صـدور النـاس لا تتجـلى الا في مناسبات معينـة كالولائم والزيـارات و الافـراح و المآتـم ، و لـذا فهي تعـــد من أصـعـب أشكـال التعبيـر الشعبـي و أشقهـا في الدراســة

و البحث . وهي تنتقل من جيل الى آخر عن طريق الممارسة الفعلية أكثر من انتقالها عن طريق الرواية الشفوية . كما أنها ،في كثير من الاحيان ، تستلزم مراعاة عدد من الشروط و القواعد المعينة ، وخاصة المعتقدات السحرية ، لأنه بدون هذه الشروط يفقد المعتقد سنده الطقوسية .

ونؤكد في هذا الصدد أننا لم نتعرض لوجهة نظر المعتقد الديني الاسلامي ، لأن الهدف هو دراسة التصور الشعبي لهذه المعتقدات . كما أننا حاولنا أن نتوخى الموضوعية العلمية ، و نتجنب قدر الامكان الانزلاق الى نقد هذه المعتقدات أو الانتصار لها .

طبيعة الشواهد المستخدمة في هذا البحث :

سوف تجد في هذا البحث العديد من الشواهد و المعلومات الفولكلورية التي جاءت دون اسناد لأصحابها أو رواتها ، و السبب في ذلك هو أن الباحث نفسه يعد من أهل المنطقة و سكانها ، ومن ثمّ فهو يعد بمثابة الراوي لهذه المعتقدات ، فهو يرويها و يعيشها يوميا مع أهله و أصدقائه و جيرانه و أهل قريته . و السبب الثاني هو أن بعض الرواة ((الطُلْبة)) [1] في عرضنا للممارسات السحرية رفضوا رفضا مطلقا أن تذكر

---

1 — يطلق هذا الاسم على حفظة القرآن الكريم

أسماؤهم ،أو حتى يرمز لها ، وحفاظا على العهد الذي أخذناه معهم ، و تجنبا لأي اشكال آخر ، تجنبنا ذكر أسمائهم ،فكنا نشير الى النص أو المعتقد دون اسناد .

وهذا لا يعني أننا أغفلنا الرواية ،ولكننا كنا نشير من حين الى آخر الى تلك الروايات التي أخذناها عن غيرنا . و سوف يلاحظ أيضا أن شواهد هذه الرسالة تنقسم الى قسمين أساسيين :قسم مستمد من دراسات ميدانية و مشاهدات واقعية ، وقسم آخر مستمد من كتب التراث الشعبي و الدراسات الفولكلورية العربية منها و الأجنبية .

أسباب اختيار هذا الموضوع :

لقد كان اختياري لهذا الموضوع مبنيا على جملة من الاعتبارات نذكر منها :

1 ـ قلة الدراسات العربية الجزائرية في هذا الموضوع ،فأردت بذلك أن أضيف جهدا متواضعا نرجوا أن يكون قادرا على أن يضيف شيئا جديدا الى الدراسات التي سبقته في ميدان التراث الشعبي .

2 ـ انتشار هذه المعتقدات في جميع أنحاء البلاد الجزائرية بعامة و منطقة سيدي بلعباس بخاصة ، مما شجعني على خوض غمار هذا الميدان ، و دراسة آليات التفكير الشعبي عن طريق تحليل نماذج مختلفة من المعتقدات والتصورات .

3 ـ حاولت بهذه الدراسة أن أسرع الى جمع معتقداتنا الشعبية و تدوينها قبل أن تنطمس معالمها لانها أصبحت مهددة بالانقراض بفعل التغيرات والتحولات التي بدأ يعرفها المجتمع وخير مثال على ذلك طقوس الوشم التي أصبحت تزول تدريجيا ، وصارت عيبا اجتماعيا لا يليق بزينة المرأة وجمالها .

التصور المنهجي للبحث :

اعتمدت في هذه الدراسة على ما يلي :

1 ـ الدراسة الميدانية للمعتقدات الشعبية الموجودة بالمنطقة .
2 ـ تصنيف هذه المعتقدات والطقوس انطلاقا من موضوعاتها و أهدافها .
3 ـ تحليل لنماذج من هذه المعتقدات ، ومحاولة الوقوف على مصادرها الاولى .

و قد سمحت لي الدراسة الميدانية للاتصال بمختلف الفئات الشعبية و هي تمارس هذه الشعائر و الطقوس سواء عند الاضرحة ، أو في مواسم الاعياد والاحتفالات الدينية فبهذه الاتصالات والمشاهدات تمّ تسجيل المادة ، ثم تصنيفها تصنيفا يتماشى والخطة الاساسية لهذا البحث . وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تتخذ منهجين أساسيين :

الاول : المنهج الوصفي التحليلي ، وكان الغرض منه عرض هذه المعتقدات بطريقة أمينة كما تمارسها أو تعتقدها الفئات الشعبية . ومن مزايا هذا المنهج أنه ساعد على ابراز كيفية ممارسة هذه المعتقدات و الوقوف على مختلف جزئياتها .

الثاني : المنهج التاريخي ، اذ يرى الباحث أن دراسة هذه المعتقدات دراسة صحيحة تفرض علينا الرجوع الى أصولها الاولى

ونعني بالاصول الاولى هنا الاديان و الاساطير بشكلها البدائي القديم ، فمن تلك الشجرة تفرع الاعتقاد و تشابكت المعتقدات و الطقوس .

- وقد اعترضتني صعوبات في الدراسة الميدانية أذكرها في النقاط التالية :

1 - ان خصوصية هذا الميدان تتطلب جهدا جماعيا ، و بالتالي سوف يظل أي عمل فردي عاجزا عن جمع كل المعتقدات،وعليه فان ما جمعته سوف يظل بمثابة العينة الشاملة لمختلف أنماط المعتقد الشعبي ، في انتظار دراسات أخرى يقوم بها فريق من المختصين .

2 - لم يتعود سكان المنطقة على مثل هذا النوع من الدراسة مما جعل الاتصال بهم أمرا في غاية الصعوبة وخاصة في بداية مرحلة البحث .

3 - صعوبة التعرف الى الطقوس النسوية نتيجة التقاليد والعادات التي كانت تقف حائلا دون تمكني من ملاحظتها ملاحظة مباشرة .

4 - قلة المراجع المتخصصة في دراسة المعتقدات الشعبية العربية بعامة و الجزائرية بخاصة .

وقد اقتضت ضرورة هذه المناهج أن أقسم البحث الى أربعة أبواب ، بدأتها بتمهيد عام عرضت فيه لتاريخ المنطقة و سكانها .

الباب الاول :أولية الاعتقاد الشعبي ، ويشتمل على فصلين ،الاول تحت عنوان : الطقوس الأسطورية ، وقد تحدثت فيه عن نشأة الاعتقاد و بنية العقل البدائي ، ثم عن بعض مظاهر الفكر

الاسطوري و بنية العقل الشعبي ، كما تحدثت عن بعض المعتقدات ذات الاصول البدائية . و من أهداف هذا الفصل أنه كشف عن أوجه التشابه بين الفكر البدائي و الفكر الشعبي المعاصر . و تحدثت في الفصل الثاني عن الطقوس السحرية كامتداد للطقوس الاسطورية ، وقد رأيت أن الوشم بكل ما يحمله من أبعاد دلالية و سمات جمالية يعد من نتاج هذه المرحلة .

الباب الثاني : الكائنات الخفية و أثرها في تشكيل فلسفة المعتقدات الشعبية، و يشتمل على أربعة فصول :

— الفصل الاول : صورة الجن في المعتقد الشعبي ، وتحدثت فيه عن مختلف صور الجن كما ترسمها المخيلة الشعبية ، كما تعرضت لفكرة الزواج من السعالى ، وصرع الجن للانس وعلاجه ، ثم حاولت أن أقف على صورة الشيطان وابليس .

— الفصل الثاني : صورة الملائكة في المعتقد الشعبي ، أنواعها ، صفاتها ، الملائكة والانسان ، الملائكة و الطفل ، الملائكة وليلة القدر .

— الفصل الثالث : صورة الغول في المعتقد الشعبي ، صورته (شكله) ، نشأته ، معتقدات عامة حول الغيلان .

— الفصل الرابع : الأرواح و الأشباح في المعتقد الشعبي ، وفيه حديث عن أرواح الموتى ، والاخت و القرينة ، و كيفية تحضير الارواح و مخاطبتها

الباب الثالث : الممارسات السحرية ، و يشتمل على ثلاثة فصول

الفصل الاول : ظاهرة السحر ، وهو عرض تحليلي لمفهوم السحر و أنواعه و أقسامه . والهدف من هذا الفصل اعطاء صورة عامة عن السحر وبعض المفاهيم المتعلقة به كالكهانة والعرافة والتنجيم حتى يتمكن القارئ لهذه الرسالة من مقارنة السحر الشعبي بالسحر الرسمي أو (الاكاديمي) .

الفصل الثاني : أركان العملية السحرية ، وتنقسم الى ثلاثة أقسام هي : الكلمة السحرية و المادة السحرية و المشتغلون بالسحر .
الفصل الثالث : أغراض الممارسة السحرية الشعبية ، وتعرضت فيه لبعض الطقوس السحرية في ميادين مختلفة منها الحب والزواج والربيط و العين وكشف الكنوز و استطلاع الغيب .

الباب الرابع : الاولياء ، و يشتمل على فصلين :
الفصل الاول : تقديس الاولياء ، وتعرضت فيه لأصل الاعتقاد في الاولياء مع عرض مفصل لبعض الطقوس كالنذور والقرابين والزيارات والكرامات .
الفصل الثاني : نماذج من سير بعض أولياء المنطقة كما يرويها الناس، وبالخصوص سكان المنطقة التي بها الولي ، وهذا للوصول الى مصدر المعتقد .

واذا كان هناك من كلمة أخيرة أسوقها بين يدي هذا البحث فهي الاقرار بالفضل لذويه و أخص بالشكر الدكتورة روزلين ليلى قريش التي تحملت عبء الأشراف على هذا البحث ،فلم تبخل على صاحبه بتوجيهاتها و ملاحظاتها القيمة ، فكان لها الفضل في إتمام البحث على هذه الصورة . كما أتقدم بالشكر الى كافة الأصدقاء الذين أسهموا بمعلوماتهم و أرائهم السديدة فلهم جميعا أصدق عبارات التقدير و الاعتراف بالجميل .

والله الموفق

سيدي لحسن : 92/05/01

بلحاج كاملي

مَدخلُ

المعطيات الجغرافية والتاريخية لمنطقة سيدي بلعباس:

1- الموقع الجغرافي :

تتميز منطقة بلعباس بموقعها الاستراتيجي[1] الذي يربط بين الشمال والجنوب ،الشرق والغرب . وهي بهذا تعد مدخلا أساسيا لجميع أنحاء المنطقة الغربية . وتقع في الجزء الشمالي الغربي من البلاد الجزائرية ، تغطي مساحة تقدر بحوالي 9150،63 كلم^2 ، و يتراوح ارتفاعها ما بين 400 و 500 متر . تحدها من الشمال ولاية وهران ومن الجنوب ولاية النعامة والشريعة ، ومن الشرق معسكر و سعيدة ، و من الغرب تلمسان . و تتكون المنطقة ، حسب التقسيم الاداري الجديد (أفريل 1991 من أربع عشرة دائرة[2] ، كل منها تضم مجموعة من البلديات يبلغ عددها 52 بلدية . أما بالنسبة لمدينة سيدي بلعباس فهي مفتوحة و قابلة لتنمية منسجمة و متكاملة .

2 - التضاريس :

يتميز سطح المنطقة بتعدد السلاسل الجبلية[3] و اتساع السهول ، و فيما يلي أهم المظاهر التضاريسية :

---

1 - ينظر الشكل رقم : 1 ص: 242

2 - ينظر الشكل رقم : 2 ص : 243

3 - ينظر الشكل رقم : 3 ص : 244

أ - جبال تسالة في الشمال الغربي ، وهي بمثابة المؤشر للحالة الجوية .

ب - جبال بني شقران ،وتمتد من الشرق الى الغرب، و تتميز بغاباتها الشاسعة ،و خاصة شمال سفيزف (غابة القطارنية) ، و رطوبة هوائها الوافد من الشمال .

تشكل هاتين السلسلتين حاجزا بالنسبة للتيار الهوائي الآتي من الشمال ، مما يجعل المنطقة شديدة الحرارة صيفا .

ج - جبال الضاية ، و تقع بين جبال تلمسان من الناحية الغربية الجنوبية ، و جبال سعيدة من الناحية الشرقية

د - سهل مدينة بلعباس ، و يبلغ طوله أكثر من 70 كلم ، بين ابن باديس و سفيزف ، و يعرف بخصوبة تربته و مياهه الجوفية الوفيرة .

والواقع أن هذه السلسلة من التضاريس جعلت المنطقة تنقسم الى قسمين أساسين هما :

1 - القسم الشمالي و يضم مدينة سيدي بلعباس وتلاغ وابن باديس و سفيزف وما جاورهما من القرى يتميز سكان هذا القسم من حيث أنهم ينتمون في طرق تفكيرهم و تصوراتهم و معتقداتهم الى القسم الشمالي من سكان الغرب الجزائري

2 - القسم الجنوبي و يشمل رأس الماء وسيدي شعيب و مرجوم وبئر الحمام ، و هو عبارة عن منطقة رعوية ، يعتمد سكانها على الحياة البدوية البسيطة كتربية المواشي والابقار ، كما تنتشر عند بعضهم بعض الصناعات التقليدية كصناعة النسيج (الزرابي) والحلفاء والطين، وقد تبين للباحث أن سكان هذه المناطق أقرب من حيث التصور و المعتقد ، من سكان المناطق الجنوبية الصحراوية (الهضاب العليا) .

3 - المناخ :

يتنوع مناخ المنطقة من جهة الى أخرى ، فهو في الشمال حار و جاف صيفا ، معتدل و ممطر شتاء. وفي الجنوب قاري شديد الحرارة صيفا - في النهار - و بارد في الشتاء - في الليل - ، ويعود هذا التباين الى عوامل كثيرة منها الموقع الجغرافي والتضاريس والضغط الجوي . أما متوسط الحرارة فيتراوح بين 16 و 28 درجة . وكثيرا ما يكون هذا المناخ مصحوبا برياح (السيروكو) التي تزيد حرارتها عن 40 درجة ، و تدوم 21 يوما بالمناطق الجنوبية و حوالي 15 يوما بالشمال .

4 - بنـاء المجتمـع الشعبـي :

تـذكر المصادر التاريخيـة أن البربـر[1] أول مـن سكن المنطقـة ، حيـث امتهنوا الزراعـة و أبدعـوا في طـرق ريّـها ، كما أنهـم أقاموا علاقات تجاريـة مع الفنيقيين و القرطاجيين[2] . ثم جاء من بعدهم الرومانيون واتخـذوا من جبـال تسالـة و منطقـة سيدى علـي بـن يـوب مـواقعـا لهـم[3]

وتعـد قبيـلة بنـى عامـر بن زغبـة بـن أبي ربيعـة بن ناهيـك بـن هـلال أول قبيلـة عربيـة سكنـت المنطقـة، ذكـر ابن خلـدون قـولـه :((... وأما بنـو عامـر بن زغبـة فمواطنهـم في آخـر مواطـن زغبـة من المغرب الاوسـط قبـلـة تلمسـان مما يلـي المعقـل ، وكانـت مواطنهـم من قبـل ذلك في آخرهـا ممـا يلـي المشـرق))[4]. أمـا عـن سبـب مجيئهـم ،فقـد ذكـر المؤلـف ، أنـه عنـدما أراد "يغمـراسن" أن يقـاوم فسـاد عرب المعقـل نقـل بنـى عامـر قبلـة تلمسـان ليتـولـوا ذلك ، فاستقـروا بهـا و كانـوا يرحـلون الى قفارهـا في الشتـاء و يعودون الى التلـول في الصيـف[5]

---

1 - M.D.-Le Tessala et ses ruines - Revue Africaine 1857 - 58 n° 2 . P.83.

2 - Léon Adoue-la ville de Sidi-Bel-Abbès P.5.

3 - A.Berbrugger - Sidi Ali Benyoub - Revue Africaine 1857 -58 n°2.P.81et suivante

4 - كتاب العبـر - بيروت 1979 - 6/ 51

5 - ينظـر - كتاب العبر - 6/ 51

ولما ملك أبو حمو موسى بن يوسف الزياني في حدود نيف و ستين من القرن الثامن[1] نقلهم من ضواحي تلمسان القبلية الى جبال تاسالة بمنطقة سيدي بلعباس[2]، وكانت لهم اتصالات بمناطق أخرى مجاورة كوهران و مازونة . ومما سجله التاريخ على بني عامر مساعدتهم للاسبانيين ووقوفهم الى جانبهم ، بل و كاد بعضهم أن يتبع ملتهم وكان ((العامري يقبّل يد اليهودي ،فضلا عن النصراني - من الجهتين - تشريفا له ،و أنهم تصاهروا مع اليهود والاسبانيين فلا ترى الا العامرية في بيت الكافر تجول و أهلها في غاية الفرح))[3] ،وفي ذلك أيضا يقول أبو عثمان سيدى سعيد :

فمن مبلغ عني قبائل عامر ولا سيما من قد ثوى تحت كافر[4]

ويقال أنهم تخلوا عن مساعدة الاسبانيين عندما اتصل بهم باي معسكر ، وراح يذكرهم بعروبتهم وشخصيتهم الاسلامية[5] .

ومن بطون قبيلة بني عامر بالمنطقة نذكر ما يلي :

---

1 - الموافق لنيف و ستين من القرن الرابع عشر الميلادي .

2 - ينظر - عبد القادر المشرفي الجزائري - بهجة الناظر-دم-د س- ص: 25

3 - المرجع السابق - ص: 30

4 - م . ن - ص: 32

5 - Léon Adoue - La ville de Sidi-Bel-Abbès P.11 et suivantes.

- أولاد سيدي بـراهيـم ، و سكنـوا الناحيـة الغربيـة للمدينـة (1) حيث انتشـروا في مناطـق كثيـرة ،وقـد تميـزت هذه القبيلـة بضخامـة عدد أفـرادهـا ،الذيـن عرفـوا بالشجاعـة والكرم ، وغيرها من صفـات العرب كالابـاء و الغيرة ، ممـا ساعدهـم على الوقـوف فـي وجـه المستعمريـن .

- أولاد سليـمان ،و ينقسـمون الى قسميـن : قسـم ينتسـب الى سليمـان بن براهيم بن عامـر (780هـ - 1378م) انتقـل هـذا القسـم مـن جبـال عمـور الى ملغيـغ ، ومنـه الى منطقـة بلعبـاس على حافتـي واد مكـرة حيـث الاراضـي الخصبـة و الميـاه المتدفقـة ، وهـم يستقـرون اليـوم بقـرية مصطفى بن براهيـم . و قسـم ينتسـب الى أولاد سليـمان (الاولياء مهاجـة) الوافـدين من الساقيـة الحمـراء ، و يقـال أنهـم منحـدرون مـن ثـلاثـة أخـوة: يـوب و ميمـون و مهاجـي ،وكلهـم عرفـوا بالتقـوى و الزهـد ، فنالـوا مكـانـة دينيـة عاليـة (2) .

- الحـجـز : و انتشـروا بالشمـال الشرقـي لـواد ،مكـرة بعـد أن هجـموا على قبيلـة أولاد عبد اللـه و انتصـروا عليهـا ،فانتقـلـت هذه الاخيـرة الى سهـول مـلاتـة بحـمام بوحجـر . وقد كـانت لهـم عـلاقات كثيـرة مـع بنـي زيـان بنـواحـي تلمسـان ،فكـانوا لهـم سنـدا ضـد بنـي مريـن . وظلـوا ينتقـلـون من الجنـوب الى الشمـال الى أن استقـروا بالمنطـقـة سنـة 1698م (3)

---

1 -- ينظـر الشكل رقم : 4 ص: 245

2 — Léon Bastide - Bel-Abbès et son arrondissement P. 184.

3_ Ibd .P.210.

و هناك بطون أخرى ،منها الحساسنة و حميان والسعارنة وقد عرفت المنطقة أيضا مجموعات بشرية مختلفة في أثناء الاحتلال الفرنسي لها ، منها ٠٠الاسرائيليين الذين تزايد عددهم مع مرور الايام كي يبلغ خمسة آلاف اسرائيليا(1) كما أنها عرفت بعد الاستقلال مجموعات أخرى من داخل الوطن ، من تلمسان و ندرومة و معسكر و تيارت ووهران ومن خارجه كفرنسا و المغرب ٠مما جعل المنطقة اليوم ، خليطا من القبائل و الاعراش لا تمتلك شخصية معينة لها سماتها و خصائصها ، كما هو الحال بالنسبة لمناطق أخرى في الوطن كتلمسان و ندرومة٠

و اذا رجعنا الى الاحصائيات الأخيرة لسنة 1988/1987 نجد أن عدد سكان المنطقة قد بلغ 444047 نسمة منها 157745 نسمة في مدينة بلعباس وحدها ٠كما نجد أن نسبة الشباب الذين لم تتجاوز أعمارهم 34 سنة يشكلون 76،56٪ من مجموع السكان ، مما يدل على أن المجتمع البلعباسي يعرف الآن تحولات عميقة على مستوى الافكار و التصورات نتيجة حداثته و دخوله مرحلة جديدة من حياته الاقتصادية٠(2)

---

1 - ينظر G.Despois, Géographie de l'afrique du nord p.104

2 - دخلت المنطقة في حدود السبعينات مرحلة جديدة من حياتها الاقتصادية ، حيث أنشئت بها عدة مصانع ، أكبرها المركب الالكتروني لصناعة أجهزة التلفزيون ٠

5- الاحتلال الفرنسي للمنطقة :

من أهم أسباب اهتمام المستعمرين بالمنطقة، موقعها الجغرافي المتميز ، فهي تعد همزة وصل بين مختلف المناطق الغربية ، حيث كانت بمثابة المركز العسكري لمراقبة مختلف نشاطات الامير عبد القادر و قبائل بني عامر[1] .

ويعد المارشال (كلوزال Clauzel) أول قائد عسكري زار المنطقة سنة 1835 ،ومنذ ذلك الحين ظلت المنطقة تحت المراقبة العسكرية الى سنة 1842 حيث نزلت بها قوات عسكرية بقيادة الجنرال (بودو Budau)[2] و أمام هذا الوضع الخطير أمر الامير عبد القادر قبائل بني عامر الى الهجرة و الرحيل نحو المغرب فاستجابت لهذا الامر قبيلة الحجز و غيرها من القبائل الوهرانية مثل الحشم و الاجواد ، و نزلوا بدائرة الحمام عبد القادر بالقرب من واد ملوية . و انتقل بنو عامر بعد ذلك الى ناحية فاس ، فأقطعهم المولى عبد الرحمان بعض الرقاع من الاراضي بغية التوصل الى استطلاع نهم النهائي ، لأنه كان يعارض عزمهم على الرجوع الى أوطانهم ، غير أن القوم أبوا الا أن يعودوا الى بلادهم ،وكان هذا سنة 1848[3]، و في

---

1 - لقد كان لقبيلة بني عامر دور بارز في المقاومات الشعبية، وكانت أولها تحت قيادة الامير عبد القادر من 1830 الى 1847 ، ثم القادة المحليين من 1848 الى 1854، و قبيلة أولاد سيدي الشيخ 1854 الى 1862 . ينظر - دفاتر الارشيف لولاية س.بلعباس رقم 3 - مديرية المخطوطات لولاية س. بلعباس - ص: 12

2- Léon Bastide - Bel-Abbès et son arrondissement P. 21.

3 - Ibd P. 211.

ذلك قال شاعرهم مصطفى بن براهيم[1]:

سلطان خانهم وخدعهم ذوك الاجواد ... على احكام عبده ولد المصانعة
قالوا حرام تبقى معيرة للولاد ... الموت كاينة ولا هذا المهانة
ساقوا وعدوا بالرحلة شور البلاد ... بدعوا الشر قالوا نغدوا بعنانا
وقال: جلابة في بلعباس و العز معها ... خير م القيادة فى فاس والذل معها[2]

6 - تاريخ نشوء مدينة سيدى بلعباس:

بعد هجرة قبائل بنى عامر الى المغرب ، صارت المنطقة فارغة تشبه الصحراء ، الا ست تلك الحصون العسكرية التى بناها الفرنسيون وحين ذاك جاءت فكرة بناء المدينة من طرف (لاموريسيار Lamoricière حيث كتب هذا الاخير تقريرا الى الرئيس العام يطلب منه الموافقة على بناء المدينة ،يقول فيه :

((ان سيدي بلعباس مركز عسكري استراتيجي ، و ذلك لموقعها الجغرافي المتميز ، فهي نقطة وصل بين جميع المناطق الاخرى كالصحراء و تلمسان و معسكر و وهران ... وأيضا لما تمتلكه من سهول خصبة و مياه جوفية تساعد على قيام مدينة أوربية راقية ...)) [3].

وفي سنة 1847 جاءت الموافقة على الطلب ، وكان " لاموريسيار " و" بيجو " من أوائل المؤسسين لمدينة سيدي بلعباس . وفي يوم 19 فبراير 1847 تكونت

---

1 - عبد القادر عزة - مصطفى بن براهيم - الجزائر - د س - 234 وما بعدها
2 - المرجع السابق - ص. 17
3- Léon Adoue-la ville de Sidi-Bel-Abbès-P.23.

لجنة من خمسة أعضاء لمتابعة أشغال بناء المدينة وهم :[1]

1 - بريدون	Prudon	رئيسا
2 - سينورينو	Signorino	أعضاء
3 - كامي	Camis	
4 - اشاكر	Eichacker	
5 - فرانس بريجات	Francy- Brégeat	كاتبا

وشيئا فشيئا بنيت المدينة ، و أطلق عليها الفرنسيون اسم ((Sidi bel Abbes petit poste))

ولما استقلت الجزائر ،أصبحت مدينة بلعباس موطنا لكثير من العائلات الجزائرية . و هي الآن تعرف توسعا عمرانيا كبيرا نتيجة انتشار الشبكة الصناعية بها .

---

1 - Léon Bastide - Bel -Abbès et son arrondissement P. 25 - et Léon Adou P.23.

الباب الاول

أولية الاعتقاد الشعبي ومصادره

- الفصل الاول : الطقوس الاسطورية
- الفصل الثاني : الطقوس السحرية

إن أول ما يلاحظه الباحث في دراسته لبنية العقل الشعبي هو ذلك التراكم الفولكلوري الضخم الذى يعتبر مصدرا هاما لتصورات الإنسان ومعتقداته . ولذلك سنحاول في هذا الباب الوقوف على نشأة مختلف مظاهر الإعتقاد الشعبي وأصوله الأولى التي يستمد منها محتوياته ورموزه فعرضنا لأقدم هذه الأصول وهي : الطقوس الأسطورية التي كانت وليدة الفترة الأولى من التفكير الإنساني على وجه الأرض، فعرفنا الأسطورة وكشفنا عن علاقتها بالمعتقدات البدائية ثم ذكرنا مجموعة من معتقدات سكان منطقة بلعباس وخصوصا تلك التي يتجلى فيها بوضوح مظاهر الاعتقاد الأسطوري كبقايا تقديسهم للشمس والقمر والثور، وتشاؤمهم من بعض الكائنات كالغراب والبومة، ومعتقدات أخرى حول الموت والأموات .

ثم تأتي الطقوس السحرية امتدادا طبيعيا للطقوس الأسطورية، وهي بذلك تعبر عن مرحلة ثانية من تطور العقل البشري، فحاولنا أن نوضح علاقة الأسطورة بالسحر، كما عرضنا لبعض الطقوس السحرية البدائية التي لا تزال خيوطها عالقة بالتفكير الشعبي المعاصر، واعتبرنا الوشم مثالا لهذا النوع من الاعتقاد .

• الفصل الاول:

الطقوس الاسطورية

تعـــريف الاســـطـورة :

لقـد اختلـف الباحثـون و تبايـنـت آراؤهـم حـول تعريـف الاسطـورة[1] ، بـل إننـا نجـد الباحث نفـسـه في الأساطير يواجـه منذ البدايـة عالـما متناقـضـا لا يحـكمـه منطـق مطـرد ،وهـو يتـشكـل وفق ثنائيـة الخـير والـشـر الحـلـم والحقيقـة ،الواقـع والوهـم ،كـل شـيء ممكـن في عالـم الأسـطـورة مهما بـدا غريبـا في نظـر الباحـث ،كـل ذلك جعـل الأسـطـورة واقعـا ثقـافيـا معقـدا يصـعب في كثيـر مـن الأحـيان دراستـه .

لكـن الشـيء الذي اتفق عليـه هؤلاء ،هـو أن الأسطـورة تمثـل مرحلـة فكـريـة عاشتهـا جميـع الشعـوب ،إنـها ((ضـرب مـن الشعـر يسـمو علـى الشعـر بإعـلانـه عـن حقيقـة مـا ،ضـرب مـن التعليـل العقـلي يسمـو علـى التعليـل بأنـه يبغـي إحـداث الحقيقـة التي يعلـن عنـها ،ضـرب مـن الفعـل أو المسلكـة المراسميـة لا يجـد تحقيقـه بالفعـل نفسـه ،ولكـن عليـه أن يـوسـع شـكـلا شعـريـا مـن أشكـال الحقيقـة))[2] وهـكذا تتجـلى الأسطورة بـوصفها بـدايـة مغامـرة فكـريـة و شعريـة و معـاناة وجـوديـة ، تفـاعـل فيهـا السحـر بالديـن ،والشـعر بالطقـس ، فعبّـرت عـن قلـق الانسـان و تساؤلاتـه العديـدة ،فكـانت أول محاولـة لفهـم قـوى الطبيعـة التي حيـرت هذا الانسـان و هـو يحـاول تعليلهـا و تفسيـرها .

وضـمـن هـذه المغامـرة الاولى للعقـل البشـرى ،اعتقـد البـدائـي أنـه استـوعـب هذا العالـم وعـرف كيـف يخـضـعـه لنفسـه وارادتـه بواسطـة اسـتمـالـة آلهـتـه و قـواه الظاهـرة والباطنـة ،والتقـرب اليهـا بالقـرابيـن والنذور .

---

1 ـ هناك تعريفـات كثيرة للاسـطورة و أنواعـهـا ،ينظـر تفصيـل ذلك عند :
نبيـلـة ابـراهيم ـ الاسـطورة ـ بغـداد 1979 ـ ص: 9 ـ 10 ـ 29 وما بعدهـا
ك ك راثفيـن ـ الاسـطورة ـ تـر: جعفـر صادق الخليلي ـ بيـروت 1981 ص: 32

2 ـ هـ فـرانكفـورت وآخرون ـ ما قبل الفلسفة ـ تر: جبرا ابراهيم جبرا ـ 1980 ص: 19

لقد شعر الإنسان البدائي بالصراع بين الاشياء والظواهر فالظلام والجدب والموت أشياء تهدد حياته ،وتبعث في نفسه كوامن الخوف والقلق ،الليل عنده حيوان مفترس و وحش مهول فكه السفلي في الارض وفكه العلوي في السماء يتربص به في كل حين .(1) والمكان الخرب ترتع فيه الشياطين والعفاريت ،وتنعدم فيه أنوثة الحياة مصدر الولادة و العطاء، أما الموت فهو نصيبه في هذه الحياة وقدره المحتوم ،والخلود من نصيب الآلهة وحدها .(2)

هكذا بدا الظلام والجدب والموت عند البدائي ،فهي توحي بالزوال والإندثار ،ومن ثمّ صارت منبع كل الهواجس ومظاهر القلق والاضطراب .

أما النور والخصب والحياة فقد ظهرت في صورة مقابلة توحي برموز التواصل و البقاء ،مما جعلها تنال حظا كبيرا من الإجلال والتقديس ، هكذا بدا الوجود في صراع مستمر بين قوة الظلام و قوة النور ،قوة الخصب وقوة الجدب ،قوة الحياة وقوة الموت ،والانسان موزع بينهما وقد نال منه الخوف وشعر بالعجز يسرى اليه بخطوات بطيئة ،فلم يجد من حوله سوى تلك الاساطير و المعتقدات التى آمن بها ايمانا شديدا واعتبرها سلاحه الاقوى في مواجهة هذا الكون المخيف .

صحيح أن الأسطورة ((لا نصيب لها من النجاح في اعطاء الانسان قوة مادية أشد للسيطرة على البيئة ،لكنها مع ذلك تعطي الانسان وهم القدرة على فهم الكون ،وأنه فعلا يفهم الكون ،وهذا بالغ الأهمية . لكنه مجرد وهم بالطبع)) .(3)

---

1 ــ ينظر: فردريش فون ديرلاين ــ الحكاية الخرافية ــ تر: نبيلة ابراهيم ــ بيروت 1973 ص: 94

2 ــ ينظر: ملحمة كلكامش ــ تر: طه باقر ــ د م ــ د س ــ ص: 79

3 ــ كلود ليفي شتراوس ــ الاسطورة والمعنى ــ تر: صبحي حديدى ــ الدار البيضاء 1986 ص: 17 ،18

الأسطورة والدين [1] :

إنه من الصعب جدا الفصل بين الأسطورة والدين، كما أنه ليس من السهل أن نقرر أيهما أسبق ، فقد بدت الأسطورة عالقة بالدين ، وظهر الدين ملفوفا بطابع أسطوري ، وهذا التداخل هو الذي يسبب صعوبة التفريق بينهما . لقد أضحت الاسطورة في بداية ميلادها الأول استجابة دينية متصلة بالطقوس والشعائر ، فهي تمثل ((الجزء القولي المصاحب للطقوس البدائية)) [2] يتم أداؤه داخل المعبد أو أمام المذبح . وهكذا نشأت الاسطورة في أحضان ميلاد الممارسة الطقوسية ، فكانت تعبيرا قوليا عما يمارس عمليا داخل الكهوف والمعابد وخارجهما ، حيث وقفت الأسطورة على مستوى المنطوق المصاحب للعمل الديني ، وأضحت تشكل مع الطقس جوّا دينيا يبعث على الخشوع والرهبة . واذا كانت الأسطورة تمثل عنصرا ملحميا في الحياة الدينية ، فان الطقوس تمثل عنصرا دراميا فيها . [3]

يتضح لنا مما سبق ذكره ، أن الاسطورة ما هي إلا استجابة لنزعة دينية وتأملية ، فسر الانسان بواسطتها مواقفه الدينية و تصوراته الفكرية ، فهي بمثابة خلاصة لتجربة روحية ومعاناة فكرية شرح فيها الانسان الأول ما اعترضه من حالات مختلفة في عالمه المخيف الملئ بالأسرار ، كما أنها كلمته التي فسر بها المظاهر الطبيعية غير أن هذه الكلمة صيغت بطريقة و تمثيلات صوفية و وجدانية [4] تخلو من قانون السببية و مبدأ العلية .

---

1 ـ نقصد بالدين هنا هو تلك المعتقدات والطقوس البدائية .

2 ـ شكري محمد عياد ـ البطل في الادب والاساطير ـ القاهرة 1971 ص: 85

3 ـ ينظر: ارنست كاسيرر ـ الدولة والاسطورة ـ تر: أحمد حمدي محمود ـ القاهرة 1975 ص: 48

4 ـ ينظر: كلود ليفي شتراوس ـ الاسطورة والمعنى ـ تر: صبحي حديدي ـ الدار البيضاء 1986 ص: 16

ومهما قيل عن الاسطورة ،فإنها سوف تظل بمثابة الحقل الخصب لانضاج الاعتقاد الشعبي الزاخر برموزه و دلالاته . و سيظل النص الاسطوري الي جانب ذلك يقترح شبكة رمزية من الدلالات و التصورات لا تفهم الا بمقتضى جمع عناصره المؤلفة له .

وأخيرا نشير أن مفهوم الاسطورة في هذا البحث لا يختلف عما ذكرناه سابقا من حيث أنها تمثل جزءا هاما من المعتقدات البدائية و الشعبية على حد سواء ، ويطلق الباحثون على هذا النوع من الاساطير اسم ((أسطورة الطقس)) (1).

نشأة الاعتقاد وبنية العقل البدائي :

يتميز الانسان البدائي بعالمه الخاص وحياته الخاصة ،فنحن لا نستطيع النفاذ إليها ،ولا تستطيع تصوراتنا الفكرية الاحاطة بها ، ذلك أن عقليته الغيبية و الأسطورية تدعوه أبدا الى الاعتقاد بأن العالم المرئي و العالم الغيبي لا يكونان إلا شيئا واحدا ،والكائنات الخفية لا تنفصل عن الكائنات المرئية ،ولذلك فهي تشغله أكثر من غيرها وتصرف عقله عن التبصر و التفكير فيما نسميه نحن بالمدركات الموضوعية و لو الى حد يسير .(2)

كل هذا جعل الحياة عنده مفعمة بالأسرار والمعاني الغريبة ،فهي تدعوه الى الاعتقاد فيما هو غيبي و مجهول . إن هذا الاحساس العميق بروحانية الاشياء جعل العقلية البدائية مشمولة بمواقف غريبة تنمحي فيها الذات ،وتذوب في حضرة المظاهر الطبيعية المسكونة بالارواح .

1 - ينظر: تفصيل ذلك عند : صموئيل هنرى هووك - منعطف المخيلة البشرية - تر: صبحي حديدى سورية 1983 ص9 وما بعدها

2 - ينظر: ليفي برايل - العقلية البدائية - تر: محمد القصاص - مصر - د. س. - ص: 53

فمنذ أن واجه الانسان هذه الحياة وهو يبحث عن تلك القوة الخفية الكامنة في هذا الوجود المحركة لعناصره ،فحاول من خلال تفكيره الاسطوري واعتقاده الغيبي أن يستكشف تلك القوة ،غير أنه كان عاجزا على أن يجمع هذه القوة كلها في كائن واحد . ومن ثمّ كانت لكل ظاهرة طبيعية قوة متحكمة فيها أو إلهه مسيطر عليها ،مما أدى الى تلك الكثرة من الآلهة التي عبدها الناس وتقربوا اليها بحياة أبنائهم حينا وبالعطايا أحيانا كثيرة .(1)

إن تعلق البدائي بهذا النوع من التفكير ،جعله يعتقد بنظام ثنائي للحياة فالطبيعة ((قوة سرية مفيدة و مدمرة معا ،جذابة و مرعبة ،نافعة للصحة و مميتة و باختصار لها كل ازدواجية "المقدس" و هي في النهاية لغز معمّاة))(2) ومن هنا أخذت تنتاب الانسان أشواق الأمل والبقاء ،وخيبة اليأس والفناء ،فبدأ يشعر بالاغتراب الروحي و أحس بضرورة الشعائر و الطقوس بوصفها ضمانا لتواصل الحياة و تجددها وبالتالي انقاذها من الموت و الاندثار .

لقد كان البدائيون يعتقدون ((أن العالم مهدد ،دوريا ، بالتدمير والخراب ،بسبب تأكل الزمن " نوع من القصور الحراري " . فتوجب لإيقاف سيرورة هذا التدمير خلق الكون ،دوريا ،من جديد بواسطة طقوس و شعائر خاصة ،تتلخص في تكرار أعمال الخلق))(3) و أول هذه الدورات هي دورة الليل والنهار ،فكل غروب كان يحمل معه تهديدا و ضياعا وبشارة فناء ،وكان الإنسان يترقب طلوع الشمس وهو يخاطبها بتراتيله قائلا :

---

1 - ينظر تفصيل ذلك في : Edith Hamilton - La mythologie.P. 17 et suivantes.

2- هيرقة روسّو - الديانات - تر: مشي شماس - د م - د س - ص: 20

3 - المرجع السابق ص: 70

((يَا رُوحَ الشَّمْسِ ..إِسْتَيْقِظْ لِسَلَامْ ..
أَنْتَ يَا ذَا النُّورِ الْمُضِيءِ الظَّاهِرِ ..
إِنَّكَ أَنْتَ الذِي تُشْرِقُ عَلَى كُلِّ مَكَانٍ بِنُورِكَ
وَنُورِ عَجَلَةِ النَّارِ التِي تَرْكَبُهَا
لَا تَغْضَبْ عَلَيْنَا وَتَنْزِلْ بِنَا نِقْمَتَكَ
إِظْهَرْ فِي سَلَامْ ..
يَا حَسَنَ الْوَجْهِ
يَا رَبَّ الْأَشِعَّةِ
يَا خَالِقَ النُّورِ)) .(1)

فالشمس هنا تعني ميلاد حياة جديدة ،لأن غيابها يرمز الى غضب الإله وبالتالي الى العذاب و الموت و نزول النقمة . والنص عبارة عن طقس أسطوري فيه تضرع و تقديس لهذه الروح المتحكمة في الاشراق . وقد كان فرعون عند كل فجر ،يقيم شعائر الشمس المشرقة ،و كأنه يساعدها على التحرر من قبضة الأموات (2) .

ثم تأتي دورة الفصول فتتعاقب الأزمنة ،و يغدو العالم ميتا خلال فصل الشتاء ،فيسارع الانسان الى الطقوس التي من شأنها أن تعيد له الحياة ،كالرقص الشعائري في البساتين و الحقول في فصل الربيع ،وهذا لكي ينمو الزرع و يتلقح وتخصب الطبيعة . بهذه الطقوس كان البدائيون يعتقدون أنهم أعادوا خلق الحياة من جديد .

---

1 - سليمان مظهر - قصة الديانات - د.م - د.س "من المقدمة"

2- Sylvia Bates- religions du monde P.154.

وهكذا فان موت الطبيعة وحياتها ،في اعتقاد الانسان البدائي، جزء لا يتجزأ من موته وحياته ،فموت الطبيعة تهديد له و لحياته كما أن في حياتها ،حياة له ولأفراد عشيرته . من ثمّ فهما معا في حاجة الى تجديد حياتهما عن طريق إقامة مواكب طقوسية ومراسيم شعائرية سنوية ،تسمح بإعادة الخلق ،إذ بواسطة هذه الطقوس يعتقد الإنسان أنه يتصل بالزمن الأولي ،زمن الخلق ، وبالتالي فهو يعيد للطبيعة خصبها وللإنسانية شبابها . وعلى هذا لم يكن تكرار تلك الطقوس والشعائر مجرد فعل آلي روتيني عند الانسان البدائي ، بل هو إعادة حقيقة للحياة[1] .

من دلائل رغبة الانسان البدائي في إخضاع هذا الكون لإرادته أنه ترك بصمة يديه داخل الكهوف و المعابد كرمز لقوته وامتلاكه له . كما أنه جعل من الرسومات الجدارية وسيلة لفرض قوته على الكائنات ،فكان يظن أنه إذا نقش رسما لحيوان معين ،اكتسب قوة المواجهة والسيطرة عليه ،و أنه نجح في اقتناصه ،ذلك أن ((صورة الحيوان ،ليست قطعة منفصلة ،إنها تجلب دائما معها الانفعالات و الايحاءات الذهنية المشتركة التي يوحيها حضور الحيوان بذاته))[2] .

و مما لا شك فيه أن البدائيين قد أضفوا على هذه الرسومات معان إعتقادية ،وأبدعوا حولها الأساطير و الخرافات

نظر – هيرقة روسو – الديانات – تر: متري شماس – ص: 53

هربرت ريد – الفن و المجتمع – تر: فارس متري ضاهر – بيروت – 1975 – ص: 59

وجعلوها تعبيرا عن تصوراتهم و أفكارهم . و الملاحظ أن هذه الرسومات في معظمها أشكال حيوانية ، مما يؤكد أنه كان للحيوان أثر واضح في حياتهم الاعتقادية . فهم يقدسونه سواء أكان حيا أم ميتا كما أنهم يطلبون منه العفو والسماح اذا اقتضت الضرورة صيده وقتله . فقد كان الهندي يخاطب جواده و كأنه كائن مقدس، وكان بعضهم يتجنب الثعبان المجلجل و يخشى نقمة روحه عليه (1) . وكان البدائيون يعتقدون أن الأرواح تعود على شكل حيوان له أثره في خصوبة الأرض (2) .

ومن المعتقدات الأسطورية التي كانت شائعة بين قدماء المصريين أنهم كانوا يرون في السماء بقرة كبيرة تعتمد على قوائمها الاربع التي تمثل دعائم السماء ، وفيها يجري قارب يحمل شمس الصباح ، كما رأوا فيها امرأة تحل محل البقرة أحيانا تنحني بجسمها المديد فوق الارض و تعتمد على ذراعيها و ساقيها التي تحل محل قوائم البقرة ، و رأوا في الشمس حيوانا وقرصا مجنحا ، كما اعتبروا السماء أنثى و الارض ذكرا مستلقيا على بطنه أو ظهره ، تنمو النباتات فوقه (3) .

و آمن البابليون أن الناس بعد موتهم يذهبون الى مكان مظلم في جوف الارض سموه " أرالو " تقيد فيه أيادي الموتى و أرجلهم أبد الدهر ، و هم يعانون من العقاب و شدة البرد ، واذا لم يبادر أبناؤهم و أقرباؤهم بوضع الطعام لهم فوق قبورهم ، في أوقات معينة ، فسوف يجوعون و يظمأون ، و كانوا يعتقدون أن الميت الذي لا تتم مراسيم دفنه كما ينبغي ، يعود و يسبب

---

1 - ينظر - طه الهاشمي - تاريخ الاديان و فلسفتها - بيروت - 1963 ص 67

2 - ينظر - نعيم قداح - حضارة الاسلام و حضارة اوربا في افريقيا الغربية - الجزائر - د . س . ص 7

3 - ينظر - سليمان مظهر - أساطير من الشرق - د . م - د . س - ص 15 و ما بعدها (أسطورة أبو الآلهة)

العـــذاب للأحيـــاء (1) .

وكـان أهـل سـومـر يحـرصـون على تـزويـد الميت بحاجيـاتـه الشخـصيـة سـواء بلـفهـا مـع الجثـة أو وضعهـا داخـل القبـر ، واعتقـدوا أن الميت يقـوم بـرحلـة الى العالـم السفـلي ، ولذا كانـوا يضـعون عند قبـره قاربـا صغيـرا يُعتقـد أنـه وسيلتـه في هـذه الرحلـة (2) . وهـو ما كـان يعتقـده أيضـا الجـاهليـون، إذ كـانوا يعقـرون النوق بجانب القبـور لأنـها وسيلـة رحلتهـم في عـالـم ما بعـد المـوت (3) .

وكـان الصينيـون في عصـر ما قبـل التاريـخ يعتقـدون في قسميـن من الآلهـة : الآلهـة السمـاويـة ، وهـي رمـز الخيـر و الخصـوبة . وآلهـة العالـم السفـلي التي تعيـش تحـت الارض ، و هـي رمـز الظـلام والموت و الشـر ، وكـانـت طقـوسـهـم لها تتـم ليـلا في الامـاكـن المظـلمـة (4) .

وفـي الخـلاصـة ، يمكـن القـول ، أن البدائييـن قـد ابتعـدوا في طريقـة تفكيـرهـم عـن الاستـدلال العقـلي والتـعليـل المنطقـي ، فـكـانـوا أقـرب الى الاعتقـاد بمـا تـوحيـه لهـم تصـوراتهـم الاسطـوريـة .

تلـك هـي بعـض الطقـوس التـي آمـن بها الانسـان البـدائـي ، واستمـرت مـن بعـده مخـلفة تـراكمـا فـولكـلوريـا ضخـما وبنيـة ذهنيـة معينـة . فهـل كان لهـذه المعتقـدات أثـر في التفكيـر والاعتقـاد الشعبـي الجزائـري المعـاصـر ، وهـل لازالـت الطبقـات الشعبيـة بمنطـقـة بلعـبـاس تعتقـد بمثـل مـا كان يعتقـد بـه البـدائيـون ؟

---

1 ـ ينظـر ـ سليمان مظهر ـ قصـة الديانات ـ ص 42

2 ـ ينظر ـ المرجع السابق ص 40

3 ـ ينظر ـ جواد علي ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ـ بيروت 1980 ـ 133/6

4 ـ ينظر ـ رالف لنتون ـ شجرة الحضارة ـ تر: أحمد فخري ـ القاهرة ـ د . س ـ 234/3 ومابعدها

التفكير الاسطوري وبنية العقل الشعبي :

إن الدارس لمختلف أشكال التعبير الشعبي في الجزائر يدرك مدى تغلغل الفكر الاسطوري في الوعي الجزائري بعامة ، والبنية الذهنية الشعبية بخاصة ، حيث أصبح هذا الفكر يشكل مصدرا هاما لكثير من معتقداتها وتصوراتها وابداعاتها الفنية .

لقد أثبتت الدراسات التاريخية أن من أشهر الطقوس الاسطورية التي عرفتها الجزائر ، عبادة الشمس والقمر - وهما من معبودات المصريين القدماء - وعبادة بعض الحيوانات مثل القرد والثور والكبش والتيس . فقد وجد بجبل بني راشد [1] تمثال يدعي "أتون" كان الناس آنذاك يتخذونه إلها ، وهو في صورة تيس على رأسه دائرة شمس . وكان الجزائريون أيضا يعظمون العيون والأشجار والجبال ، ويحترمون الأموات ، ويتقربون إليهم بالطقوس والقرابين ، ويشيدون لهم القبور الضخمة اعتقادا منهم أن ذلك يحفظ لهم مكانتهم وهيبتهم بعد موتهم . [2]

ومن أهم ما يميز هذه المعتقدات أن كانت انعكاسا لتصورات الناس حول الحياة والموت والكون . ومما لا شك فيه أن الجزائر كانت موطنا للعديد من الأجناس البشرية والطقوس الاسطورية التي انساحت إليها منذ زمن بعيد من الشرق والغرب ، مما أدى الى تراكم فولكلوري ضخم ، متناقض الأصول ومتداخل الالوان ،

---

1 - ينظر - مبارك الميلي - تاريخ الجزائر في القديم والحديث - الجزائر 1976 ص: 74

2 - ينظر - المرجع السابق ص: 74 وما بعدها

فعن طريق اليهود والنصارى عرف العرب كثيرا من القصص التوراتية والمعتقدات الشعبية ولاسيما تلك المتعلقة بالانبياء والسحر والكهنة والجن .[1] ومما لاشك فيه أنه كان للجزائريين نصيب من هذه الافكار والتصورات لكنه من الصعب جدا الوقوف عند جميع هذه المعتقدات لقلة مصادرها وكثرة غموضها وتناقضها ،لكن هذا لايمنع من ذكر بعضها وخصوصا تلك التي لاتزال بقاياها ،وبدرجات متفاوتة ،عالقة بالتفكير الشعبي بمنطقة بلعباس ،ومقارنتها بغيرها من الطقوس الشعبية العربية والعالمية .

بقايا معتقدات تقديس الشمس :

ذكرنا فيما سبق أن الجزائريين قد عبدوا الشمس واتخذوها إلهاً . ومن بقاياً هذا الاعتقاد ما يقوم به الطفل حينما تسقط سنّه ، فهو يأخذها ويتوجه بها نحو الشمس قائلا :

((أَعْطَيْتَكْ فَضَة ،أَعْطِينِي ذَهَبْ))

أو ((أَعْطَيْتَكْ سْنْ حْمَارْ أَعْطِينِي سْنْ غْزَالْ))

فالشمس في هذا المعتقد هي الاله الذي يمنح الاشياء الثمينة في مقابل الاشياء الزهيدة ،ولذا وجب التوسل اليها والتقرب منها . كما أنه بين ((الشمس والغزال صلة دينية وثيقة ، فهما شيء واحد أو صورتان لمعنى واحد معبود هو معنى الامومة)) .[2]

والي جانب ذلك فهذا المعتقد يبرز تلك النظرة الشعبية التي تقسم هذا الوجود الى عالم سفلي يحتوي على الاشياء التي لا قيمة لها وعالم علوي فيه

---

1 ــ ينظر تفصيل ذلك في : الاب جرجس داود داود ــ أديان العرب قبل الاسلام ــ بيروت 1981 ص: 79 ،220 وما بعدها

2 ــ علي البطل ــ الصورة في الشعر العربي ــ د م ــ 1981 ص: 70

الاشياء الثمينة . هكذا بدت السماء في المعتقد الشعبي موطن الجمال ،و مكان إقامة الآلهة ، تشير الى الواقع المطلق الذي لا يصله الانسان الا بالصلوات و الشعائر الدينية ، عكس الارض التي بدت ذات ازدواجية واضحة ،فهي رمز الخصب والعطاء من جهة ،ورمز العالم السفلي عالم العذاب و الخطيئة الأبدية (1) من جهة أخرى

بقايا معتقدات تقديس القمر :

من بقايا المعتقد الأسطوري حول تقديس القمر ،ما ترويه الفئات الشعبية بالمنطقة ،يعتقد السيد : الحاج أحمد الشيخ (2) أن بذر الزرع في يوم اكتمال القمر - القُمرة بالمصطلح الشعبي - يؤدي الى ضعف نموه و تأخر نضجه ، ولذا فهو يحرص على أن لا يبذر إلا في الأيام الأولى من ولادة القمر .

بينما يعتقد السيد : علي وغيره من الفلاحين بمنطقة سيدي لحسن (3) عكس ذلك تماما ، و يعتقدون أن "القُمرة " تساعد على نمو الزرع و الفواكه .

إن هذا الاختلاف بين هذين المعتقدين ،إنما هو في الحقيقة اختلاف بين فكرين متناقضين . فالمعتقد الأول يقوم على أساس تصور بدائي أسطوري ،مفاده أن نمو القمر يؤدي الى نمو الاشياء ،و هذا من باب محاكاة الاشياء لبعضها البعض ف في حين يقوم المعتقد الثاني على تصور

---

1 - لقد كانت الارض الموطن الذي أراده الله للانسان بعد أن أخطأ و أكل من الشجرة وعلى ظهرها أرتكبت أول جريمة انسانية حينما قتل قابيل هابيل .

2 - ينظر في ملحق هذه الرسالة ص: 272 ترجمة لبعض الرواة

3 - قرية توجد على بعد 6 كلم من مدينة سيدي بلعباس .

ـي مفاده أن القمر يمد هذه النباتات بالضوء وبالتالي فهو يساعدها على النمو .

وهناك ما يشبه هذا الاعتقاد عند بعض سكان مدينة بلعباس ،فهم يعتقدون الطفل الذي يقدمه أهله الى القمر الذي يأتي بعد ولادته مباشرة ، ـه يكبر بسرعة ،و يتكلم بسهولة .(1)

تقدات المسخ :

و هي نوع من التفسير الاسطوري ،حاول الانسان بواسطته وصول الى طبائع الاشياء والكشف عن أصولها الاولى . و لعل أهم يميز هذه المعتقدات أنها وليدة تصورات أفرزها العقل البشري ،و هو يزال يعيش مراحل طفولته الاولى . كما أنها وليدة طقوس ميثولوجية ديمة قدم الانسان ذاته . ويمكن أن يكون بعضها حديث النشأة هداف أخلاقية وتعليمية . ولذا فإن المسخ يأتي دائما تيجة و جزاء لكل من يخالف هذه القيم والأهداف الأخلاقية .

و سوف نكتفي في هذا النوع من المعتقدات ،على ذكر نموذجين ،لهما حضور قوي عند سكان المنطقة،و هما الغراب والبومة .

الغراب في المعتقد الشعبي :

يروي سكان المنطقة ،أن الغراب أصله رجل كلفه الله بتوزيع الأرزاق على عباده ،إذ أمده بثلاثة أكياس، جعل الأول منها ذهبا للعرب ،والثاني قمحا لليهود ، والثالث فضة للنصارى ،فأخطأ الغراب في التوزيع ، فكان الأول من نصيب اليهود ،والثاني من

---

1 ـ هناك معتقدات أخرى حول بقايا تقديس القمر ،غير أنها تندرج ضمن الممارسات السحرية نشير اليها في الفصول القادمة

نصيب العرب ، فكان أن مسخه الله الى طائر أسود ،كل من رآه تشاءم منه ودعا عليه بقوله :

((غُرْبْ لاَ تْقَرَّبْ وَبَعَدْ لاَ تْشَرَّقْ)) (1)

فهذه الجملة عبارة عن تعويذة طقوسية يراد بها دفع الضرر المحتمل وقوعه ،وهي في الوقت ذاته نداء موجه للغراب كي يطير و يذهب نحو الغرب ،لا نحو الشرق ، لأن الشرق في المعتقد الشعبي رمز القبلة و الكعبة والخير ، عكس الغرب الذي هو رمز كل شر و اغتراب ، كما توحي بذلك اللفظة .

وفي رواية أخرى ذكرتها لنا السيدة : م.فاطنة ،أن الغراب أصله طفل صغير ،كلفته أمه بأداء أمانة الى جارتها ،فخان هذه الأمانة ولم يبلغها ،فلما علمت أمه بذلك قالت له في غضب :

((اللّهْ يْسَوَّدْ وَجْهَكْ))

فاستجاب الله لها و مسخه الى طائر أسود .

وفي رواية ثالثة للسيد : قادير محمد أن الغراب كان في وقت مضى أبيض اللون ،ثم اسود لونه بسبب عدم امتثاله لسيدنا نوح عليه السلام ، حينما أمره بتبليغ رسالته الى قوم من الاقوام .

فهذه الرواية الأخيرة تذكرنا بالنبي سليمان عليه السلام و الهدهد ، كما تذكرنا بما جاء في قصة الطوفان البابلي ،ولا سيما الجزء الذي يتحدث عن ما بعد اليوم السابع :

((... ثم أَتَيْتُ بِغُرابٍ وَ أَطْلَقْتُهُ في السَّماءِ
فَطارَ الغُرابُ بَعيدًا وَ لَمّا رَأى أَنَّ الماءَ قَدِ انْحَسَر

---

1 - لا تقرب = لا تقترب - وبعد : اذهب بعيدا

أكل و حام و حط و لم يعد ...)) [1].

والى جانب هذا فإن أهل المنطقة يتشاءمون من الغراب ويتطيرون منه، وهم لا يلجأون الى قتله أبدا، لأن ذلك، في اعتقادهم، يجلب لهم سوء الحظ، بل قد يؤدي بهم الى الهلاك، و لذا فهم يكتفون بطرده فقط. و يعتقد بعضهم أنه من رأى غرابا في منامه، فإنه دليل سوء و شر.

و يربط أهل بلعباس بين الغراب واللون الأسود ربطا وثيقا، فكل شيء أسود عندهم غراب، فالرجل أو المرأة اللذان يرتديان ثوبا أسود غرابان، يتشاءمون منهما

ومما لا شك فيه أن لهذا الاعتقاد صلة وثيقة بما كان من معتقدات العرب في الجاهلية و الإسلام، إذ كان العرب شديدي التشاؤم من الغراب، ولذا قالوا: ((ليس في الارض شيء يتشاءم به الا والغراب أشأم منه)) [2]. و كانوا يقولون اذا نعب الغراب: خيرا خيرا وهذا من باب التفاؤل بالاضداد [3]. وهو عندهم قادر على التنبؤ بالاشياء قبل حدوثها. [4]

و يوصف الغراب عند الانجليز بأنه طائر الموت. ويعتقد السويديون أن الغربان ما هي الا صورة لأشباح القتلى الذين لم يقدر لهم

---

1 - فراس سواح - مغامرة العقل الاولى - قبرص 1986 - ص: 156، 157

2 - محمد مرتضي الزبيدي - تاج العروس من جواهر القاموس - مصر 1306 هـ - مادة (غرب)

3 - ينظر - الجاحظ - الحيوان - بيروت 1969 - 3 / 457 وما بعدها.

4 - ينظر: قصة تيم اللات مع بنيه - محمود شكري الالوسي - بلوغ الأرب - مصر - د.س - 3/309

أن يدفنوا في ظل الطقوس المسيحية .(1)

والحقيقة أن الشيء الذي يجعل أهل المنطقة يتشاءمون من الغراب كطائر أسود ،هو قصته في القرآن و اسمه و لونه .

1 - قصته :

ترتبط قصة الغراب في الذاكرة الشعبية بقصة قابيل و هابيل . ومما لاشك فيه أن الفئات الشعبية قد تعرفت على هذه القصة من خلال تلك الدروس والخطب الدينية التي يسمعونها في المساجد وحلقات الذكر ، فالغراب عندهم كان عنصرا أساسيا في أحداث القصة . فقد ذكر القرطبي(2) أن قابيل لما رأى أنه قد تقبل قربان أخيه دون قربانه ، سولت له نفسه قتل أخيه ،فلما قتله ندم و قعد يبكي عند رأسه ، وحين ذاك أقبل غرابان فاقتتلا ،فقتل أحدهما الآخر ،ثم حفر له حفرة و دفنه ،ففعل القاتل بأخيه كذلك .

ومن ثم ارتبط الغراب بفكرة الموت و الذنب عند هذه الفئات الشعبية ،فهو يمثل في وعيها بداية المأساة الانسانية على وجه الارض . وربما الشيء الذي عمق هذا الاعتقاد ، هو ما نسج حول الغراب من حكايات وأساطير مختلفة .

2 - اسمه :

يتضح لنا من خلال هذه الجملة ((غرب لا تقرب ...)) أن سكان بلعباس يربطون بين لفظة " الغراب " ولفظة " الغرب" أو الغروب . والغرب رمز الموت ،فيه تموت الشمس و يأتي الظلام ،وهذا عكس الشرق الذي هو رمز الانبعاث والشروق . ولفظة " الغراب" توحي بالغربة والاغتراب،

---

1 - ينظر - فوزي العنتيل - الفلكلور ما هو ؟ - القاهرة 1987 ص 101 ،ومابعدها

2 - ينظر - الجامع لأحكام القرآن - بيروت - د س - 6/141 في تفسير الآية 31 من سورة المائدة

وبالوحشة والانفراد . ومن ثم كان لها دور كبير في تعميق هذا التصور والاعتقاد حول الغراب .

3 . لونه : شميوطيقا اللون الاسود "

أما لونه الاسود فهو يرتبط شعوريا بما لهذا اللون من دلالات في المعتقد الشعبي البلعباسي [1] ،إنه لون الحزن والتشاؤم ، و من ثم فهو رمز الموت ،ولذا استعملوه في الحداد ،و هذا عكس اللون الابيض رمز السعادة والفرح . و هو لون جهنم و العذاب والخوف من المجهول [2] و هو باختصار لون كل الاشياء الدالة على العدمية و الفناء .

و تصاري القول ،فان قصة الغراب ودلالة اسمه ولونه ،كلها تظافرت بالاضافة الى التراكمات الفولكلورية الأخرى على تشكيل هذه المعتقدات حوله.

البومة في المعتقد الشعبي :

من أساطير و معتقدات المسخ حول هذا الطائر ما يرويه بعض سكان منطقة تلاغ [3] ،اذ يعتقدون أن البومة كانت فتاة جميلة تعيش مع والديها ،وذات يوم عصتهما ، فدعت الأم ربها بأن " يسخطها " قائلة :

((اللّٰهُمَّ يَجْعَلُكِ هَايْمَة ،مَكَانْ مَنْ يْجِيكْ ،وَمَكَانْ مَنْ يْغِيكْ)) [4]

---

1 ــ نسبة الى منطقة سيدي بلعباس ، وبهذا سترد في كامل البحث

2 ــ قال تعالى : ((يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ)) سورة آل عمران الآية 106

3 ــ مدينة صغيرة تبعد عن بلعباس بحوالي 50 كلم من الناحية الجنوبية ،وهي منطقة شبه رعوية .

4 ــ هايمة : هائمة ــ مكان من يجيك : لا يأتيك أحد ــ مكان من يبغيك : لا يحبك أحد .

فاستجاب لها الله ومسخ ابنتها طائرا ،يطلق عليه سكان المنطقة اسم " الهامة " و هو لفظ مشتق من كلمة " هايمة " التي وردت في الدعاء ٠ وكلما صاحت و رأها الناس قالوا لها :

((فِيكْ ،وفِي جْلَالَكْ ،يَا وَاحْدْ المَسْخُوطَة))(1)

وفي رواية شعبية أخرى ،يعرفها كثير من الناس،أن البومة كانت امرأة متزوجة ، وذات يوم خانت زوجها ، فعلم بها جميع أفراد الاسرة ،وطردوها فمسخت طائرا يعيش وحيدا منعزلا ٠

وكما يتشاءم أهل المنطقة من الغراب ،فهم يتشاءمون أيضا من البومة ويعتبرون صوتها اعلانا عن شر قادم ،ويذهب الاعتقاد ببعضهم الى القول بأن من تقع البومة على بيته فانه سوف يفقد أحد أبنائه ٠

يتضح مما سبق ذكره ، أن معتقدات المسخ جاءت لتؤدي مهمة أخلاقية ، تتمثل في طاعة الوالدين، ولكي يكون لهذه الدعوة أثر في النفوس ،عمدت المخيلة الشعبية الى استغلال تلك الرمز التشاؤمية و الرواسب الاسطورية لطائري البوم و الغراب، وجعلت منها أداة لتمرير رسالتها وهي مثقلة بحمولة ميثولوجية ضاربة في أعماق التاريخ البشري ٠

وقد كان العرب يتشاءمون من البومة ،ويتطيرون عند رؤيتهم لها وسماع صوتها ،وهم يعتقدون أن روح القتيل الذي لم يدرك بثأره تصير هامة وتصيح عند قبره ٠ اسقوني ، اسقوني ! ومتى

---

1 – يريدون بهذه الجملة ،أن ما تحملينه أيتها البومة من شؤم فانه يعود عليك وحدك ٠

أدرك ثأره طارت ،وفي هذا المعنى يقول ذو الاصبع العدواني :

يَا عَمْرو ،إنْ لَا تَدَعْ شَتْمِي وَ مِنْقَصَتِي أَضْرِبْكَ حَتَى تَقُولَ الهَامةُ اسْقُونِي (1)

ولما جاء الاسلام أبطل هذا الاعتقاد لقول النبي عليه الصلاة والسلام :

((لَا عَدْوَى وَلَا صفرَ وَلَا هامة)) (2).

ونجد هذا الاعتقاد،أيضا ،عند شعوب أخرى . فإذا سمع أهل "الكنغوا العليا" صوت البومة ليلا ،اعتبروه إعلانا عن موت متربص بين العشش لاختيار احدى الضحايا ،فيخرجون الى المكان وهم يحملون العصي لمطاردتها (3). وكان البدائيون يعتقدون أن البوم الذي يطوف حول بيوتهم ليلا ليس إلا ساحرا يجب تجنبه . (4)

فالعالم في المعتقد الشعبي ،انطلاقا من معتقدات المسخ ،كان جميلا ،وكل شيء فيه يبعث على الاغراء ، ولكنه سرعان ما تحول عن طريق المسخ ،ونتيجة خطايا الناس ،الى عالم سيء وقبيح . و مما لا شك فيه أن هذه المعتقدات تعد من بقايا الاعتقاد الاسطوري القديم ، وهي ذات انتشار واسع في سائر أنحاء العالم . فمن ذلك مثلا ما نجده عند عرب الجاهلية حول أسطورة أساف ونائلة ، تروي هذه الاسطورة أن رجلا يقال له أساف كان يتعشق امرأة يقال لها نائلة في أرض اليمن ،فأقبلا حاجين، ودخلا الكعبة ،و في غفلة من الناس فجربها داخل البيت ،فمسخا صنمين عبدتهما قريش و خزاعة وغيرهما من القبائل العربية (5)

---

1 - ابن منظور - لسان العرب - بيروت - مادة (هوم)
2 - ابن الاثير - جامع الاصول - بيروت 1980 - 8/ 397.
3 - ينظر - ليفي برايل - العقلية البدائية - تر: محمد القصاص - ص: 157
4 - ينظر - المرجع السابق ص: 57
5 - ينظر - الكلبي - الاصنام - القاهرة 1965 - ص: 9

ومن الأساطير اليونانية قصة تلك الفتاة الحسناء (يو) التي أعجب بها (زوس) رب آلالهة ، فعشقها و صار يضاجعها و يتردد على مخدعها ، فتفطنت له امرأته (هيرا) ، وحولت هذه الفتاة الى بقرة تخور . (1)

ويندرج ضمن معتقدات المسخ أيضا ، تلك الاخبار والحكايات التي تتحدث عن أشخاص قتلوا عمدا و حولوا الى كائنات حيوانية مختلفة . يعتقد سكان المنطقة أن القتيل قد يظهر في صورة حيوان مرعب يسمونه ((زُقُّومْ)) وهذا الحيوان يأخذ أشكالا متعددة ، فيظهر في صورة شبح أو طائر أو أي حيوان آخر .

ومهما يكن ، فإن فكرة المسخ هذه ، تتكرر بشكل ملفت للنظر في المعتقدات الشعبية العربية والعالمية . و يرى صالح حمادي أن الكائنات التي دارت حولها حكايات و أساطير المسخ هي عبارة عن أجناس بشرية كان لها وجود مكاني وزماني ، وعليه فإن المسخ ((يرمز في واقع الأمر الى التغييرات التي تتعرض لها طباع البشر و أوضاعهم العامة والخاصة على إثر انتقالهم من مجتمع الى آخر بسبب الاسر و السبي والاستعباد ، والتطور الطبيعي للنظم الاجتماعية وغيرها من الأسباب الداعية الى الانتقال من مجتمع انساني الى مجتمع انساني آخر)) . (2)

والواقع أن هذا التفسير يتجاهل تلك الأبعاد الاسطورية لهذه المعتقدات ، اذ ينطلق من رؤية اجتماعية واقتصادية لها علاقة بالنظم السياسية . فهذه المعتقدات ، في رأينا ، ليست سوى تلك التفسيرات

---

1 - ينظر - دريني خشبة - أساطير الحب والجمال عند الاغريق - د م - 1965 - ص 36
ولمعرفة المزيد عن هذه الآلهة يمكن الرجوع الى : Edith Hamilton - La mythologie P.18.

2 - صالح بن حمادي - دراسات في الاساطير والمعتقدات الغيبية - تونس 1983 - ص 110

الاولى التى توصل اليها الانسان و هو يمر بمرحلة تحوّل فكرى جديد .

بقايا معتقدات تقديس الثور:

ذكرنا فيما سبق أن الثور كان من بين معبودات الانسان الجزائري ومن بقايا هذه العبادة أو التقديس ما نجده عند فرقة "قرقابو"(1) بمدينة بلعباس ، وهي فرقة تتكون من مجموعة من الافراد (بين ثلاثة وسبعة) يسوقون ثورا أسود ،وهم يتوزعون كالتالي : اثنان يضربان على القراقيب ، وآخران يجمعان المال ، واحد يضرب على الطبل ،و آخر يقود الثور ،والمرشد الذي يحمل مبخرة في يده اليمنى .

تجوب هذه الفرقة شوارع مدينة بلعباس وغيرها من قرى المنطقة ثلاث مرات على الاقل ،في السنة . الاولى في أواخر فصل الربيع وبداية فصل الصيف ،والثانية في نهاية فصل الخريف ، أما الثالثة فهي مرتبطة بزمن اخراج الزكاة . والمتأمل قليلا في هذه الفترات يجد أنها محددة ،ومرتبطة بزمن الجني وجمع المحاصيل .

في حركات وئيدة و أهازيج متعالية تجوب الفرقة شوارع المدينة و هي ترد جملا تعبر عن الورع والتقوى والزهد تحت تأثير صوت الطبل وايقاعات القراقيب ورائحة البخور المنبعثة من المبخرة الصغيرة محدثة جوّا دينيا ملائما . وحول هذا المشهد يقف المارة يتفرجون

---

1 ـ يبدو أن هذه الفرق تنتشر في معظم المدن الجزائرية . ويرى ابراهيم بهلولي أن أصل قرقابو يعود الى بداية العهد الهجري ،وقد ابتدعه بلال . وذلك في يوم خرج النبي الكريم تاركا وراءه السيدة خديجة في حزن عميق فحاول بلال أن يزيل حزنها ، فأخذ قطعتين من الخشب فخرج منهما صوتا أثار انتباه خديجة فضحكت وفرح بلال وواصل في ارتجالاته . وهناك رأي آخر يقول أنه يعود الى افريقيا .. ينظر : فن الرقص الشعبي في الجزائر ـ تر: أسماء سفاوي ـ الجزائر ص: 25 وما بعدها .

وقد أخذتهم نشوة هذا العالم الغريب ، عالم الاسطورة ، فيشعرون بشيء من الخشوع ينسيهم مواصلة الطريق . و يزداد هذا الشعور ليلة " الحضرة " حيث يجتمع الناس حول شيخ الطريقة و هم يرددون ابتهالات و طقوس تمارس فيها رقصة قرقابو أفرادا و جماعات و هي رقصة تشبه الى حد قليل رقصات السود بافريقيا .تبدأ هذه الرقصة بحركات بطيئة منسجمة على شكل دائري ونصف دائري، و تنتهي قوية سريعة سرعة ضربات الطبل ،معبرة عن لحظة النشوة الروحية ، وحينها يسقط بعض المشاركين و قد أخذتهم " التوبة " (1) .

يُنْحَرُ الثور بعد التضرع و الدعاء ،فتسرع النساء وبعض الرجال الى أخذ قليل من دمه والاحتفاظ به اعتقادا منهم أنه شفاء للمريض يطلى به جلده . ثم يوزع لحم الثور على المشاركين وينتهي الحفل باقامة " الوعدة " .

وقد حدثنا أحد المشاركين وهو السيد : ب - سليمان أن الحضرة لم تبق على ما كانت عليه قديما ،وهي الآن تعرف تحولا كبيرا ،ففي القديم كانت تمارس أصناف شتى من الطقوس والشعائر،كالرقص حول النار وتعذيب الجسد بحرقه وضربه ،وإدخال الإبر في الأحناك ،والمشي على الجمر بغير نعل .

تشترط فرقة قرقابو أن يكون الثور أسود ،لا هو بالقوي ولا الضعيف

---

1 - وهي نوع من السكر الروحي يحصل نتيجة الرقص الشديد ، يسقط اثره الرجل أو المرأة مغشيا عليه . والتوبة في المعتقد الشعبي تشبه الفناء أو الغياب الروحي عند المتصوفة .

وهذا لكي تسهل عليهم قيادته . و يزينونه بشتى الألوان (الأحمر ،والأخضر والأبيض) على ظهره وحول قوائمه ،وبين قرنيه . ويشترط بعضهم علامة بيضاء بين عينيه ،فإن لم تتوفر وضعوها بأنفسهم بواسطة الحناء.

والحقيقة أن ما تقوم به فرقة قرقابو حاليا ،إنما هو استرجاع لتلك الطقوس الفولكلورية والملاحم الدينية القديمة التي احتفظت بها الذاكرة الشعبية على مرّ العصور . فلقد كان الثور إلَهاً مقدساً في الاعتقاد الاسطوري، حيث انتشرت عبادته - كما سبق وأن أشرنا - في الجزائر ، و أيضا عند السومريين والمصريين القدماء . أما في الجزيرة العربية فقد كان رمزا ممثلا للاله/القمر.(1)

و ثور هذه الفرقة لا يختلف عن ثور "أبيس" في المعتقدات المصرية القديمة ،فقد كان المصريون لا يقدسون الثور إلا اذا توافرت فيه شروط جسدية معينة ، تكون دليلا على ((أنه قبضة من نور نزلت من السماء في رحم بقرة ، حملت به ولم تحمل بعده قط ، فهو البكر و هو الوحيد أيضاه كما أن له علامات تميزه ، فهو أسود اللون ،في جبهته مثلث أبيض،وعلى جانبه بياض بصورة هلال))،(2) وعلى ظهره صورة نسر ، وفي خصلات شعر ذنبه ازدواج ،وفي أسفل لسانه صورة جعل . وكان المصريون يزعمون أن رسالة السماء سوف تتجلى في رمشة عين ،ثم تهبط فتحمل بالعجل "أبيس" قربانا مقدسا .(3)

هكذا اذن يظهر ثور فرقة قرقابو في صورة لا تختلف كثيرا عن صورة الثور "أبيس" مما يؤكد أثر المعتقدات المصرية في المعتقدات الشعبية الجزائرية

---

1 - ينظر - جواد علي - المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام -6/176 حيث يقول :
((وقد رمز الفن العربي الجنوبي ... الى القمر بهلال نحت أو نقش على الاحجار ... كما أشير اليه برأس ثور ذي قرنين))
2 - علي البطل - الصورة في الشعر العربي -ص: 126 من الهامش
3 - ينظر - سيرج سونيرون - كهان مصر القديمة - تر: زينب الكردي - مصر 1975 -ص: 178

فقد عثر الأثريون في قرية " الزناقة " بين بني ونيف و واحة فيقيق في الحدود المغربية الجزائرية على صورة كبش تحيط به هالة ، وهو يمثل الرب آمون "عمون رع" أحد آلهة المصريين فكانت هذه الاكتشافات من بين الأدلة التي أكدت علاقة واحتكاك الشعب الجزائري بالشعب المصري منذ قديم الزمان .(1)

الإحتفال بالنّاير :

وهو احتفال سنوي يدوم يومين ، الثاني عشر والثالث عشر من شهر يناير . يحضر سكان المنطقة لهذا الاحتفال بشراء أنواع مختلفة من الفواكه والخضر والحلويات ، عند " أصحاب الناير "(2) فيكون اليوم الأول خاصا بـ : " الحامي " أو " الشرشم " وهو نوع من الاكل المكوّن من القمح والفول المطبوخين في الماء ، و هي أكلة ذلك اليوم ، داعين اليهود بقولهم :

((كُلّ الشّرشَمْ ، لاَ تَسْتَحشَمْ ، رَبِّي عَالَمْ ما طُقّنَاشِي))(3)

وفي رواية أخرى :

((كُلّ الشّرشَمْ لاَ تَتحَشَمْ ، رَبّ عَالَمْ مَا دّسِينَا شِي
قُمْ تَسَلّفْ لاَ تَتوَهّرَفْ ، قَاعْ النّاسْ مَا عَنْدَهَاشِي))

وأما اليوم الثاني فيطلقون عليه اسم (البارد) و هو عبارة عن " مخلط "مكوّن من أصناف كثيرة من الفواكه ،كالتمر والتين والبلوط والبرتقال ... ، و بحبه

---

1 ـ ينظر ـ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ـ تاريخ الجزائر العام ـ الجزائر و بيروت 1982 ـ 2 / 34 ، وكذلك مبارك الميلي ـ تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ص: 75،76

2 ـ وهم مجموعة من التجار يضربون خيامهم قبل الناير بحوالي عشرين يوما على الاقل استعداد للاحتفال و بيع منتوجهم من الفواكه الذي جمعوه خلال سنة كاملة .

3 ـ المراد بهذه العبارات ، هو دعوة الانسان الى أكل الشرشم ،لأنه الاكل الوحيد في

تناول العشاء ، الذي يكون من لحم الدجاج و"الرقاق" يقوم الأب أو الأم بتوزيع " المخلط " على كل أفراد الاسرة ،على أن يحتفظ بجزء للجيران والاقارب .

ومن الطقوس التي تمارس في هذه الليلة ، ما يقوم به بعض سكان المناطق الجنوبية الرعوية ،حيث يأمر الأب ،قبل توزيع المخلط ، أحد أبناءه يتوسم فيه الخير ،بأن يخرج الى حظيرة الماشية وينادي :

((يَا العَامْ ماذَا فِيكْ خَيْرْ ،صِيحِي يَا النَعْجَة . وإذَا فِيكْ شَرْ، صِيحِي يا المَعْزَة . كُشْكُشْ ،أرْ أرْ)) (1)

فإن صاحت النعجة تفاءل الأب واستبشرت الاسرة خيرا ،وإن صاحت العنزة تشاءموا ، فالسنة ستكون شهباء . وقد يعيد الطفل هذا النداء استجابة لطلب أبيه الى أن تصيح النعجة دفعا للشؤم والضرر القادم .

وقد يتساءل الانسان ،لماذا التشاؤم من العنزة ، والتفاؤل بالنعجة ؟ والجواب هو أن النعجة في المعتقد الشعبي رمز الخير والبركة ، بينما ترمز العنزة الى الشر ، بالاضافة الى ذلك أنها غير محتشمة -ان جازلنا هذا التعبير- فهي دائما رافعة ذيلها الى السماء ،و هذا عكس النعجة ،ومن ثمّ كان عدم إقبال أهل المنطقة على أكل لحمها إلا قليلا .

وفي هذه الليلة أيضا يقوم البدو الرّحل من مربي الماشية بوضع

ذلك اليوم ،رّب عالم ماطقناشي " أي أن الله يعلم أننا لم نخف شيئا .وفي الرواية الثانية ،أمر و دعوة للانسان المتهاون على أن يستسلف المال ويشارك في الاحتفال .

1 - كشكش : كلمة ينادي بها الراعي أغنامه ،أما أر أر فهي موجة للعنزة

جزء من العجين على ركيزتي الخيمة ،و هم يقولون :

((كِيمَا يَأكُلْ العَيَالْ ،تَاكُلْ الرْكِيزَة))

كما أنهم يتركون قليلا من الكسكس في " القدر " [1] و يقولون عنه:

((هَذا حَقْ الكْسْكَاسْ يَاكُلْ مِنْه النَايضِينْ)) [2]

ومن طقوس الناير [3] أيضا أن يجتمع أفراد الأسرة الكبيرة جميعا عند كبيرهم ويتم الاحتفال في فرح وسرور ، ومن الأدعية التي يكررونها

((اللَهْ يْدخْلُه عْلِينَا بِالخَيْر والرَحْمَة))

ويعتقد السيد : ب . جبيب أن الاحتفال بالناير يعود الى زمن الصحابة رضى الله عنهم ، يوم أن انتصروا في معركة من المعارك ضد الكفار ، فأرادوا الاحتفال بانتصارهم ،ولم يجدوا سوى القمح والفول ،فقاموا بطبخهما في الماء ودعوا الناس الى الاكل ومنذ ذلك الحين صار المسلمون يحتفلون بالناير .

ومما لاشك فيه أن هذه الرواية تبرير لهذا المعتقد ،و خاصة أنه أصبح يفقد أهميته ،بوصفه بدعة منكرة من طرف الدعاة، فمن خلال هذه الرواية يحاول المجتمع الشعبي أن يقيم أصلا ويجد مخرجا لهذا الاعتقاد ، فيجذر له في أعماق التاريخ الاسلامي كي يضفي عليه طابعا رسميا .

إنه من الصعب الوقوف عند أصل هذا المعتقد ،لكننا لا نستبعد إرتباطه بممارسات أسطورية زراعية كانت تتم بعد كل موسم زراعي ،إذ كان

---

1 ـ اناء يوضع فيه الطعام ليطبخ .

2 ـ النايضين : المستيقضين ،ويقصد بهم الجن و الملائكة

3ـ هناك طقوس أخرى في جهات مختلة من الوطن أشار اليها :

ED- Destaing - l'Ennayer chez les Beni-Snous Revue Africaine-1905 n°49 P.59.

المزارعون أنذاك يجودون بها كورة انتاجهم الزراعي الى غيرهم استجلابا للوفرة والبركة وضمانا لأنتاجهم الزراعي من الآفات . ولكن سرعان ما تحول هذا الطقس الى احتفال سنوي ذا طابع تجاري ، إذ استغل هؤلاء هذه المناسبة الشعائرية للمزيد من الربح و جمع الأموال .

و من الأدلة على ارتباط هذا الطقس بالموسم الزراعي ،أن سكان جرجرة كانوا ينتظرون هذه المناسبة لزرع و غرس خضرهم و أشجارهم(1)

و الى جانب ذلك نجد هذا الاحتفال يتزامن و بداية السنة الجديدة " راس العام " على حد تعبير الطبقات الشعبية ، و هو ما يؤكد ارتباطه بالمعتقد الاسطوري المتمثل في الاعتقاد البدائي الذي يرى ((أن العالم مهدد ، دوريا ،بالتدمير و الخراب ، وبسبب تآكل الزمن ،فتوجب لأيقاف سيرورة هذا التدمير خلق الكون دوريا من جديد بواسطة طقوس و شعائر دينية خاصة))(2) مثل الناير الذي يعد طقسا دوريا يرمز الى إعادة خلق الحياة الزراعية وبعثها من جديد . ومن ثم فما نداء الطفل الى أن تصيح النعجة ، إلا دليل واضح على رغبة الانسان في إعادة الخصب للحياة ،وانقاذها من الإندثار و الزوال . وبهذا يمكن أن نفسر طقوس عيد رأس السنة الجديدة ، في مختلف الجهات ، على أنها طقوس من شأنها أن تعيد الى العالم دم شباب جديد في اعادة خلقه رمزيا .(3)

---

1 ـ ينظر : ED- Destaing - l'Ennayer chez les Beni Snous- Revue Africaine - 1905 N° 49 P.60.

2 ـ هيرقة روسّو ـ الديانات ـ تر: متري شماس ـ ص: 70

3 ـ ينظر المرجع السابق ص: 71

طقـوس الموت في الفكر الشعبي :

حاول الإنسان القديم أن يفتك نصيبه من الخلود ،غير أنه عاد من رحلته خائبا ، مؤمنا بأنه ولد ليموت، وأن الخلود نصيب الآلهة وحدها .(1) وهكذا أضحى الموت أمرا محتوما لا مفر منه ، يقول في هذا الشأن أهل بلعباس:

((المَوْتْ بَطّة زَيْتْ مْعَلْقَة في كُلْ بَيْتْ))

و قولهم للأموات :

((أنْتُم السّابْقِينْ ،وَحْنَا بِكُمْ لَحْقِينْ))

والعمر عندهم بيد الله :

((العُمْرْ في يَدْ رَبِّي وَ المَوْتْ غيرْ سْبَابْ))

فالله وحده هو الذي يحيي و يميت ،أما غيره فلا سلطان له على ذلك حتى وإن كان المرض نفسه :

((اللِي فِي عُمْرُه مُدَة ،ما تْكَتْلُه شْتَة)) (2)

و أمام هذه الحتمية لم يجد الانسان الشعبي إلا الإستسلام :

((الايّام نَاقْصَة مِنْ عُمْرِي و أنَا نْعَدْهَا))

ومن مظاهر الاعتقاد الاسطوري حول طقوس الموت ، هذا البكاء و النواح والعويل وشق الثياب ولطم الوجوه والصدور بالاظافر ،وارتداء الاسود عند بعض سكان المنطقة و خاصة فئة النساء منهم . و قد كان الجاهليون (3) يوصون أهليهم بالبكاء و النواح عليهم اذا ماتوا ،قال طرفة بن العبد :

فَإنْ مِتّ فَانْعِينِي بِمَا أنا أَهْلُه وَ شُقِي عَلَيّ الجِيبَ يا ابنَةَ مَعْبَدِ

---

1 ـ ينظر ـ ملحمة كلكامش ـ تر :طه باقر ص: 79

2 ـ مدة = فترة من الزمان ، شتة = مرض

3 ـ الديوان ـ بيروت 1979 ـ ص: 39

ونشير الى أن الاسلام قد أبطل هذا الاعتقاد بقول النبي عليه الصلاة والسلام : ((إن الميت ليعذب ببكاء أهله)) [1] وفي قوله ((ليس منا من لطم الخدود و شق الجيوب و دعا بدعوى الجاهلية)) [2] .

و قد لا نخطئ اذا قلنا أن النياحة والبكاء وشق الجيوب وحلق الشعر كانت من طقوس الموت عند الانسان القديم . فالنّياحة ارتباط وثيق بالرثاء ، و ((الرثاء كما هو معروف ،بدأ بصورة سحرية هدفها أن يطمئن الميت في مرقده ، ولا تحاول أن تصيب روحه الاحياء بشرما)) [3] وعليه فالنّياحة طقس سحري الغرض منه طمأنة الميت في قبره ، ولاسيما أنها تعتمد على قوالب موسيقية مؤثرة تبعث على الحزن العميق .

من معتقدات سكان المنطقة أيضا ،أنهم يرفضون اطفاء الاضواء في أثناء الايام الاولى من الموت ، و في هذا الصدد يعتقد السيد : الحاج قدور أنه لا يجوز إطفاء الأضواء في دار الميت الا بعد الاربعين و أن الذي يطفئ ضوءه انما يطفئ حياته .

والواقع أن لهذا الاعتقاد أصلا قديما حيث كان "المستريون Les Mousteriens" [4] يوقدون النار الى جانب الجثة ،وكان العرب يحملون النار مع الميت [5] وكل هذا يدل على أهمية طقوس النار في الموت ،من حيث أنها تهدف الى بعث الميت و طرد شبح الموت عنه .

---

1 ـ عبد الرؤف المناوي ـ فيض القدير ـ بيروت 1972 ـ 2/397

2 ـ المرجع السابق 5/387

3 ـ مصطفى عبد الشافي الشوري ـ شعر الرثاء في العصر الجاهلي ـ بيروت 1983 ص: 157

4 ـ جنس بشري عاش في العصر الجليدي ،راجع : V.Gordon Childe-la naissance de la civilisation. P.53.

5 ـ ينظر ـ جواد علي ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ـ 5/156

ومن طقوس أهل المنطقة أنهم يرشون القبر ،بعد الإنتهاء من الدفن ،بالماء ،ويتجدد هذا الطقس في كل زيارة ، كما أنهم يرشونها بالعطر في العيدين ، وهناك من يضع اناء صغيرا فوق القبر و يملؤه ماء لكي تشرب منه الطيور ، فيعود الأجر الى صاحب القبر .

ومما لاشك فيه أن لهذا الاعتقاد الذي اتخذ شكل العادة ،رواسب أسطورية قديمة . فالماء عند القدماء ،هو أصل الحياة والانبعاث ولذا كانوا يرشون به قبور موتاهم رغبة في عودتهم للحياة[1] ، أو على الاقل كرمز لتسهيل بعثهم من جديد . ومن ثمّ كان الماء يحمل كل معاني الخصب والنماء و هو ((بقوته المطهرة والشافية والمجددة للشباب سبيل الي الخلود))[2]

بناء القبور:

للقبر عند أهل المنطقة مكانة رهيبة لاتختلف عن مكانة الموت ((المَوْتُ حَقٌ والقَبْرُ حَقٌ))

وهو عندهم آخر محطة ينزل عندها الانسان بعد سفره الطويل في هذه الحياة ، يدخله وقد ترك كل شيء وراءه :

((عَاشْ وخَلّ ،ومَاتْ ومَادّ))[3]

وهو سر من الأسرار الإلهية ،لا حاجة فيه للأنسان سوى أن يقف أمامه خاشعاً صامتا يبكي نفسه . و هو "صندوق العمل" اما "روضة من رياض الجنة ،أو حفرة من حفر النار"

---

1 – ينظر – محمد عزة دروزة – عصر النبي عليه السلام و بيئته قبل البعثة – بيروت 1964 ص: 841

2 – أحمد الطبال – الماء في رمزيته الاسطورية والدينية– مجلة الفكر العربي المعاصر – ع 25– السنة 1983 – ص: 146

3 – خل = ترك – ومادّ = بمعنى لم يأخذ معه شيئا .

ومن معتقدات سكان المنطقة ، بناء القبور و زخرفتها بشتى الألوان والأشكال . وقد يعظم هذا البناء فيتخذ شكل المسجد أو القبة ،تبعا لمكانة الميت الاجتماعية و الدينية ،مثلما هو الحال في بعض زوايا مدينة بلعباس . و يمكن التميز بين نوعين من القبور، قبور الاغنياء المصنوعة بالرخام الابيض والملون المنقوش،وقبور الفقراء المحفوفة بسياج من الحديد أو الأحجار العادية ، وهي تعتبر عند الفئات الشعبية أكثر مثابة من غيرها .

و لا يكتفي سكان المنطقة ببناء القبور فحسب ،بل يكتبون عليها أشياء كثيرة ،كاسم الميت وتاريخ ميلاده و وفاته و آيات قرآنية و أبيات شعرية وحكم وأمثال . وتكون الكتابة باللغتين العربية والفرنسية (1)

والحقيقة أن بناء القبور معتقد عام في البلاد العربية و غيرها ، وهو من بقايا الفكر الاسطوري القديم ،حيث كان العرب يبنون البيوت والأبنية فوق القبور ،ويترددون على زيارتها لمدة طويلة قد تبلغ العام (2) و يكون هذا الاعتقاد قد انتقل الى العرب عن طريق اليهود والنصارى الذين بالغوا في بناء القباب والأضرحة على قبور موتاهم و معظم قبور أحبارهم وقسيسهم، حتى تحولت الى أضرحة و مزارات .(3)

ومما لاشك فيه أن العرب قد عرفوا هذا المعتقد في جاهليتهم ،ولكن لم يكن بمثل ما كان عند اليهود والنصارى ، فقد كان الواحد منهم اذا

---

1 - ينظر الشكل رقم 5 مجموعة من النماذج ص: 246

2 - ينظر- محمد عزة دروزة : تاريخ الجنس العربي - بيروت 1961 - 5/243

3 - ينظر - جواد علي - المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام 5/169

مرّ بقبر وضع حجرا فوقه تكريما لصاحبه وتخليدا لذكراه ،حتى وان لم يعرفه ،لأن ذلك من باب احترام الميت ، وقد سموا هذا المعتقد " الرجم " (1) .

أما ظاهرة بناء المساجد على القبور كما هو في زوايا مدينة بلعباس ،فهي ظاهرة قديمة جدا أشار اليها القرآن الكريم في قوله تعالى ((... قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذنّ عليهم مسجدا)) (2) ومن هذا يتبين لنا أن بناء القبور على الاموات كان فعلا دينيا متمما لطقوس الموت ، و هو من جهة أخرى يرمز الى تقديس الانسان للأموات .

ومما ينبغي ذكره أيضا ، هو رغبة بعض سكان المنطقة في دفن موتاهم بمكان مولدهم الذي ولدوا فيه و تربوا . و يفضل آخرون أن يدفنوا بجوار عائلاتهم و أقربائهم ، مما أدى الى تقسيم المقابر الى أسر غنية وأخرى فقيرة ،بل والى قبائل و أعراش كما هو الحال في مقبرة المسيد بسفيزف .

و يبدو أن هذا الاعتقاد يتكئ على رواسب بدائية ، فقد ذكر " فرايزر " أن البدائيين كانوا يوصون أهلهم بأن يدفنوهم في المكان الذي ولدوا فيه ، لأنهم كانوا يؤمنون بأن أرواحهم تعود اليه . (3) و قد كان العرب أيضا يدفنون الزوجة على مقربة من زوجها ، والابن على مقربة من أبيه ، و كأنهم يريدون جمع شمل العائلة . (4) و يبرز هذا الاعتقاد علاقة

---

1 ــ ينظر ــ المرجع نفسه 5/167

2 ــ قرآن كريم ــ سورة الكهف الاية 21

3 ــ ينظر ــ ريتا عوض ــ أسطورة الموت و الانبعاث في الشعر العربي الحديث ــ نقلاً عن :
Sir James Frazer -the belief in immortality and the worship of the dead -London 1913 P.160. et suivantes .

4 ــ ينظر ــ جواد علي ــ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ــ 5/ 171

الانسان بالارض ، فأحشاؤها كأحشاء الام ،تعطي الحياة و تحقق الانبعاث ، ومن ثمّ كان شوق الانسان اليها في حياته و موته .

زيارة القبر :

تتم زيارة القبر بعد الليلة الاولى في الصباح الباكر قبل طلوع الشمس، و تسمى " المصابحة " بمعنى زيارة الصباح ، أما اذا تأخرت هذه الزيارة الى ما بعد طلوعها ،فان ذلك يفقدها قيمتها ، ويدل على أن الميت غير مرغوب فيه . وهنا ينبغي أن نتساءل ،لماذا ارتبط تنظيم الميت بزيارته قبل طلوع الشمس ؟

يمكن أن يكون هذا المعتقد نتيجة تصور شعبي يعتقد أصحابه بحياة الموتى في الليل و موتهم في النهار ، ومن ثمّ فالزيارة المبكرة عندهم تساعد على الاتصال الروحي بعالم الاموات .

وتتجدد الزيارة بعد سبعة أيام من وفاة الميت ، وتسمى " السبوع" و يشترط فيها أيضا الصباح الباكر . وتتم بالشكل التالي : تأخذ النساء أطباقا مختلفة من الحلوى و التمر والخبز ،و تتوجهن نحو المقبرة و تبدأن البكاء والنواح ،ومناجاة الميت في قبره بكلام ينم عن حزنهن الشديد ،ثم تقوم احداهن بجمع كل ما جاءت به النساء و توزيعه عليهن من جديد ، ثم ينصرفن آملات في استجابة الله لدعائهن .

و في المساء يدعوا أهل الميت الطلبة و شيوخ الحي أو القرية لتناول العشاء ،فيذبحون شاة أو أكثر و يطبخون أنواعا مختلفة من الطعام ، و يقوم الطلبة بقراءة القرآن وبعض الاذكار و التواشيح الدينية ، ويختتم الاحتفال بـ : "الفاتحة " و تقديم "الزيارة" [1] للطلبة ،ويلاحظ أنه

---

1 ــ المقصود بها جمع المال للطلبة

بقدر ما يكون العطاء يكون الدعاء للميت و أهله وللحضور ، و نشير الى أن هذه المناسبات أصبحت مصدرا هاما للإرتزاق بالنسبة للطلبة ،الذين أصبحوا ينتظرونها بكل شغف .

كما أصبحت هذه الليلة عند بعضهم و خاصة رجال الاصلاح ، مناسبة هامة لدعوة الناس لفعل الخير والاستعداد ليوم الرحيل ، ومما لاشك فيه أن لهذه الدعوة أو الدروس أثرا واضحا على نفوس الحضور ،فهي أشد تأثيرا من خطب المساجد أحيانا لأرتباطها بمناسبة الموت .

والظاهر أن لهذه المعتقدات رواسب أسطورية قديمة ،فقد كان المصريون القدماء يقومون في كل يوم قبل طلوع الشمس ببعض الطقوس عند قبور آلهتهم حيث يقدمون لها الاكل و الغناء [1] .
وكان العرب في الجاهلية يبكون على الميت سبعة أيام ،وفي آخر يوم يقيمون له وليمة تسمى " الوضيحة " [2] ترحما عليه وتقربا منه،

وتستمر زيارة القبر عند بعض الاسر كل يوم جمعة ،حيث يعتقد أنها يوم استقبال الموتى هداياهم التي يتقرب بها الاحياء اليهم . وبعد مضي أربعين يوما تتجدد الزيارة ويقام الاحتفال و يتم بالطريقة نفسها ،التي أشرنا اليها سابقا ، ويسمى هذا الاحتفال " الربعين " . وفي هذه الليلة تعتقد العامة أن شبح الميت لم يعد قادرا على زيارة الاحياء . ومن هذا التصور يمكن اعتبار "الربعين" طقسا أسطوريا وسحريا في آن واحد هدفه احداث قطيعة مع الميت ،فهي بمثابة حفل توديع أبدي .

1- Anne Millard - L'egypte ancienne (panorama des civilisations) - Editions Gamma - P.28.

2 - ينظر - جواد علي - المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام - 5/172

دلالة العدد في المعتقد الشعبي :

يحتل العدد سبعة (7) مكانة هامة في المعتقدات الشعبية ،فهو شديد الحضور في معظم الطقوس الدينية والحكايات الاسطورية والخرافية . ولعل مصدر ذلك ،يتمثل في كون هذا العدد يرتبط ارتباطا وثيقا ببداية الخلق والحياة ، فالله قد خلق السموات والارض في ستة أيام ،ثم استوى على العرش في اليوم السابع [1] . وفي الاصحاح الثاني أنه اليوم الذي استراح فيه الرب بعد أن فرغ من عمله ،وهو خلق العالم .

ولهذ العدد شأن غريب كما ذكر الدكتور عبد الملك مرتاض ،عبر الاديان و الطقوس الوثنية ،فلروما الروابي السبع ، وللبونان الحكماء السبع، وللفضاء الكواكب السبع ، وفي القرآن سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبولات خضر وأخر يابسات . وفي المسيحية الاسرار السبع، والكلمات السبع ،وفي تاريخ الحضارة الانسانية العجائب السبع [2] .وفي ملحمة أتراحيس ورد العدد أربع عشر ، سبعا على اليمين و سبعا على اليسار، ثم سبعة أرحام أنجبت رجالا و سبعة أنجبت نساء [3]

وعند سكان المنطقة " سبوع الميت " و "سبوع المولود " يعتقد الحاج سعيد أن هناك علاقة بين هاتين المناسبتين ،لكنه لم يستطع تفسيرها ، لأنه سمعها قديما ،ولم يعد يتذكرها . لكنه يمكن تفسير هذه العلاقة في ضوء ما سبق ذكره ، "فالسبوع "

---

1 - قال تعالى ((إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالارْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ ...)) سورة يونس الآية 3

2 - ينظر - عناصر التراث الشعبي في اللاز - الجزائر 1987 - ص: 25

3 - ينظر - فراس سواح - مغامرة العقل الاولى (دراسة في الاسطورة) - ص: 165

يرتبط بفكرة البداية والنهاية[1] معا ، وعليه فان "سبوع المولود" يعني بداية حياته ، لأنه في هذا اليوم يأخذ اسمه وانتماءه و يصبح في عداد الاحياء . أما سبوع الميت فيمثل نهايته وانتقاله الى عالم الاموات ، لأن المعتقد الشعبي يرى أن روح الميت لا تصعد الى السماء الا بعد "السبوع" ، وكأن المعتقد لا يعترف بموت الانسان الا بعد مرور سبعة أيام .

وكذلك هو حال العدد أربعين (40) ،فهناك "الربعين" للميت ،و "ربعين" الواضعة . فالمرأة الولود ،كما تعتقد السيدة : ب. جمعة لا ينبغي لها أن تخرج من بيتها قبل أربعين يوما ، كما لا يجوز لها أن تجامع زوجها خلال هذه الفترة ،وأن لا تخرج ابنها من البيت الذي ولد فيه . (2)

وبالاضافة الى ذلك فان لهذين العددين حضور واسع في مجال المعتقدات السحرية بالمنطقة . وأهل بلعباس لا يتشاءمون أو يتفاءلون بهما ، وهذا عكس الحجازيين الذين يتشاءمون بالعدد سبعة و يعتقدون أنه عدد الشياطين[3]

ومهما يكن فان للعدد دلالات مختلفة في المعتقدات الشعبية عند مختلف الشعوب ،ففي الفولكلور الألماني مثلا نجد أن العدد ثلاثة يحظى بمكانة مقدسة لارتباطه بكل ما هو جميل بالنسبة اليهم . أما هنود أمريكا فيقدسون العدد أربعة ،وسكان نيفادا العدد خمسة[4] وهكذا ...

---

1 - ينظر - الكتاب المقدس - سفر التكوين - الأصحاح الثاني آية 1 ، والأصحاح السابع آية 10

2 - لقد أصبحت هذه المعتقدات تفقد قيمتها الآن ، وقليل من يتمسك بها .

3 - ينظر - عاتق بن غيث البلادي - الادب الشعبي في الحجاز - د م - 1982 - ص 240

4 - Robert Lowie -Manuel d'anthropologie culturelle P.358.

• الفصل الثاني:
الطقوس الحرية

لم تستطع الطقوس الاسطورية بمفردها الإجابة عن قلق الانسان وضمان استقراره الروحي ، على الرغم مما قدمته له من أوهام . ذلك أن التفكير الاسطوري لم يكن في مرحلة من مراحل تطوره قادرا على مواكبة تطور الفكر الإنساني ، ومن ثمّ ، كان لزاما على الإنسان أن يرتقي في البحث عن وسائل تمكنه من السيطرة على كل ما هو حوله من موجوداته فنشأت الممارسات السحرية كأرقى شكل من أشكال الطقوس والتفكير الاسطوري ، و أصبح السحر أداء تمثيليا لطقوس أسطورية معينة .

الاسطورة والسحر:

ليس من السهل الفصل بين الاسطورة والسحر ، فهما مرتبطان معا ويشكلان - وإن كان السحر أرقى من الاسطورة - في أغلب الاحيان طقسا واحدا . فقد إرتبط التفكير السحري منذ نشأته بالتفكير الاسطوري ، وكان التمثيل السحري لا يتم إلا في اطار ديني أسطوري مناسب .

واذا كنا قد فصلنا هنا بين الطقوس الاسطورية والطقوس السحرية فذلك مطلب منهجي لا غير ، يريد التمييز بين مراحل التفكير الانساني . ونحن نعلم جيدا أن جميع هذه المراحل تشكل سلسلة محكمة الحلقات ، متداخلة فيما بينها .

لقد شملت الطقوس السحرية عند البدائيين مختلف جوانب الحياة كما أنها اتخذت شكل الممارسة الجماعية التي تهدف الى المصلحة العامة قبل الخاصة ، وخير مثال على ذلك الرقص الجماعي ذي الطابع السحري أثناء الحصاد أو البذر ، الذي من (1)

---

1 - ينظر - محمد رياض - الانسان (دراسة في النوع والحضارة) - بيروت 1974 - ص 567

شأنه أن يزيد في المنتج أو يفتك بالآفات المتعلقة به ،أو كما كان حال الفراعنة في مصر حيث كانوا يقيمون احتفالهم السنوي لإله النيل اذ كانوا يقدمون له أحسن بناتهم كي يزيد في منسوبه في موعده المحدد له ، لأن الاضاحي البشرية كانت ذات مدلول سحري للحصول على رضى الارواح و الآلهة وبالتالي مساعدة المجتمع على تجاوز مطالبه في أوقات الشدة [1]

واعتقد البدائي أنه يستطيع التغلب على عقم أية شجرة لا تثمر بالطقوس السحرية ٠ فكان اذا رأى شجرة تخلفت و لم تأت أكلها توجه إليها وهو يحمل فأسه برفقة أحد أصدقائه و تبدأ شعائر الاخصاب على النحو التالي :

يقول صاحب الشجرة : أريد قطع هذه الشجرة لانها لا تثمر !
فيقول صديقه : لا تفعل فإنها تثمر
فيقول : إنها لا تفعل شيئا ٠
ويرفع فأسه و يضرب بها الشجرة ثلاث ضربات أو اثنتين و هنا يتقدم صديقه و يمسك بيده التي فيها الفأس و يقول : لا تفعل ،إنها شجرة حسنة اصبر عليها هذه السنة ،فإن لم تثمر فاصنع بها ما شئت[2]

---

1 ـ ينظر ـ المرجع السابق ـ ص 564

2 ـ ينظر ـ أحمد كمال زكي ـ الاساطير (دراسة حضارية مقارنة) ـ بيروت 1979 ـ ص 96

وأما اذا عقمت المرأة فعليها أن تضع صورة طفل على عضوها راجية أن تنال منه تأثيرا سحريا يمكّنها من الانجاب ، أو تصنع عروسا من القطن الأحمر و تقوم بحركات إرضاعها ، وتتمتم بكلمات سحرية معلومة ، ثم تبعث الى القرية بمن يشيع خبر حملها فتجيء النساء لتهنئتها .(1)

واذا أراد الساحر أن يخفف عن امرأة آلام المخاض،فإنه يقوم بحركات الوضع على سبيل التمثيل ،معتقدا أنه يوحي بقوة سحره الى الجنين أن يظهر ، وأحيانا يدحرج حجرا على بطنه ثم يسقطه على الارض أملا أن يقلده الجنين المستعصي فتسهل ولادته .(2)

هذه بعض الامثلة عن الطقوس السحرية البدائية التي لازالت بقاياها عالقة بالمعتقدات الشعبية المعاصرة ، كما سوف يتضح لنا من خلال هذه الدراسة، لكن أكثر هذه المعتقدات شيوعا ،الوشم ،فهو من أبرز الطقوس السحرية بمنطقة بلعباس.

الوشم:

يعد الوشم من أبرز الطقوس السحرية التي عرفها الانسان في مراحل حياته الأولى ، و قد يكون هذا الطقس وليد الممارسات الاسطورية المتأخرة ،لأنه يعد بداية المرحلة الثانية التي خطاها العقل البشري في مغامراته الاولى في هذه الحياة . فقد أكدت الدراسات الانثروبولوجية على علاقة الوشم بالافكار والمعتقدات السحرية لدى كافة الشعوب

---

1 - ينظر - الانسان والدين - اعداد المكتب العالمي للبحوث - بيروت 1989 ص: 66
2 - ينظر - المرجع السابق - ص: 66

حيث كان يتم بشكل فردي بين سنّ السابعة و العاشرة من عمر الانسان ،وكان بمثابة التعويذة الاولى ضد القوى الشريرة (1)٠

وقد ذكره بعض شعراء الجاهلية وهم يتحدثون عن الاطلال فقال طرفة بن العبد(2):

لِخَوْلَةَ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ

وقال زهير بن أبي سلمى(3):

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِيعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

فالوشم في هذين البيتين ، عبارة عن طقس سحري يريد به الشاعر دحض فكرة الموت الماثلة أمامه في الرسوم الدآرسة ، إنه اثبات لفكرة الحياة المهددة بالانقراض و الزوال ،عن طريق تثبيت رموزها على الجلد ٠

يعتبر الوشم ظاهرة ملفتة للنظر عند سكان المنطقة ،وذلك لانتشاره على مساحات كبيرة بين النساء والرّجال المسنّين منهم على الخصوص، وللوشم عند القبائل الشعبية دلالات كثيرة وأبعاد مختلفة نذكر منها :

البعد السحري للوشم :

يعتقد بعض سكان نواحي مدينة تلاغ ورأس الماء ،أن للوشم علاقة وطيدة بالسحر ،فالذي يشم عندهم لا يؤثر فيه السحر ،لأن الوشم في اعتقادهم تسمية سحرية مضادة لفعل السحر نفسه ،ولهذا علاقة بما ذكرناه سابقا عند البدائي الذي اعتبر الوشم تعويذة ضد القوى الشريرة

---

1 - ينظر - محمد عزة دروزة - تاريخ الجنس العربي - 234/5

2 - الديوان - بيروت 1979 - ص: 19

3 - الديوان - بيروت 1979 - ص: 74

ويـــربط سكان المنطقـة بين الوشـــم و القـــوة ، فالرجـل الموشـــوم عندهـم انســـان قـــوي و متـــوحـش ،يبعث الرعـــب في النفـــوس ، و كأن الوشـــم تميمـة تمـــده بقـــوة سحـــريـة مخيـــفـة • ومما لاشـك فيه أن لهذا الاعتقاد رواســـب قديـــمة ،حيث كـــان الانسـان يعتقـــد أن الوشـــم يقـــوي المفصـل الذي وشـم عليـــه(1) • وهنـاك مـن الشعـــوب مـن تعتقـد أن الوشـــم على ســـاعـد اليد اليمـنى يضـاعـف مـن قـدرة الرّجـــل على حمـــل الســـلاح ،واستـــعمالـه وإصـابـة الهـدف(2) وفـي ضـوء هـــذا الاعتـــقاد يمـــكن فهـــم ما تقـــوم بـــه بعـــض الجماعـات الافريـقـيـــة حينمـــا تعمـــد الى تلـــويـن أجسادهـــا بالخـطـوط والاشكـال المختـلفـة حـــين خـروجـــها الى الصـيـد أو مـواجهـة الاعـــداء •

و مـــن أهـــم الاشيـــاء التـي تـوضـح عـــلاقـــة الوشـــم بالسحر عند سكـــان المنطقـــة ، مـا تقـــوم بـــه النســـاء حينمـا يصـــاب أطفـــالهـــن بمـــرض " الليـــل " (3) حيث يتـــوجّـــهـن بـهـم ،قبـــل طـلـوع الشمـــس،الى شيـــخ يكـــون معـــروفـا لـديهـن بتحكمـــه في هـــذا المرض ، و غـالبا ما يكـــون هـــذا الشيـــخ في اعتقادهـــن ملهـمـا بســـر مـن الاســرار الالهيـــة • فيشـــم الشيخ للطفـــل علـــى جبهـــته ،وهـــو يتلـــوا هذا الدعـــاء :

((بِـاسْـمِ اللّـــهْ أَبْـدَيْـتْ
وَعْلَـــى النَّبِـّي صَـلِـيـْـتْ
وَ الصَحَـابَـة رْضَـيـْـــتْ

---

1 ــ ينظر ــ محمود شكري الالوسي ــ بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ــ القاهرة ــ د • س ــ 3/ 11

2 ــ ينظر ــ ليث الخفاف ــ الوشم ووحدة الفولكلور العربي ــ مجلة التراث الشعبي-العراقية ــ ع 10 س 11 ــ 1980 ــ ص 188

3 ــ سمي بهذا الاسم لأن الطفل يكثر من الصراخ في الليل ، يعتقد الناس أن سبب بكائه

والاوْلِيَا حَبِيتْ
بِاسْمِ اللَّهِ شْفِيتْ (1)
العَلِي المُحْيِي والمُمِيتْ
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتْ وَبِهِ بْدِيتْ (2)
وَبِجَاهِ النَّبِيّ وَالْقُرْآنْ صَلِيتْ
سْمِيتْكْ مُحَمَّدْ عَلَى النَبِيّ
اللِي جَا بِالْقُرْآنْ الحَكِيمْ (3)
فْهَرّ بِهِ الجِنْ وْزَادْ شْوَاطِينْ (4)
أُخْرُجْ يَا لَعِينْ مَا عَنْدَكْ وِينْ)) (5)

و يطلقون على هذه العملية اسم "الشريط" أو "التشراط"، يبدأ الشيخ قبل الوشم بهذا الدعاء والتضرع الى الله ،ثم يصلي على النبي و صحابته ، ثم يبرز حبه و وفاءه للأولياء • وتعتبر هذه المقدمة، في اعتقاد الشيخ طقسا ضروريا في كل عمل ديني يتعلق بالطب الشعبي ، وهي بمثابة العهد بين الله والشيخ من جهة وبين الشيخ والحكمة التي اكتسبها من أبويه و أجداده من جهة أخرى • وفي هذا الدعاء يُلقب الطفل (المريض) باسم محمد نسبة الى النبي عليه

هو مشاهدته لأشباح و أرواح تريد خطفه بعنف •

1 ـ شفيت = من الشفاء ومعناه أنني أشفي الناس باذن الله تعالى

2ـ بديت = بدأت

3 ـ أي الذي جاء بالقرآن الحكيم

4 ـ شواطين =الشياطين

5 ـ في هذا الجزء يأمر الشيخ هذه الأرواح بأن تخرج و تبتعد عن الطفل

راوي هذا الدعاء هو الشيخ : ز • محمد

من باب التشيل لتخليص الطفل من قبضة الارواح و الاشباح والارتفاع به الى درجة عالية من القداسة والطهر .

ومما ترويه بعض النساء بمدينة بلعباس أن امرأة تدعى " خيرة الرّحالية " [1] كانت كلما أنجبت طفلا مات ،وبعد فشل كل الطقوس الشعبية الأخرى كزيارة الاضرحة والاولياء ، أمرتها يوما امرأة ،يقال أنها من أولياء الله الصالحين ،بأن تشم لمولودها على جبهته قبل اليوم السابع ، ففعلت " الرّحالية " وعاش صغيرها ،وفعلت مع جميع أبنائها الذين جاؤا من بعده .

تؤكد هذه الرواية ما ذكرناه سابقا عن علاقة الوشم بالحياة والموت و هو أيضا ما ذهب اليه علي زيعور [2] لما رأى أن الوشم نوع من التضحية التي كان يتقرب بها الانسان البدائي الى معبوده كي يضمن منه حياة أطول ،لأن في الوشم يسيل الدم ،والدم عنصر مقدس و شراب الآلهة المفضل ،ومن ثمّ فالتزيف الذي تحدثه عملية الوشم ،هو نوع من الفداء أو التضحية الواجبة يقدمها الانسان من أجل ضمان حياته .

ومن معتقدات نساء منطقة "المسيد" [3] أن المرأة التي تشم فوق قدميها لا تنجب ،في حين نجد العكس في مناطق أخرى . وعلى العموم فهناك خلاف بين النساء حول هذا المعتقد ، وقد يعود هذا لبعد عهد تلك الطقوس ،ولكننا نرجح الذي يقول بالانجاب ، لأن الوشم

---

1 ـ لقبت بهذا الاسم لأنها كانت دائمة الارتحال بحثا عن دواء تشفي به أطفالها .

2 ـ ينظر ـ التحليل النفسي للذات العربية ـ بيروت 1977 ـ ص 154

3 ـ قرية صغيرة بالقرب من زفيزف ، وتعرف بقرية القباب فيها دفن الشاعر الشعبي مصطفى بن براهيم

يعني الخلود والحياة ومن ثمّ فالمرأة تشم لانجاب حياة جديدة . وهناك ما يشبه هذا المعتقد لدى الهنود ،فالوشم عندهم يجنب المرأة الترمل . وفي جنوب الهند ،تعتبر المرأة التي لا تشم جسمها بتصاميم معينة غير طاهرة ،ولا يسمح لها بلمس الذرة المعدة للتقشير أو بتقديم الطعام .(1)

وقد تكون "للخانة" ،وهي عبارة عن نقطة سوداء تكون تحت العين وظيفة سحرية هدفها حماية المرأة من العين الشريرة ،ومع مرور الزمن تحولت الى وظيفة جمالية ،حيث أصبحت تمثل عند كثير من الرّجال بؤرة الجمال الانثوي .

وتظهر الأبعاد السحرية للوشم في كثير من المعتقدات العالمية فهو عند قبائل "اندمان " Andaman "من الممارسات الضرورية . أما في مقاطعة "بيهار" Bihar " فانه يعد من العار على النساء اللائي لا يشمن أجسادهن .(2) ويعتقد "الاسكيموا" أن الشخص غير الموشوم جيّدا يذهب بعد موته الى الجحيم ،لأن الوشم بمثابة الازهار أو الرموز التي ينبغي أن يتقدم بها الانسان بعد موته الى الرب . و يعتقد الهنود أن عدم وجود الوشم يثير غضب "ياما" الّه الموت، كما أن استعمال الوشم يجلب الثروة لصاحبه .(3)

---

1 ـ ينظر ـ الوشم (دراسة ثقافية ـ اجتماعية) تر: دولة موسى ـ مجلة التراث الشعبي ـ ع ـ 11 ـ س ـ 10 ـ 1979 ـ ص: 54

2 ـ ينظر المرجع السابق ص: 52

3 ـ ينظر ـ م .ن ـ ص: 54

البعد الاجتماعي للوشم :

يتجلى هذا البعد ،في المعتقد القائل بأن الوشم كان يستعمل للتمييز بين نساء القبائل والاعراش،وبين النساء العربيات والنساء الفرنسيات ، فقد كان لكل قبيلة رموز وشمية معنية تميزها عن القبائل الأخرى . فإذا ما وقع خلاف أو حرب ،فإنهم يستطيعون بواسطة تلك الرموز تمييز نسائهم . وقد أشار عبد الرحمن الجيلالي الى هذا المعتقد فقال : ((وكان مما يراد بالوشم عندهم التمييز بين العشائر و القبائل حتى لا تختلط نساء الحي بغيرهن في الحروب وفي مواطن الثورات و النزاع أيضا)) (1)

لكنه من الصعب اليوم تحديد رموز كل قبيلة أو عرش في منطقة سيدي بلعباس ،لأن هناك تمازجا كبيرا بين هذه القبائل و الاعراش ، كما أن هناك خلطا بين الاشكال ،لأن بعض النساء من اللواتي كن يمارسن البغاء ،كن يغيرن أشكال وشومهن ، و يستعرن أشكالا أخرى ، أو يخدشن وشومهن حتى لا يعرفن .

ولكن على الرغم من ذلك ،فقد حاولنا تتبع الرموز التي تميز قبيلة بني عامر ، فأحصينا منها ما يلي :

- الرمز الاول ، نقطة على الخد الايسر
- الرمز الثاني ، نقطة على الجبهة
- الرمز الثالث ، خط منحدر من وسط الشفى السفلى الى نهاية رأس الحنك (2)

---

1 - تاريخ الجزائر العام - الجزائر و بيروت 1982 - 46/3

2 - ينظر الشكل رقم : 6 ص: 247

و للوشم أبعاد اجتماعية أخرى ،تتجلى عند شعوب مناطق كثيرة ، ففي اليابان مثلا ، كلما كان الوشم دقيقا و ممتدا على مساحة كبيرة من الجسد ، دلّ على مركز اجتماعي مرموق (1) . و يعلق الهنود الحمر أهمية كبيرة على الوشم ، و هو عند قبيلة (أبور) في سيام يدل على الشرف و الرفعة ،وبدونه لا يسمح للفتى بالزواج (2) .

الأبعاد الجمالية لأشكال الوشم :

تتجلى الابعاد الجمالية للوشم في تناسق أشكاله و تناظرها ومن هذه الأشكال ، النقاط و الخطوط والدوائر و نصف الدوائر ،والمثلثات والمربعات ، ومنها ما هو على شكل رسومات نباتية و حيوانية ،أو على شكل حروف وكلمات معينة .

وقبل الوقوف عند لغة هذه الأشكال ، نشير أن لكل منها اسم خاص،ووظيفة معينة، وأيضا مكانا خاصا من الجسم ، ويبدو أنها لا تختلف كثيرا عن أشكال الصناعات التقليدية ،كأشكال الآواني الطينية والنحاسيّة والنسيجية . وقد كانت هذه الاشكال فيما مضى ((تعني رسوما لرموز إلهية)) (3) ثم تحوّلت الى أغراض اعتقادية لها وظائف سحرية ، ومع مرور الزمن إكتسبت هذه الاشكال أبعادا جمالية ،عندما اتخذت النساء من الوشم زينة لهن، وصار بمثابة الحلي والمجوهرات .

---

1 - ينظر - محمد رياض - الانسان (دراسة في النوع والحضارة) - ص: 375

2 - ينظر - الوشم (دراسة ثقافية - اجتماعية) تر: دولة موسى - مجلة التراث الشعبي - ع11 - س10 - 1979 - ص: 53

3 - رشيد الناضوري - تاريخ المغرب الكبير (العصور القديمة) - بيروت 1981 - 228/1

1 - وشوم الحنك :[1]

تتخذ وشوم الحنك عند نساء المنطقة أشكالا متنوعة وهي في معظمها تبدأ بخط من أسفل الشفة السفلى ، لينتهي عند رأس مثلث الحنك ، وقد يستمر هذا الخط نحو الاسفل الى بداية الرقبة ، حيث يتفرع الى فرعين منحدرين نحو الصدر . وبجانب هذا الخط تمتد نقاط كثيرة . و أشكال وشوم الحنك متعددة ، كما أشرنا ، ويصعب الإلمام بجميع رسومها .

ومما لا شك فيه أن هذه الاشكال قد تطورت بانتقالها من جنوب المنطقة الى شمالها ، ومن أريافها الى مدنها . فالدّارس لهذه الاشكال يلاحظ إختلافا جوهريا بين وشوم نساء الجنوب و وشوم نساء الشمال (المدن) ، ويتمثل هذا الإختلاف في العناصر التشكيلية لهذه الوشوم ، فوشوم الشمال متميزة بدقة رسمها واختزال خطوطها وصغر نقاطها وقلتها . أما وشوم نساء الجنوب (رأس الماء قلاغ ، بئر الحجاج) فتتصف بخطوطها العريضة المتشابكة ونقاطها الكثيرة . ويمكن القول أن الوشم قد بدأ في الارياف الجنوبية ولم يأخذ صبغته الجمالية النهائية الا بعد أن انتقل الى مدن و قرى الشمال كمدينة بلعباس وما جاورها ، حيث تمّ اختيار أبسط الاشكال و أجملها .

2 - وشوم الجبهة :[2]

تتخذ وشوم الجبهة أشكالا مغايرة نوعا ما لأشكال الحنك ، من حيث أنها لا تعتمد على النقاط الكثيرة ، وهي تأتي إما وسط الجبهة ، أو متوازية مع الحاجبين ، بحيث

---

1 - ينظر الشكل رقم : 6 ص: 247

2 - ينظر الشكل رقم : 7 ص: 248

تعطـــي صـــورة جمـالية رائـــعـة ٠

تعتقـــد السيدة : الحاجـة خديـــجـة أن لوشـــوم الجبهـــة دلالـــة دينـــيـة ، ولذا فهـــي تُتـــقى وشـــوم " الـــسجادة " ٠ وللسجادة أو السجدة وظيـفـة دينيـــة كما هـــو معلـوم ، ويـــذهب الاعتقـــاد بـبعض النســـاء الى القـــول بأن الانســـان الذي يـــشم " سجـادة " على جبهتـه ، فـإن اللـــه لـن يعـذبـه ٠ ومـمـا يـــؤكـد هـذا الاعـتـقـاد مـا نـجـده عـنـد قـبـائـل "الماوري" وكذلك لـدى قبائـل "بـراغـواي" ، حيـث كانت وشـــوم الجبـــهة تـــتم في جـــو شـــبـه ديـــني (1) أمـا عنـــد سـكـان جـــزر "الهـــاواي " فهـــي تشـــيـر الى العبـود يـــة (2)

و يـــلاحـظ أن وشـــوم الجبهـــة ، أقـــل جـــمالا مـــن وشـــوم الحنـــك ، وقـــد يرجـــع ذلك الى اقتـراب وشـوم الحنك مـــن الشفتيـــن اللـــتيـن هما مـــوطـن الجمال عند العربـي عمـــوما ٠ ولذا أيضـــا كـــان الحنـــك يتميـــز بـ ((حبة ابـــن العـــم)) ، وهـــي نقطـة واحـــدة تحت الشفـة الســـفلى ، وسميت بهذا الاســـم لتـــدل على العـــلاقـة العاطفيـة بيـــن الرجـــل والمـــرأة ٠

3 ـ وشـــوم الاطـــراف (3) :

وهـي وشـوم منتشـرة عند أغـلـب عـجائـز المنطـقـة ، وتبـدأ مـــن الأصـابع لـتـنـتـهـي عند المرفـقـيـن بالنسـبـة للـيديـن ، وعند لحمـة الســاق بالنسـبـة للرّجليـن ، وتأتـــي هذه الوشـــوم فـي أشكـال كثـــيـرة

---

1 ـ ينظر ـ ابراهيم الحيدري ـ اثنولوجيا الفنون التقليدية ـ سورية ـ 1984 ـ ص 82

2 ـ ينظر ـ الوشم (دراسة ثقافية ـ اجتماعية) تر: دولة موسى ـ مجلة التراث الشعبي ـ ع 11 س 10 1979 ـ ص 53

3 ـ ينظر الشكل رقم : 8 ص 249 ، 250 ، 251

ومتنوعة ،منها "الرّقادية" [1] ،وسميت بهذا الاسم إشارة الى "الرُقاد" بمعنى النوم ، لأن وظيفتها وظيفة جنسية ، فهي بمثابة الوسادة لرأس الزوج أو العاشق . وللساق أيضا وشم من الامام والخلف ، و هي أيضا للاثارة الجنسية،ولاغراض سحرية أخرى كتلك التي أشرنا اليها سابقا ، ومن هذه الاشكال "السهولة" و"الناصية" ،و"جرة اللفعى" ، و "عين الحجلة" ،و "الخلخال" .

ونشير أخيرا، أن الوشم أصبح الآن يفقد أهميته التزينية ،عند نساء المنطقة ، بسبب توفر وسائل الزينة الحديثة

4 - وشم الرجال [2] :

أ - وشم الشيوخ : وهي تشبه الى حد بعيد وشم النساء لكنها لا تنتشر مثلها في جميع أطراف الجسم ، وتقتصر على مكان واحد وهو اليد . والظاهر أن هذه الوشوم كانت لاغراض سحرية وصحية كرد العين وابعاد الحسد و المكروه . ونشير في هذا الصدد أننا لم نقف على تفسير شعبي لهذه الوشوم ، و أغلب أولئك الشيوخ لا يعرفون أسباب وشومهم لتلك الاشكال .

ب - وشم الشباب : الوشم عند هذه الفئة ،تعبيرعن الذات الممزقة بين مطالبها النفسية ، ومشاكلها العائلية و الاجتماعية ، فالرسومات التي تشخص انشطار القلب الى شقين ، لها ما

---

1 - تسمى في بلاد الشرق العربي ((وسادة ابن العم))

2 - ينظر الشكل رقم : 9 ص 252

يؤكد خلفيتها المأساوية ، كالفراق أو النزاع أو الفشل ، فالادوات التي يشخصها الواشم تتعدد في أنماطها ، كالسيف والرمح والنهل ... وكلها مكرسة للتدليل الرمزي على الوازع أو الباعث المكدر لصفو الشعور ، وقد يرمز لدى البعض على الإيغال الشعوري في العلاقة العشقية الى حد الانشطار والانفصام النصفي .

البعد الجنسي للوشم :

تؤكد مختلف الروايات الشعبية ، على أن الوشم كان يتم في مرحلة معينة من حياة الفتاة ، وهي مرحلة "البلوغ" على حد التعبير الشعبي . وهنا نطرح السؤال التالي : ما علاقة الوشم بهذه المرحلة ، وهل لذلك إرتباط بقضايا التحريم أم أن له دلالات أخرى ؟

أن إرتباط الوشم بهذه المرحلة ، يعد حدثا هاما ومميزا بالنسبة للحياة الجنسية عند الفتاة ، لأنه يعبر عن نضجها الأنثوي ، وبداية إنتقالها الى مرحلة جديدة من حياتها . وفي هذا الصدد ، ذكر لنا السيد : م . العيد ، أنه كان يُمنَعُ ويُحَرَّمُ على الفتاة أن تلعب مع الأطفال بعد أن يوشم لها .

ومما يؤكد هذا البعد عند الرّجال ، هو ربط هؤلاء بين القيم الجمالية للوشم ، والحياة الجنسية عند المرأة ، فالمرأة الموشومة امرأة جميلة تحرك مشاعر الجنس عند الطرف الآخر ، بينما تكون الخالية منه فاقدة لأنوثتها ، وهي أشبه بالرجل . ومما لا شك فيه أن النساء قد أدركن هذه الوظيفة للوشم ، فرحن يكشفن عن وشومهن في مناسبات معينة ، وخصوصا في حفلات الزواج عندما

يرقصن. والى جانب هذا فقد كان الوشم عند بعض الرجال شرطا أساسيا للاقبال على الزواج ، وكان بعضهم يدفع أموالا كبيرة كي يشم لزوجته أو محبوبته . تقول الاغنية الشعبية:

((الخانة الزرقة طابعلك خدك
وأنا قالعة بويا
وردي التيقار
وأنا نخلص العمرية))(1)

وفي نص آخر:

((مول الحلحال يبكي ويسال
على موشمة لعيقان))(2)

هكذا يتضح أن الوشم كان عند المرأة ،بالاضافة الى أنه وسيلة جمال ، عبارة عن تعويذة سحرية تحملها لاثارة كوامن الرغبة الجنسية عند الرجل . وبعيدا عن معتقدات المنطقة فجد قبائل " بوليشان " Bukkan "تعتقد أن الوشم يستخدم للاثارة الجنسية ، فوشوم الفخذ والعانة والبطن كلها تؤدي هذه الوظيفة .(3) وفي العراق ،إعتاد رجال العشائر حثّ نسائهم على الوشم ، حيث نجدهم يقدمون لهن مبلغا من المال يسمى " حق الدك " لغرض التجميل والتزيين .(4)

---

1 - طابعلك خدك = بمعنى أضفت عليك جمالا - قالعة بويا = تدل على شدة العشق
دري التيقار = بمعنى الوشم - العمرية = المرأة التي تشم للنساء .

2 - مول الحلحال = كناية عن الرجل - يسال = يسأل - لعيقان = الارجل

3 - ينظر - الوشم - تر: دولة موسى - مجلة التراث الشعبي - ع 11 السنة 10 - 1979 - ص: 53

4 - ينظر - ليث الخفاف - الوشم وحدة الفولكلور العربي - مجلة التراث الشعبي - ع 10 - س 11 - 1980 - ص: 187

وفي المغرب الاقصى كانت تزين العروس بالوشم و الحناء ،برموز وأشكال انتقلت اليهم عبر حضارة وادي النيل من الثقافات الآشورية والكلدانية.(1) وكانت المرأة السومرية أولى النساء اتخذن الوشم زينة لهن من الألف الخامس قبل الميلاد ، وعرف أيضا عند قدماء المصريين منذ الامبرلطورية المتوسطة في حوالي الألف الثاني قبل الميلاد.(2)

البعد السياسي للوشم:

يتجلى البعد السياسي للوشم عند فئة الشباب على الخصوص، وهو يعد تعبيرا رمزيا عن رفض الانسان للنظام والسلطة ، أو عن انتمائه لحزب معين . ويكون شكل وشم الرفض عبارة عن نقاط ثلاث بين الابهام والسبابة ،في حين يكون شكل الانتماء عبارة عن نجمة و هلال ،مثل ما هو الحال عند بعض شيوخ المنطقة الذين كانوا ينتمون الى حزب جبهة التحرير الوطني .

ومما يندرج ضمن هذه الأبعاد ،عند شعوب أخرى ما كان يقوم به ملوك "بورما" ، حيث كانوا يضعون علامات وشم كعقاب للمجرمين السياسين غير القابلين للإصلاح ، فيشمون بدائرة على خدودهم ، أو بعنوان الجريمة على صدورهم.(3)

---

1 ـ ينظر ـ ليث الخفاف ـ الوشم و وحدة الفولكلور العربي ـ مجلة التراث الشعبي ـ ع10 س11 ـ 1980 ـ ص 184

2 ـ ينظر ـ المرجع السابق ص: 184

3 ـ ينظر ـ الوشم (دراسة ثقافية ـ اجتماعية) ـ تر: دولة موسى ـ مجلة التراث الشعبي ـ ع11 س10 ـ 1979 ـ ص 53

الوشـــامـــون:

إن ارتبـــاط الوشـــم بالسحـــر ، و الممارسات الوشمـــيـة بالمعتـــقـدات السحـــرية ، جعـــل السحـرة والساحرات هـم الذيـن يتـــولـون القـــيام بهـــذه الممارســات ، ويطلـق سكـان بلعبـاس على هـــؤلاء إسـم " العمريات " مفردها "عمريـة" أو "عمّـار" و هـــم مجموعـة مـن الأســـر ، لا تـزيد عـن الأربـع الا فـي حالا ت خـاصـة ، تسكـــن الخيام ، معهـم مجموعة من الخيول و البغال والكلاب يعتمدون عليهـا في حياتهـــم الترحاليـة والأمنيـة ، و هـم لا يستقـرون في المكان الواحـد أكثـر من شهـــر ، ويعتمـدون في عيشهـم على ما يكسبـونـه من أمـوال ، مـن خـلال ما يقـومـون بـه من وشـــوم و سحـــر للنـــاس.

ويـــلاحظ أن هذه الأســـر تتـــناقـــل هـــذه الحرفـــة عـــن طريـــق الوراثـــة ، فالأم تعلـــم إبنتـهـا وتدربـــها على ذلك منذ نعـومة أظفارهـــا ، لأن النظـام المتبع عند هـــذه الجماعات هو النظـام الأمـوسـي ، حيـــث المـــرأة ربـة البيت و ركيزتـه ، "فالعمريـة هـي التي تقـــوم بكـل الطقـــوس والوظـــائف الشعائـــريـة في ميـــدان الوشـم والسحـــر ، أما الزوج فدوره يقـــتصـر على حـــراسـة الخيـــمـة وجمـــع الكلأ للخيـــل التي هي أســـاس تنـقلهم من مكـــان الى أخـــر ، ومـــن مهـامـه أيـضـا ، أنـــه ينتقـــل الى المكـان المرغـوب الأنتـــقال إليـه ، وهذا للإطـلاع على ما يجـــري فيـــه ، ويعـد هذا العمل مرحـلة أولى تسـاعـد على معرفـة وفهـم مشـاكـل سكـــان هذا المكان ، وبـالتالي محاولة التكيـف معهـا أثنـاء ممارســة الطقـوس السحـرية على الخصـوص .

وتتمـــيـز هذه المجموعات بقـلة أطفالهـــا ، وزادهـــا ، وذلك راجـــع الى طبيـعـة حياتهـا التي تحتـم عليـها الخفـة كي يكـــون التنقـــل

سهلا وغير متعب . وتكتفي هذه الأسر في غذائها في أغلب الأحيان، على ما تأتي به نساؤها " العمريات" من طعام حين عودتهن من أعمالهن .

ومن صفات " العمريات " أن معظمهن جميلات ،وكثيرات الكلام يبدين خضوعا للرجال ولكن سرعان ما يمتنعن بعد الحصول على أموالهم ومما لاشك فيه أنهن يمتلكن خبرة واسعة ومعرفة كبيرة بمشاكل النساء النفسية على الخصوص . وقد ساعدتهم هذه الخبرة احتواء مشاعرهن والإستحواذ على أموالهن ومجوهراتهن .

وهن يحملن معهن أدواتهن من إبر الوخز و الصباغة التي تحضر من عصير بعض النباتات ، أو الكحل ،أو "النيلة" [1] وبعض الادوية الشعبية تسمح بمعالجة بعض الاخطار التي قد تصيب الواشم أو الواشمة أثناء العملية. ولعل ما يمكن ملاحظته واستنتاجه من خلال التأمل في وشوم نساء المنطقة ، أن "العمريات " كن يمتلكن قدرة كبيرة على الرسم والنقش على جسم الانسان ، فهن يعرفن أنواع البشرة وما يصلح لها من لون ، ويعرفن مواطن الاثارة النفسية ،وكيف يتجنبن العروق ، فلا تنفتح مغالقها ويسيل دمها .

ومن التراتيل الطقوسية التي كان يؤديها الوشّام أثناء عملية الوشم ،ما ذكرته لنا الحاجة خديجة [2]:

((يَا الوَاشْمَة ، وْيَا الوَاشْمَة

---

1 ـ مادة زرقاء كان أهل بلعباس يستعملونها للصباغة .

2 ـ تحمل هذه المرأة على وجهها وأطرافها أشكالا وشمية كثيرة .

لَا تَقُـــولِي ، أَحْ ، أَحْ
رَاهْ جِلْـــدَكْ بَاغِـي لْجْـــرَاحْ
يَـا الوَاشْمَة ، وْيَـا الزِّينَة
لَا تَقُـــولِي ، أَحْ ، أَحْ
وْرَاكِ رِدرِي فِي التِقَـارْ لِعُولْ الدَّارْ»)[1]

يعتمد هذا الترتيل على التكـــرار ، الذي هو أســـاس بناء الحقـــل الايـقـاعي المتعاقـــب ، و لهـذا الايـــقـاع وظيفـة سحريـــة تهـز المشاعر مما يجـعـل المرأة تستســلم لوخزات إبـر الوشّـام في خضـــوع وسكينـة تنسيهـا آلامـهـا . ونشـــير أخيـــرا أن هذا الترتيـل يبـدأ مع بداية العملية وينتهـي بنهايتهـــــا .

---

1 ــ راه جلدك باغي لجـراح : خطاب موجـه الي الواشمة بأن جلدهـــا مستعد لتحمل جرح الوشـم ، والهدف من الجملة هو طمأنـة هذه المرأة حتى تتحمل آلام الوشم .

الباب الثاني :

الكائنات الخفية وأثرها في تشكيل فلسفة المعتقدات الشعبية

- الفصل الأول : صورة الجن والملائكة في المعتقد الشعبي
- الفصل الثاني : صورة الغول والارواح في المعتقد الشعبي

كان الانسان البدائي ، يعتقد في العلاقة المستمرة بين عالمه المحسوس وعالم الكائنات الخفية كالجن والملائكة والغيلان والأرواح ، فهما يشكلان في تصوره عالما واحدا ، وأن هذه الكائنات لا تنفصل عن مجموع الكائنات المرئية ، ومن ثمّ فهي تشغله أكثر من غيرها . (1)

ومما لا شك فيه أن مجتمعنا الجزائري قد لجأ ، كما تؤكد ذلك معتقدات منطقة بلعباس ، في ظروف عانى فيها الحرمان والفقر والجهل الى الاعتقاد في هذه الكائنات ، حيث نسج حولها الحكايات والاساطير، وآمن بقدرتها وسيطرتها عليه ، وراح يتخذ لها وسائلا تقيه منها كالتعاويذ والرقى السحرية ، معتقدا أنها الضمان الوحيد الذي يساعده على دفع شرها .

ولعل من أهم الاسباب التي رسخت هذا الاعتقاد وروّجت له، ما كان ينشره بعض المشعوذين من "الطّلبة" ، من حيث أن لهذه الكائنات قدرة للسيطرة على الانسان إن هو خالف بعض التعاليم الطقوسية المتعلقة بها . كما أن ذكر الاسلام لعالم الجن والملائكة ، وتحوير العقلية الشعبية لما جاء به ، زاد في هذا النوع من الاعتقاد .

وعليه فإن ما يهمنا في هذا الباب ، هو محاولة الوقوف على مصادر وصورة هذه الكائنات كما ترسمها المخيلة الشعبية من حيث شكلها ، ومكان وجودها ، ومدى تأثيرها على حياة الناس ، وباختصار معتقدات سكان بلعباس حول هذه الكائنات .

---

1 - ينظر - ليفي برايل - العقلية البدائية - تر: محمد القصاص - ص: 53

● الفصل الاول :

صورة الجن والملائكة في المعتقد الشعبي

وقبل البدء في تحديد صورة الجن كما ترسمها المخيلة الشعبية، نشير أن هناك ثلاثة أصول تستمد منها هذه المخيلة تصوراتها ومعتقداتها حول الجن وغيره من الكائنات الخفية .

1 - المعتقد الاسلامي .

معروف أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، قد أشارا بشيء من التفصيل الى عالم الجن والملائكة، بحيث وردت آيات(1) و أحاديث كثيرة في هذا المجال، تتحدث عن طبيعة هذه الكائنات و أنواعها و مراتبها و علاقتها بالانسان . و أول شيء يقرره المعتقد الاسلامي عن الجن، أنه كائن مخلوق من نار قال تعالى : ((وخلق الجانّ من مّارج من نّار))(2) والجن طوائف كثيرة، مثله مثل الانسان، يقول تعالى على لسان الجن : ((وأنّا منّا الصّالحون ومنا دُونَ ذلِكَ كُنّا طَرائِقَ قَدَدًا))(3) ومن صفات هذا الكائن أنه يتشكل في صور متعددة، وهو قوي و سريع، فقد أخبرنا القرآن كيف أن عفريتا من الجن تعهد لسيدنا سليمان بإحضار عرش ملكة اليمن الى بيت المقدس في مدة لا تتجاوز قيام الرجل من جلوسه ((قَالَ عِفْريتٌ مِنَ الجِن : أنا آتيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ وإنّي عَلَيهِ لَقَوِي أمِين))(4)

---

1 - ينظر - سورة الحجر آية 27 - الانعام 130، الرحمان 31 - 34 - الاحقاف 29

2 - سورة الرحمان، آية 15

3 - سورة الجن آية 11

4 - سورة النمل أية 39

2 ـ المعتقد الجاهلي :

الجن في العقيدة الجاهلية خلق من بيضة كما ذكر المسعودي[1] في كتابه ، وهي أنواع كثيرة ، منها العامر وهو الذي يسكن مع الناس ، ومنها الارواح والشياطين والعفاريت ، وقد تتقاتل هذه الأنواع أو الطوائف ، فيثير قتالها عواصف الغبار ولذلك فسر الجاهليون حدوث العواصف والزوابع بفعل الجن[2] وكان العرب يعتقدون أن الجن تسكن في ديار وبار التي يقال عنها أنها كانت من أخصب بلاد الله ، فإن دنا منها أحد من الناس حثت في وجهه التراب وسفت عليه سوافي الرمل و أثارت عليه الزوابع ، فان أراد الرجوع تيّهته وربما قتلته[3]

وكانت بعض القبائل العربية ترى في الجن صورة الاله المقدس فعبدته و تقربت إليه بالذبائح خوفا منه و تجنبا لأذاه ، وقد جعلت هذه العقيدة الجن آلهة ، بل أكثر سلطة ونفوذا منها . وباختصار فقد كان العربي يرى في الجن كل ما يراه البدائي في طوطمه ، فكان ينسب الافراد والقبائل الي نسل الجن ، كما قيل عن بني مالك وبني شيصان ، وبني يربوع وكلهم عرفوا ببني السعلاة[4]

---

1 ـ ينظر ـ مروج الذهب ـ بيروت ـ د.س ـ 2/ 158

2 ـ ينظر ـ جواد علي ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ـ 6/ 711

3 ـ ينظر ـ المسعودي ـ مروج الذهب ـ 2/142

4 ـ ينظر ـ الكلبي ـ الاصنام ـ ص34 ـ وهناك آيات قرآنية تدل على تقديس بعض العرب للجن ، منها الانعام آية 100 ، الصافات آية 158 .

5 ـ ينظر ـ جواد علي ـ المفصل ... 6/ 714

3 - المعتقد الفارسي :

ليس من السهل أن نتجاهل التأثير الذي مارسته بعض عناصر المعتقد الشعبي الفارسي على المعتقدات الشعبية في مختلف البلاد العربية والاسلامية . ولعل أكبر منفذ لتلك التأثيرات حكايات ألف ليلة وليلة التي ترجع في أصلها الى حكايات فارسية شعبية قديمة . فقد استطاعت هذه الحكايات أن تجد طريقها الى المعتقدات العربية على أوسع نطاق ،لأن الذوق العربي ،عموما ، يشبه مشابهة تامة الذوق الفارسي (1).

تصور المعتقدات الفارسية الجان الاناث في صورة حوريات حسيات ، في حين تصور الجان الذكور في صورة أرواح شريرة مؤذية ، كما أنها تشير الى علاقة الانسان بهذه الكائنات وتعامله معها . (2)

وأخيرا ،فلقد فتحت هذه الأصول أمام المخيلة الشعبية مجموعة من التصورات الخرافية والأوهام الغيبية ،كانت دوما تعمل على تأسيس المعتقد الشعبي العربي بعامة والجزائري (3) بخاصة ، وتبرير كثير من جوانبه الغامضة .

---

1 - ينظر - أحمد أمين - فجر الاسلام - بيروت 1975 - ص 113

2 - ينظر - ألف ليلة وليلة - بيروت - د.س - 1/35 وما بعدها (الليلة السادسة)

3 - ينظر تفصيل ذلك في : روزلين ليلى قريش - القصة الشعبية الجزائرية .. الجزائر 1980 - ص. 190

تلمسان
مكتبة
معهد الثقافة الشعبية

صـــورة الجن في المعتقد الشعبي البلعباسي :

يجـــد أهـــل بلعبـــاس الجـــن في صـــور كثيـــرة ومختلفـــة نـــذكـــر منـــهـــا :

1 ـ يعـــتقد بعـــضـــهـــم أن الجـــن يتجـــســـد في أغلـــب الأحيـــان ،فـــي صـــورة كـــلـــب أو قـــط أســـود يمـــكن معـــرفتـــه بالنـــظـــر الى عينـــيـــه ، فـــإن كانتا محمـــرّتيـــن فهـــو جـــن ، وإن كانـــا غير ذلـــك ،فهـــو كلـــب أو قـــط حقيـــقـــي . وهناك من يعتقـــد أن الكلـــب و القط يتحـــول كـــلاهما في الليـــل الـــى جـــن ، و يعـــودان الى طبيعتهـــمـــا في النهـــار ، ولذا فان عـــواءهـــمـــا ليـــلا نـــذيـــر بالنـــوم ،و هـــو يبعـــث على الخـــوف و الخيبـــة .

ومما يـــروى في هذا الصـــدد ، أن كلـــبـــا كان يـــأتي ،كل يوم ، جـــزارا فيـــقـــف ببـــابـــه لعلـــه يحصـــل على عظـــم أو بقـــايا لحـــم ، واستمـــر الحـــال أيـــامـــا معدودات ، وذات مســـاء ،أبـــى الجزار إلا أن يـــتبـــع هذا الكلـــب ، فلمـــا وصـــلا الى مكـــان مهجـــور إختفـــى الكلـــب فجـــأة ،فعلـــم أنـــه جـــن وأخـــذ على نفســـه أن لا يضـــرب كلبـــا أســـود قـــط.

والـــواقع أن لـــهذه الصـــورة أو المعتقـــد ، رواســـب دينيـــة اســـلاميـــة، فقد أخبـــر النبـــي عليه الصلاة والسلام أن مرور الكلـــب الأســـود يقطـــع الصـــلاة ، ولما سئـــل عـــن سبـــب ذلك قـــال بأن ((الكلب الاســـود شيطـــان)) [1] وروى ابن تيميـــة قـــولـــه ((الكلب الأســـود شيطـــان الكلاب ، والجـــن تتـــصـــور بصـــورتـــه كثيـــرا ،وكذلك بصورة القط الاسود ،لأن الســـواد أجمع للـــقـــوى الشيطانيـــة مـــن غيـــره ، وفيه قـــوة الحرارة)) [2] .

---

1 ـ عمر سليمان الاشقـــر ـعالم الجن و الشياطين ـجزائر ـ د س ـ ص: 25

2 ـ المرجـــع السابق ـ ص: 25

ونلاحظ في هذا المعتقد تركيزا قويا على اللون الأسود به تتحقق صورة الجن ،وبدونه تزول و تنعدم ، وهو الشيء الذي جعل ابن تيمية يلتفت اليه و يعتبره أجمع للقوى الشيطانية . وهكذا يتضح لنا أن للألوان وظائف رمزية عميقة في عالم المعتقدات الشعبية فاذا كان اللون الابيض عند بعض سكان المنطقة يرمز الى الملائكة فان اللون الاسود[1] يرمز الى الجن و يوحي بفكرة الموت كما سبق و أن أشرنا ، ومن ثمّ فان ارتباط الجن باللون الاسود هو في الحقيقة ارتباط الجن بالموت و الخوف وكل ما يمكنه أن يثير في النفس بواعث القلق و الاضطراب .

كما أن العلاقة بين الكلاب و القطط ،وبين الجن والشياطين علاقة قديمة تعود الى المعتقدات و الديانات البدائية الاولى ، فقد كان الكنعانيون يعتقدون في القوة السحرية التي تشعها أجساد القطط والكلاب ، وأن دخول كلب أسود أحد المعابد نذير بموت الاله ، وكانوا يتشاءمون من نهاح الكلاب ومواء القطط ليلا ، ويتهمونها باستدعاء الشياطين و تلقى الاوامر منها لالحاق الاذى بالسكان وهم نائمون مطمئنون .[2]

ويعتقد بعض الناس أن الجن الذي يتجسد في هذه الصورة ،يعتبر من أخطر أنواع الجن ، بحيث أنه اذا مسّ الانسان بضر ، فلا كاشف له الا بذبح جدي أسود و زيارة ضريح سيدي يوسف وهنا نلاحظ كيف تطرح العقلية الشعبية اللون الاسود مرة

---

1 - قد تتغير هذه الدلالات عند شعوب أخرى ،فيكون الاسود لجلب الحظ والخير ينظر - سامية حسن الساعاتي - السحر والمجتمع - بيروت 1983 - ص 41 ، ويكون الابيض رمزا للأشباح و العفاريت - ينظر - ابرهيم الحيدري - اثنولوجيا الفنون التقليدية - ص 76

2 - ينظر - سامية حسن الساعاتي - السحر و المجتمع - ص 19

شافية كعلاج لمرض كان سببه ، وهو طرح لا يختلف كثيرا عن طرح أبي نواس في قوله :

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ ... وَدَاوِنِي بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ (1)

2 ـ وهناك من يجسد الجن في صورة انسان قبيح المنظر أسود اللون ، طويل الشعر والاظافر ، له قرنان ، ورجلاه ظلفي حمار . ويعتقد هؤلاء أن الجن بهذا الشكل لا يظهر الا في الظلام أو في أزمنة معينة كمنتصف النهار أثناء الحرارة الشديدة ، فيكون على قارعة الطريق أو بجانب بحيرة أو واد .

ومن المرويات والاخبار الشعبية أن رجلا من حي قنبيطة من مدينة سيدي بلعباس (2) ذهب في يوم من الايام الى بحيرة سيدي محمد بن علي للبحث عن ابنه الذي تأخر هناك ، وكان الوقت غروب الشمس ، فلم يجد أحدا ، وبينما هو كذلك فاذا به يرى رجلا أسود عاريا له شعر طويل ، سرعان ما اختفى عن نظره ، فعلم أنه ((روحاني)) (3) وبنفس المكان يروي السيد م . صالح أنه رأى امرأة شديدة الجمال ، ولما سأل عنها قيل له إنها ((روحانية)) وأن كثيرا من الناس رأوها في هذا المكان .

إن ما يمكن ملاحظته في هذا المعتقد هو ذلك التقابل بين الصورتين ، صورة الجن (الرجل) ، وصورة الجن (المرأة) أو "الجنية" كما يسميها أهل المنطقة .

---

1 ـ الديوان ـ بيروت ـ د س ـ ص 7

2 ـ تبعد عن مدينة بلعباس بحوالي 3 أو 4 كلم شمالا ، وسميت بهذا الاسم نسبة الى الولي سيدي محمد بن علي المدفون هناك ، يقصدها الناس في فصل الصيف للراحة والسياحة ، ويمكن أن تكون مركزا سياحيا هاما لو يعتني بها سكان المنطقة .

3 ـ اسم تطلقه العامة على الجن الذكر

الجن ← في صورة رجل ← قبيح المنظر
الجن ← في صورة امرأة ← جميلة المنظر

والواقع أننا لم نجد تفسيرا شعبيا لهذه المفارقة بين الصورتين لكن يبدو أن الصورة الاولى لا تختلف كثيرا عن صورة الغول ، وقد يعود هذا التداخل بين الصورتين الى الاعتقاد العربي القديم الذي يجمع بين صورة الغيلان والسعالى ، ويرى أنهما يشكلان طبقة واحدة [1] ، كما يمكن أن يكون نتيجة التأثير الذي تركته المعتقدات الفارسية على المعتقدات العربية ،لأن المعتقد الفارسي ،كما سبق وأن أشرنا ، يصور الجن الاناث في صورة جميلة ، عكس الجان الذكر الذي يضفي عليه كل عناصر القبح والتشويه ،و مما زاد في تشويه صورة الجن عند العامة ارتباطه بالأماكن القذرة كالمراحض و الحمامات ،والمياه الركضة .

3 - هناك من يعتقد أن الجن تأتي على هيئة زوبعة ترابية دائرية ، ويقول أصحاب هذا الاعتقاد : أنك لو رميت بسيف هذه العاصفة أو الزوبعة لرأيته يقاطر دما . ومن التعاويذ التي يرددها هؤلاء عند رؤيتهم لمثل هذه الزوابع :

((تَحَاصَلُوا وْتقَاتَلُوا مِنْ جِيتُوا تْوَلُوا))

بمعني اجتمعوا و تنازعوا وليقتل بعضكم بعضا ، وارجعوا الى المكان الذي جئتم منه . فهذه التعويذة عبارة عن طقس سحري يهدف الى تخليص الانسان من شر الجن وما تحمله له من مصائب و أمراض ،وفيها اشارة الى أن الجن لا تأتي

---

1 - ينظر - احمد شهاب الدين الهيتمي - الفتاوى الحديثية - دم - ص: 49

بـــهذه الصـــورة إلا فـي حالـــة واحـــدة ،وهـــي حالـــة الاقتتـــال فيمـــا بيـــنهمـــا .

وهناك ما يشبـــه هذا الاعتقـــاد عند العرب في الجاهليـــة ، حيث كانـــوا يعتقـــدون أن الجـــن حينما تتقـــاتل تثيـــر العواصـــف[1]. كمـــا أنـــه لازالـــت بعـــض الاوســـاط الشعبية في الجنـــوب التونســـي تفســـر زوبعـــة الريـــاح الصحـــراوية بأنهـــا قـــافلة من الجـــن تحـــمل عـــروســـا الى دار عريســـها[2].

4 ـ يعتقـــد بعض سكـــان رأس الماء و مرحـــوم أن الجـــن قـــد يتشكـــل فـــي صـــورة طـــائر كالبومـــة أو الغراب ، ولـــيس غـــريبا أن يعتقـــد هـــؤلاء بـــهذا الاعتقـــاد مادامت هذه الطيـــور قـــد ارتبـــاطت في الفكـــر الشعبـــي بالمـــوت والامـــوات كمـــا سبـــق وأن أشـــرنا الى ذلك.

نشـــأة الجن في المعتقد الشعبـــي :

الشـــائع بيـــن النـــاس ، أن الجـــن مخلـــوق من نار كما أكـــد ذلـــك القـــرآن الكريـــم ، لكـــننا عثرنا على روايـــة شعبيـــة بنواحـــي عين تريـــد يعتـــقد صـــاحبها[3] أنـــه لما بعث النبي عليه الصلاة والسلام ، آمنـــت بـــه جميـــع المخلوقـــات إلا الجـــن الذي كان على هيئـــة انســـان ، فضربـــه النبي عليه الصلاة والسلام ضـــربة جـــاءت على نصفـــه ، ومنذ ذلك الحيـــن بقـــي الجـــن على صـــورة نصف انســـان[4].

---

1 ـ ينظر ـ جواد علي ـ المفصل في تاريخ العرب قبـــل الاسلام ـ 6/ 711

2 ـ ينظـــر ـ صالح حمادي ـ دراسات في الاساطير و المعتقدات الغيبية ـ ص 62

3 ـ الشيخ و لد عبداللـــه من سكان هذه القريـــة الصغيرة .

4 ـ تذكرنا الرواية بقصة علقمة بن صفـــوان مع الشق ـ ينظر ـ المسعودي ـ مروج الذهب 2/ 160

وأخيرا يمكن القول أن هذه الصور لا تقف على مستوى واحد ، فهي تتراوح بين الشعبية الخالصة ،وما جاءت به كتب الدين والتراث الفكري من طقوس ومعتقدات عبر الازمنة والعصور . ومهما اختلفت هذه الصور فإن الجن سوف يبقى كائنا غريبا ،يجمع بين القوة والقسوة من ناحية ، والقبح والجمال من ناحية أخرى ، وستظل صورته مهولة ومخيفة لأن من طبيعة الخيال الشعبي أنه يجسد دوما مخاوفه على شكل مخلوقات عجيبة .

أنواع الجن و أماكن انتشارها :

من أنواع الجن التي تذكرها العامة و تشير اليها في أخبارها و قصصها الشعبية ،نذكر ما يلي :

1 - العبري : وهو من الجن اليهودي [1] و يسكن الاماكن المهجورة كالمقابر والجبال ، وهو في اعتقادها من أخطر أنواع الجن على الاطلاق لأنه يفقد الانسان عقله ،فيتيه في الأرض ، وقد يشنقه فلا يعلم به أحد .

2 - العفريت : ويأتي في الدرجة الثانية من حيث الخطورة ، من صفاته أنه يطول و يقصر الى ما لا نهاية ، وأنه يتمدد في الطريق بالليل ،فاذا قرأ على سمعه أحد شيئا من القرآن فرّ ولم يعد . و هو من الكائنات التي يتعامل معها السحرة كثيرا في استخراج الكنوز من باطن الارض،أو الحصول على الاشياء المرغوب فيها ، وقد يعود ذلك لما يمتلكه من قدرة عجيبة [2]

---

1 - لقد ذكر الامام الرازي أن في الجن مللا كما في الانس ، من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام - ينظر - التفسير الكبير - بيروت - د س - 31/28

2 - ينظر - القرآن الكريم - سورة النمل - آية 39 حيث قال تعالى ((قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ))

والعفريت ، كما يعتقد بعض "الطلبة" ، كائن متمرد يصعب تسخيره في كثير من الاحيان الا بشروط معينة منها قراءة التعاويذ السحرية السليمانية (1) ، واستعمال البخور .

3 - عبد النار : ويأخذ اسمه من المكان الموجود به و هو النار ، وهذا النوع يشبه العفريت على حد اعتقاد السيد م . محمد ، وهو من الجن التي يتعامل معهما "الطلبة" كثيرا ، ومن اختصاصه تهييج النساء والأتيان بهن الى الرجال . و يبدو أن هذا النوع هو الذي خاطبه شاعر المنطقة مصطفى بن براهيم (2) بقوله :

أَبْدَيْتُ فِي الجَدَاوِلْ نَرْسُمْ ... خَيَّرْتُ فِي الجْلُوبْ بَسْطَه (3)
مَعْلُمْ جْنْهَا مْتْحَكَّمْ ... لَيْلَةْ كْمَالْ فِي خْدَمْتْهَا
بَعْدَ أَنْ كَتَبْتْ صَرَّتْ نَعْزِمْ ... تَبْخِيرْ لِلْوَرَقْ طْمَاهَا (4)
حَتَّى بْدَا رْعَدْ يْزَقْلَمْ ... أَرْيَاحْ قَاوِيَة وْ بَرْقْهَا (5)

اسْبَاعْ جَاوْنِي وْلْبِيَة بَاشْبَالْهَا ... هَذَا يْزِيمْ الآخَرْ حَسَّةْ زْلْزَالْ (6)
الفَاعْ والحْنُوشَة بَعْدْ اصْحَاحَالْهَا ... واللَّهْ ما دْرَكْنِي خَوْفْ و تْذْلَالْ
حَتَّى لْفَاتْ خْنْقِي مْنِية نْحْتَالْهَا ... بْلْبَاسْهَا مْصَنَّعْ وْالحْلَي خْبَالْ (7)
فِي نْوْمَعَا لْهِيفَة مَحْلُولْ حْزَامْهَا ... والدُّورْ طَالْقَتْهْ مَصْبُوغْ اكْحَالْ

---

1 - نسبة الى سيدنا سليمان ،

2 - عبد القادر رعزة - مصطفى بن براهيم - الجزائر - د س ص: 163

3 - بعدما اختار الشاعر المرأة التي يريدها ، بدأ في ممارسته السحرية للاتيان بها مستخدما في ذلك الجن عبد النار .

4 - صرت نعزم = بمعنى بدأت في قراءة التعاويذ (الجداول) كما سماها في البيت الاول

5 - لما انتهي من التعزيم انطلقت الرعود وعصفت الرياح وأبرق البرق

6 - وبعدها ظهرت مجموعة من الحيوانات المفترسة (أسود وثعابين ...) فلم يخف منها

7 - وأخيرا ظهرت له المرأة بلباسها الجميل وحليها الكثير ، وشعرها الاكحل الطويل

تشير هذه الابيات الى معتقد سحري أشرنا اليه سابقا وهو الاتيان بالنساء الى الرجال ،عن طريق استخدام الجن (عبد النار) ٠ لكن ما يهمنا في هذا المعتقد ، هو صورة هذا الجني ، كما ترسمها هذه الابيات ، فبعدما انتهى الشاعر (الساحر) من رسم الجدول و قراءة العزائم ظهرت له مجموعة من الوحوش المفترسة، هي في الواقع صورا مختلفة لهذا الكائن ٠ (1)

وخاطبه ،أيضا الشاعر الشيخ يوسف بن محمد بقوله:

يَا عَبْدْ النَارْ غيشى قَلْبِى مْخَتَارْ يَا سُلْطَانْ الجْنُونْ عَنِي تْتحَزَمْ
جِيبْ امْحَالْ الجْنُونْ والعَقْدْ الصْرَصَارْ وأَهْلْ التَهْيِيفْ والمَحَبَة إلى تْعَزَمْ
مِنْ شُوفَة عَيْنْ فَاطْمَة قَلْبِي عَادَمْ (2)

4 ـ الروحاني : ويسكن كما تقول بعض الروايات الشعبية ، تحت الارض ،وبجانب الاضرحة والقباب ، وترى العامة أن هذا النوع من الجن مكلف بحراسة الكنوز ، وغالبا ما يظهر في صورة رجل أسود ٠

5 ـ الجني : و ينتشر في الحمامات والانهار و العيون والآبار و الأحواض ويظهر في صور مختلفة (رجل ،امرأة ،كلب ، سلحفاة ،٠٠٠) ويعتقد أهل بلعباس أن هذا النوع هو الذي يصيب الانسان بالأذى ٠

---

1 ـ انتقل مصطفى بن براهيم الى مدينة فاس وعاش فيها بشتى الوسائل ما يقرب خمس سنوات ،وهنا أكب على مخالطة الطلبة محترفا (اليقشة) (الرقية) وقد اشتهر (كيقاش) ونسبت اليه بعض الخوارق ٠ ينظر عبد القادر عزة ـ مصطفى بن براهيم ـ ص: 16

2 — Mohamed Belhalfaoui- la poesie arabe maghrébine d'expression populaire- François Maspero - 1973. P.158.

6 - العامر : أو ((عُمّار الدّارْ)) و يقصد به الجن والملائكة التي تسكن مع الانسان ، وهو الذي يقيم معه الناس علاقة طيبة تبدأ في أول يوم يسكن فيه الانسان بيتا معينا ،حيث يقوم هذا الاخير بذبح شاة أو دجاجة على عتبة هذا البيت ، ويهدي دمها الى هذه الكائنات كعربون على عهده و وفائه لها ،ويعرف هذا الطقس باسم ((تسيلت الدم)) بمعنى اسالة الدم . وهناك من يجدد هذا العهد في كل ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان بواسطة تقديم البخور لها .

الزواج من السعالى في المعتقد الشعبي :

يعد موضوع الزواج من السعالى (الجنيات) في المصطلح الشعبي ،من أخصب الموضوعات التي يقوم عليها جزء كبير من المعتقدات الشعبية الجزائرية بعامة و البلعباسية بخاصة ، حيث يعتقد بعض سكان قرية قائد بلعربي أن رجلا منهم اسمه بوسيف، قد تزوج بسعلاة ، وهو يعيش معها الى حد الساعة ،ويذهب بعضهم الى الاعتقاد بأنه أنجب معها أطفالا ، وهناك من ينتظر غيابه وانتقاله الى عالم الجن . ولعل من بين العوامل التي رسخت هذا الاعتقاد في نفوس سكان هذه القرية ،رؤيتهم لهذا الرجل يوميا وهو يحمل معه حليب الأطفال .

والى جانب ذلك فهناك أخبار كثيرة عن رجال يقال أنهم تزوجوا من السعالى، وأن بعضهم انتقل الى عالم الجن و لم يعد حتى الآن .

و الواقع أن الدارس لهذه المعتقدات يجد أنها تضرب بجذورها في أعماق التاريخ الانساني القديم ، فقصص ألف ليلة وليلة مليئة بشواهد كثيرة من هذا النوع . ومن أخبار العرب أن عمرو بن يربوع ، وجذع بن سنان ، و عمرو ذي الادعار كلهم تزوجوا السعالى ، بل و هناك قبائل بأسرها انتسبت الى الجن، كما سبق وأن ذكرنا .

لقد تبين لنا ، بعد استشارتنا لبعض شيوخ المنطقة ، أن هذا الاعتقاد ، عرف رواجا كبيرا قبل الاستقلال وبعده بقليلا . ومما لا شك فيه أن في هذه الفترة شهد المجتمع الجزائري أنواعا من الحرمان والظلم الذي كان يمارسه الاستعمار والسلطة، ومن ثم فكرة الزواج من السعالى والانتقال الى عالمهن ، ما هي الا تعبير عن رفض الانسان لواقعه الاجتماعي والسياسي من جهة ، وحبه ورغبته في حياة ومستقبل أفضل من جهة أخرى . فهذه الفكرة (المعتقد) تهدف الى تحقيق الاتصال بين الواقع النفسي والاجتماعي المنهارين والواقع (الحلم) المنشود ،المرغوب تحقيقه ، وهي الى جانب ذلك ترسم ((شوق الانسان الدائم الى التفوق على كل ما لم يفهمه من مظاهر القوة الخارقة حوله)) (2).

ويعتقد بعض سكان المنطقة أن الزواج من السعالى لا يتم الا بشروط معينة منها أن لا ينظر الانسان الى السعلاة في أوقات معينة وخصوصا عند الوضع ، وأن لا يفشي سرها الى الناس، وأن

---

1 - ينظر - جواد علي - المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام - 6 / 714

2 - فاروق خورشيد - عالم الادب الشعبي العجيب - دم - 1983 - ص 50

يستزن بغيرها مهما كانت الظروف والاسباب .

معتقدات حول صرع الجن للانس وعلاجه : (1)

من المعتقدات الشائعة في الوطن العربي بعامة والتراب الجزائري بخاصة ، اعتقاد الناس في قدرة الجن على صرع الانس ، ومما يؤكد هذا الاعتقاد ما يرويه أهل بلعباس عن العديد من الرجال والنساء والاطفال قد أصيبوا بمس من الجن ، ولم يشفوا الى بعد أن ذهبوا الى طالب مشهور في تحكمه في الجن .

وعلى العموم فهناك أخبار كثيرة جدا تؤكد هذا الاعتقاد بين صفوف العامة ،ففي كل يوم تقريبا نسمع عن فلان أو فلانة بأنه مريض وأن به مس من الجن .

والحقيقة أن الباحث في هذا المعتقد يجد له رواسب أسطورية قديمة ، حيث كان الانسان ينسب مرضه الى روح مجهولة سيطرت عليه وتغلغلت الى جسمه، وأن لا شفاء له الا باخراج هذه الروح (2) وكان العرب أيضا ينسبون أمراضهم الى الجن و يعالجونها بالتقرب منها و التزلف اليها (3)

أما طريقة العلاج كما يشير اليها بعض طلبة المنطقة ، ومنهم سي الحاج الغوثي ،فهي كثيرة وتختلف من طالب الى أخر ، ثم أن هناك لكل جني أسلوب خاص في معاملته ، فان كان الجني يهوديا

---

1 - حول هذه المسألة في المعتقد الديني الإسلامي- ينظر-عبد العزيز بن عبد الله بن باز- إيضاح الحق (في دخول الجني في الانسي والرد على من أنكر ذلك)- البليدة د س-ص: 14

2 - ينظر : Robert Lowie -Manuel d'anthropologie culturelle P.441.

3 - ينظر- خليل أحمد خليل - مضمون الاسطورة في الفكر العربي - بيروت 1986 ص: 21

فإن احراقه واجب للتخلص من شره ، واذا كان غير ذلك فان اخراجه يكون بواسطة التعزيم والتبخير وقراءة القرآن الكريم ، واذا كان شيطانا أو عفريتا فينبغي أن نقرأ عليه العزيمة الدهروشية[1] وأن نكثر له البخور ، ونأخذ بسبابة المريض اليسرى وندخل ظفرنا داخل ظفره و نضغط عليه بقوة الى أن يتكلم الجني الذي بداخله ، فنأمره بالخروج والانصراف فان أبى نهدده بالحرق بواسطة إشعال فتيلة وتقريبها من أنف المريض ، فاذا استسلم ، أمر "الطالب" المريض بشرب كأس من الحناء ،يحضر خصيصا لهذا الغرض ، ثم يأمره ثانية بأن يتقيأ ما شرب داخل المرحاض ، وبهذه الطريقة يخرج الجني ويشفى المريض.

وبعيدا عن معتقدات سكان منطقة بلعباس ، نجد طرقا أخرى لاخراج الجن ، بالبلاد العربية ، حيث يروى ببلاد الحجاز أن امرأة كان بها مس من الجن ، فقام رجل بعصاه و أثنى عليها ضربا مبرحا الى أن نطق الجني على لسانها يقول : والله أخرج والله أخرج ، فقال الرجل: من أين تخرج ؟ فقال : من عينيها ، قال: تخسأ ... وأخذ يعدد أماكن كلها يرفضها الرجل المداوي ، وأخيرا وافق هذا الاخير على خروجه من ابهام رجلها[2]

---

1 - ينظر - ابن الحاج التلمساني المغربي - شموس الانوار - مصر - د س - ص: 103

2 - ينظر - عاتق بن غيث البلادي - الادب الشعبي في الحجاز - ص: 146

معتقدات عامة حول الجن :

1 ـ الجن والطعام : يعتقد بعض سكان المنطقة أن الجن تسرق الاشياء والطعام الذي لا يذكر اسم الله ،كما أن المرأة التي تمد يدها لدقيق أو سكر دون أن تذكر اسم الله ،فانها تخسر منهما جزءً كبيرا . ويعتقدون أن الذي يأكل بشماله فان الجن تشاركه طعامه ، وأن الذي يتناول طعام الجن ،يستحيل أن يعود الى عالم الانس. ويعتقد أن لحم الخنزير طعام الجن والشياطين ، و شرابهما الخمر ، ولعبهما الميسر.

2 ـ الجن والاطفال : يعتقد بعضهم أن الجن تخطف الاطفال ، وخصوصا ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ، لانه في هذه الليلة تتحرر الجن .(1) و لتجنب ذلك يوضع قليل من القطران في أقدامهم .

3 ـ الجن والشيطان : كثير من الناس لا يفرقون بين الجن والشيطان ويرون أنهما شخصية واحدة ، في حين هناك من يفرق بينهما ويعتقد أن الجن أخطر من الشيطان ، لأن تأثيره يصيب العقل ولا يمكن علاجه إلا بصعوبة ، وأما الشيطان فهو يوسوس للانسان لكنه سرعان ما يتركه اذا لعنه واستعاذ بالله منه .

---

1 ـ هناك من يقول العكس ،أي أنه في هذه الليلة تتقيد الجن والشياطين،لأن فيها نزل القرآن . وعلى العموم فقد يكون لهذا الاعتقاد صلة بما ذكره النبي عليه الصلاة والسلام في قوله : ((إذا جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم ،فإن الشياطين تنتشر حينئذٍ ...)) العلامة المناوي ـ فيض القدير ـ بيروت 1972 ـ 423/1

4 - الجن وابليس : يحتل ابليس الدرجة الثالثة بعد الجن والشيطان ، و ذ اك لما يوصف به من أوصاف ذميمة ، ولما له من قدرة على تضليل الناس وابعادهم عن الصواب . ومن صفاته الخفة و السرعة ، ولذ ا نجد بعض سكان المنطقة يشبهون الرجل السريع في أعماله الخفيف في حركاته بابليس . واذا كان المعتقد الشعبي لا يفرق ، في غالب الاحيان ، بين هذه الكائنات ، فان هنال إشارات تبين أن لكل كائن ميزة خاصة ، فابليس شخصية إغوائية ، وهو رمز المكر والخداع . وعلى العموم فهناك كثير من الناس يقولون أنه لا فرق بين الجن و ابليس ويستشهدون على ذلك بقوله تعالى ((واذ قلنا للملائكة اسجدوا لأدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن...)) (1)

ومن أعمال ابليس أنه يحافظ على بيته و يخرب بيوت الناس ، ففي المثل الشعبي :

((ابْلِيسْ مَا يْخَرْبْ وَكْرَهْ))

وهو محكوم عليه بالعذاب ودخول جهنم :

((العُزُوزْ مَا تْبْغِي الكْمَّة حَتَى إبْلِيسْ يْدْخُلْ الجَنَّة)) (2)

كما أنه لا يمكن التغلب عليه إلا اذا استشار الأنسان أهله عند قيامه بعمل ما :

((ابليس قال : أنَا مَا يْغَلَّبْنِي غِيرْ اللِي يْشَاوَرْ أَهْلَهْ)) (3)

---

1 - قرآن كريم - سورة الكهف - آية 50

2 - العزوز = هي أم الزوج ، ما تبغي = بمعنى لا تحب ، الكمة = الزوجة والمعنى يشير الى علاقة الام بزوجة ابنها ، وهي علاقة كره ، والمثل يشير الى استحالة المحبة بينهما .

3 - اللي = الذي

صـــورة المـــلائكة في المعتقـد الشعبي :

اذا كان الجـــن رمـــزا للشـــر والاذى في المعتقد الشعبـي ،كما سبـــق وأن أشـــرنا الى ذلك ، فـإن الملائكـة رمـــز للخيـــر والبركـة ، ولـــذا تحـــظى بمكانـة عاليـة عند اللـه والناس أجمعيـن • وهـــم عبارة عـــن كائنـــات مخـــلوقة مـــن نـــور ، لا يـأكـلون و يشـربون ويقـــال أن طعـــامهم و شـــرابهم هـــو التسبيـح وذكـــر اللـــه كمـــا أنهـــم لا ينـامـون أبـــدا ، يحيـــطـــون بالعـــرش ولا ينزلـــون إلا في حالات خـــاصـــة ، كمـــا أنـــهـــم مراتـــب و درجـــات ، أشبـــه مـــا يكـــونـون بخليـــة النحـل ، وهـــم في غـــالـــب الاحيـــان يتـــشـــكـــلـون في الصـــور التالية :

1 ـ فـي صـــورة طـــائـــر أبـــيـــض جمـــيـــل ، ويعتقـد أهـــل المنـــطـقـة أن هـــذا الطـــائـر بامكـــانـه أن يصـــبـح ضخـمـا بحـــيـث يمـــلأ بجـــنـاحيـه مشـــارق الارض ومغـاربهـا • وربمـــا أقـــرب الصـــور الى المخـــيلة الشعبيـة عـــن المـــلائـــكـة ، هـــي صـــورة الحمام و السنونو (1)

ومما لا شـــك فيـــه أن لهـــذه الصـــورة صلـــة وثيـــقـة بما جـــاء في المعتقد الديني الاســـلامـــي (2) لكـــن العقليـة الشعبيـــة اكتفـت

---

1 ـ يسمى هذا الطائر عند العامة بـ ((البشّيـر)) لأنـه يبشـر الناس بنزول المطر ويقـال أنـه يأتي من مكـة المكرمة ، و أن البيت الذي يبني به عشه ،بيـت طـاهـر فيـه خير وبركة ، ويعتقد بعض الناس أنّـه مـن كسر عشه ،فـانـه سـوف تكســر عظامه يوم القيامـة •

2 ـ هناك آيات وأحاديث كثيـرة تصـور الملائـكة في صـورة طائـر ـ ينظر على سبيل المثال ـ سورة فاطر آية 1 ،ويمكن مراجعة ما ذكره عمر سليمان الاشقر في كتابـه عـالم الملائكـة في ضـوء القرآن والسنـة ـ الجزائر ـ د س ـ ص 5 وما بعدها

بما يناسب تفكيرها وتصوراتها ومدركاتها الحسية ، وتركت كثير من الاشياء مما جاء في المعتقد الديني ، كتلك التي تصور الملائكة في صورة طائر له أجنحة كثيرة (1)

أنواع الملائكة في المعتقد الشعبي وأماكن انتشارها :

تعتقد العامة أن الملائكة تعيش في السماء حول العرش ، وفي كل مكان طاهر يسمح لها بالتسبح والسجود لله ، وهذا عكس الجن التي تسكن الاماكن القذرة ،كما سبق وأن أشرنا وهم أنواع كثيرة ، منهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل (ملك الموت) ، ومنهم الحافظون للانسان من الجن والكاتبون لاعماله ، وملائكة الرحمة ،وهم الذين يبعثهم الله لمساعدة المؤمنين أثناء الشدة ، وملائكة العذاب الذين يعذبون الكفار يوم القيامة . وهناك من الناس من يعتقد أن لكل ظاهرة طبيعية صنف من الملائكة يتولونها .

صورة عزرائيل :

يحتل ملك الموت "عزرائيل" مكانة كبيرة في المعتقد الشعبي وذلك لارتباطه بالموت وحياة الانسان بعده ، وهو من هذه الناحية يمثل هاجسا لا يقل عن هاجس الموت نفسه فالخوف من الموت والقبر والمصير ، جعل المخيلة الشعبية تبدع في رسمها لصورة هذا الكائن ،بحيث جاءت مطابقة لأجوائها النفسية وهي تعيش لحظات الفزع

---

1 – ينظر – عمر سليمان الاشقر – عالم الملائكة الابرار (في ضوء القرآن والسنة) الجزائر – ص: 9

الممـــزوج بالحـــزن والخـــوف .

والمتـــأمـــل فيمـــا يـــرويـــه سكـــان المنـــــطقـــة ، يجـــد صـــورتيـــن متنـــاقضـــتيـن لهـــذا الكائن ،فـــان كـــان الميـــت مسلمـا مـــؤمنـــا فان عزرائيـــل يظهـــر لـــه في صـــورة جميلـــة ، و يـــكـــون العكـــس ان كان المـــيـت كافرا أو منافقـــا . أما في عمـــوم المعتقـــد الشعبـــي فان عزرائيـــل يبدو فـــي صـــورة كائـــن غريـــب و عجيـــب يتجـــاوز كـــل ما هـــو مـــألـوف . و قـــد كـــان لبعـــض أئمـــة المساجـــد دورا كبيـــرا في تحـــديد مـــلامـــح هـــذه الصـــورة ، و ذ لك عـــن طـــريـــق مواعظـــهـم الدينيـــة التي تهـــدف الى تخـــويـــف الناس مـــن الموت و عـــذاب القبـــر

صـــورة جبـــريـــل في المعتقـد الشعبي:

فـــي مقابـــل ملك الموت ،نجـد جبريـــل ملك الحيـاة على حـد تصور المعتقد الشعبـي ،فان كان الاول (عزرائـيل) قـد ارتبط فـــي الوعـــي الشعبـــي بالخـــوف والمـــوت ،فان الثانـــي قد ارتبط بالبـشرى والحيـــاة ، ومـــن ثمّ كـــانـــت صـــورتـــه أقـــل بشـــاعة و غرابـــة وقـــوة مـــن صـــورة عزرائيـــــل. وعلى العمـــوم فان العامـــة تعتقـــد أن جبريـــل يتشكـــل في صـــورتيـــن لا أكثـــر :

- صـــورة الرجـــل الوقـور ، الذي يرتـــدي عباءة بيضـاء.
- صـــورة الطائـــر الضخـــم ،الذي يـــملأ بجـــناحيـه مشارق الارض و مغاربها .

والواقـــع أن لهاتيـن الصـــورتيـــن أصـــل دينـــي اسـلامـــي فعـــن الصورة الا ولى ما جاء في الصحيحيـن عن عمر ابـن الخطـــاب قـــال :

((بينما نحن جلوس عند رسول الله ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبي صلى الله عليه و سلم ، فأسند ركبتيه الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد ! أخبرني عن الأسلام ...))[8]. وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام فيما بعد أن السائل جبريل جاء يعلم الصحابة دينهم .

معتقدات عامة حول الملائكة :

الملائكة والطفل : يعتقد سكان بلعباس ،وغيرهم من سكان المناطق الجزائرية الاخرى ، أن الطفل الصغير الذي لم يتجاوز عمره خمس سنوات ((ملايكة)) أي أنه يشبه الملائكة . ومما لا شك فيه أن هذا التماثل يعود الى تلك العلاقة التي تجمع بينهما ، و التي تتجلى فيما يلي :

1 ـ أن الطفل (ملايكة) لما يمثله من براءة وطهارة وصفاء روحي ، وهو ـ في المعتقد الشعبي ـ معصوم عن الخطأ وفعل الشر كعصمة الملائكة .

2 ـ يمثل الطفل في المعتقد الشعبي (عمارة البيت) ،مثله مثل عمار البيت الذين هم الملائكة ، كما سبق و أن أشرنا الى ذلك ، وانعدام الاطفال في البيت ،عند بعضهم ، يعني انعدام الملائكه فيه .

3 ـ تعتقد بعض نساء المنطقه ، ان الملائكه تحرس الطفل ، كما انها تلاعبه و تضحكه ، واذا رفض ذلك فانها

---

8 - مسلم ـ صحيح مسلم ـ د م ـ 1955 ـ 1/ 37

تشـــدد عليـــه ، ولذلك نجـــدهـــم يقـــولـــون :

((فَـفْـلُـوا عَـلَـيـهِ خُـوتَـــهْ)) (1)

ويمـــكن للطفـــل أن يحـــافـظ على هـــذه المكانـــة طـــول حيـــاته وخـــصـــوصـــا اذا استقـــامـــت أخـــلاقـــه و حسنـــت معاملتـــه مـــع المنـــاس ، و قـــــد تنقـــلـــب الى نقيضـــها فيصبـــح جنـــا أو شيـــطـــانـــا ، وهـــذا ما يـــؤكـــده المثـــل الشعـــبي القـــائـــل عـــن الطـــفـــل الذي ســـاءت أخـــلاقـــه ((جِـنْ وُ فِـي يَـدّه حَجْـرَة))

الـــلائكـــة وليلـــة القـــدر :

يعتقـــد بعـــض النـــاس (نـــواحـــي تلاغ و رأس الماء على الخصـــوص) أن ليلـــة القـــدر عبارة عـــن امرأة (ملايكـــة) شـــديدة الجمـــال ، تنـــزل على أولئـــك الذيـــن يـــدعـــون اللـــه و يمـــيتون قيـــامـــا ينتـــظـــرون قـــدومـــها ،حيـــث يســـألـــونهـــا ما يـــريـــدون بقولهـــم :

((خَـيْـرْ خَـيْـر ، يَا لَالَـة أَعْطِـيْـنِـي صَـحْـتِـي وُمَـالِي وَ حَـفْـظِـلِـي وُلَادِي))

يبـــدأ الســـائـــل بهـــذه الافتتـــاحيـــة المختصـــرة ((خير ، خيـــر)) وهـــي عبـــارة عـــن مطلـــب عام ،يهـــدفـــا الى تـــحـــقـــيـــق الظـــروف المـــلائمـــة بحـــيث تـــصـــبح كلهـــا خيـــرا . أمـــا لفـــظـــة ((لا لـــة)) فهـــي مصطـــلـــح شعبـــي يطـــلـــق على المـــرأة السيـــدة ، وهـــو يحـــمـــل معنـــى التقـــدير والاجـــلال . ثـــم يشـــرع الســـائـــل في ذكـــر مطـــالبـــه كالصحـــة والمـــال والاولاد . ونشيـــر

---

1 ـ خـــوتـــه = كنايـــة عـــن المـــلائكـــة ، والمعنـــى أن المـــلائكـــة قـــد ضيـــقـــت عليـــه بحيـــث أصبـــح مـــريـــضـــا . وأهـــل المنطقـــة لا يخـــافـــون من هذا التضيـــق لانـــه ســـرعان ما يـــزول .

في هذا الصدد الى أن هذه المطالب تختلف من انسان الى أخر ، كل حسب رغباته و طموحاته ، لكنها في العموم تدور حول الصحة والمال و الزواج والعلم والحج والايمان ° ومن شروط هذا الدعاء أن يبيت السائل في هذه الليلة ساجدا يدعو الله أن يكرمه بهذه ((المرأة)) أو ليلة القدر والشرط الثاني أن يكون الدعاء مختصرا و موجزا ، لأن العامة تعتقد أن الذي يطيل في الطلب لن يستجاب له ، الشرط الثالث ، أن لا يخاف حين دخولها عليه ، لأنها تأتي في صورة تبهر العيون و تذهل العقول ، وأن لا يتلجلج لسانه ، وأن يسرع في الطلب ، لأنها لا تنتظر ولا تمكث سوى لحظات قصيرة جدا .

بهذا الاعتقاد يفسر بعض الناس غنى أولئك الذين كانوا فقراء و أصبحوا فجأة أغنياء ، فهم يقولون عنهم : ((نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ))

وأخيرا نشير أن عالم الملائكة ، في التصور والاعتقاد الشعبي ، عالم واضح المعالم ، لأنه يقوم على أساس ديني أكثر منه أسطوري ، وهذا عكس عالم الجن الذي هو بالغ التعقيد والغموض

حتى أنه يصعب على الدارس فهمه فهما جيدا دقيقا فهو محاط بجملة من الاسرار والخوارق و الرواسب الفولكلورية القديمة •

• الفصل الثاني :

صور الغول والأرواح في المعتقد الشعبي

صورة الغول في المعتقد الشعبي :

تعني لفظة (غول) في اللغة العربية الهلكة والهول وهي آتية من غاله الشر و اغتاله بمعنى أهلكه وجاء من حيث لا يدري (1)

و قد ذكر المسعودي تعريفا للغول فقال أنها ((حيوان شاذ من جنس الحيوان ، مشوه لم تحكمه الطبيعة ، وأنه لما خرج منفردا في نفسه وهيئته توحش من مسكه ،فطلب القفار ...)) (2)

وأما أبوعثمان الجاحظ فيذهب الى القول الى أن ((الغول اسم لكل شيء من الجن يعرض للسُّفّار ، ويتلوّن في ضروب الصّور والثّياب ،ذكرا كان أو أنثى ، الا أن أكثر كلامهم على أنه أنثى)) (3)

ويعرفها محمد الجوهري بقوله :((الغول نوع من الجن الشرير ، يظهر في العادة في صورة حيوان أو وحش رهيب ، وتسكن الغيلان المقابر ... وتأكل الجثث كما تهاجم المارة ...)). (4)

---

1 ـ ابن منظور ـ لسان العرب ـ غول

2 ـ مروج الذهب ـ 2 / 156

3 ـ الحيوان ـ بيروت 1969 ـ 6/ 158

4 ـ علم الفولكلور (دراسة المعتقدات الشعبية) ـ مصر 1980 ـ 2/ 426

أما بمنطقة بلعباس فنجد الحكايات الشعبية تصور الغيلان في صور بشرية و حيوانية غريبة • فإذا كانت في صورة بشرية فهي تختلف من الذكر الى الانثى ، بحيث يكون الذكر (الغول) في صورة رجل ضخم ، كثيف الشعر مشوّه الخلقة ، له أظافر طويلة وعيون لامعة وقوة هائلة • و مما يرويه بعض سكان البدو بنواحي بئر الحمام ،أن رجلا كان يذهب في كل ليلة الى الغابة ليحتطب ، وذات مرة سمع صوتا مرعبا يقترب منه شيئا فشيئا ، و تشاءل حماره عن المشي ، فعلم أن الغول يتبعه ، و لم يجد من سبيل سوى الهروب بنفسه تاركا وراءه الحمار •

و الواقع أن هذه الرواية (الحكاية) تنتمي الى القصص الشعبي الرمزي ، ذلك القصص الذي يتخذ من الحيوان رمزا للتعبير عن موضوعات سياسية واجتماعية • فهذه القصة وغيرها من القصص التي تدور حول هذا الكائن الخرافي تكشف لنا عن مرحلة حضارية مرّ بها المجتمع الجزائري • ففي القصة ثلاثة رموز أساسية متداخلة فيما بينها و هي : الحطاب والغول والغابة ، فالغول - وهو المحرك لأحداث القصة - ليس سوى ذلك الانسان الظالم و المستبد[1] ، القاهر لإرادة الضعفاء

---

1 - كثيرا ما يرمز للحاكم بالحيوان المفترس مثلما جاء في كليلة ودمنة لابن المقفع ، و بالغول مثلما جاء في حكاية أهل جيلجيت - ينظر جيمس فريزر - الفولكلور في العهد القديم (التوراة) تر : نبيلة ابراهيم - مصر 1982 - 2/ 558

والحطاب رمز الانسان الضعيف الذي يعيش تحت هواجس الخوف والقلق ، أما الغابة فرمز المجتمع المتشابك في علاقاته وهي موطن الغول حيث يمارس التوحش والقهر. فهذه العناصر في رمزيتها الشعبية تشكل معتقدا ظل دفينا في اللاوعي الشعبي زمنا طويلا ، وهو يتجدد في صور مختلفة كلما تجددت أشكال الاستبداد أما اذا كان في صورة أنثى (الغولة) أو (ترقو) كما يسميها بعض الناس ، فكثيرا ما تظهر في صورة امرأة عجوز شعثاء شمطاء ذات رائحة كريهة و لها ثديين كبيرتين ، ترميهما على كتفيها حين خروجها من بيتها .

و الغولة بهذه الصورة لا تبتعد عن القرى والاحياء الشعبية ، فهي تعيش بجوار الناس -عكس الغول - و قد تصبح أما لاحدى الفتيات الصغيرات مثلما تروي حكاية (لونجا بنت الغولة) حيث تصور هذه الحكاية قصة فتاة صغيرة خطفتها الغولة من أبويها وأرادت أكلها ،ولكن سرعان ما أعجبت بجمالها فتركتها تعيش معها ،وكانت ترعاها من كل الشرور الى أن كبرت و تزوجت بابن السلطان .

ومن حكايات المعتقدات أيضا ما رواه لنا السيد: م . قويدر ، من أن رجلا كان فوق جواده فوجد فوجد امرأة جميلة طلبت منه أن يوصلها الى المدينة فمد لها يده و أردفها خلفه

و بينما هما سائران حسّ الرجل أن جواده يتثاقل عن السير ، فنظر الى الاسفل فاذا برجلي المرأة تصلان الى الارض و قدميها ظلفي حمار ، فأدرك أنها الغولة ولم يتخلص منها الا عندما قطع حزام السرج و دفعه الى الورا٠ حيث وقعت الغولة و همّ بالفرار٠

يبدو أن هذه الحكاية تكشف عن نظرة الرجل الى المرأة ، وهي نظرة قائمة على رواسب جاهلية٠ فإذا كانت المرأة في حكايات شعبية أخرى أفعى ، فهي في هذه الحكاية غولة ، لأنها متلونة في مواقفها و غير آمنة في معاملتها ((لَيَا حْلَفْ فِيكْ رَجَلْ بَاتْ رَاقِدْ وَلَيَا حْلَفْتْ فِيكْ مْرَا بَاتْ قَاعِدْ)) [1] وكما تصور هذه الحكاية خوف الرجل من المرأة ، تصور رغبته في الحصول عليها ، فهو حينما أردفها كان مدفوعا برغبة الحب و الشوق المكامن لها في نفسه ، غير أن هذه الرغبة كانت مشوبة بالمخاطر و المخاوف منها و هو ما جعله يرمي بها الى الورا٠ و الحكاية تقتصر على الغولة (المرأة الجميلة) رمز الفتنة والخطيئة عكس الغولة (المرأة العجوز) التي هي فتنة و خطر على الانسان ٠

و تشير معتقدات المنطقة الى أن الغيلان تسكن المغاور و الكهوف و الغابات و الاماكن المهجورة مثل الاودية و قمم الجبال ، وعلى العموم فإن المكان

1- مرا = مرأة - راقد = نائم - قاعد = قائم

الخـــرب - في المعتقد الشعبـــي - مكان ترتـــع فيـــــه الارواح و الغيلان و الاشباح و الشياطيـــن ، و هذا مـــن طبيعـــة الخيـــال الشعبـــي الذي مـــلأ بالارواح الخبيثـــة ما ظنـــه فارغـــا .

و تصـــور الحكايات الشعبيـــة الغول على أنـــه ينـــام نـــوما عميـــقا يدوم ســـاعات طويـــلة ، و يـــأكـــل طعامـــا كثيـــرا ، و يشـــرب ماء غـــزيرا ، و يعتقـــد الناس أنـــه يعمـــر طـــويـــلا و لذلك فهـــو لا يتوالـــد كثيـــرا ، أمـــا موتـــتـــه فهي تكـــاد أن تكـــون معجـــزة ، لأنـــه لا يمكـــن القضـــاء عليه إلا بواسطـــة حيلـــة ذكيـــة .

و خلاصـــة الحديث ســـواء أكان الغول وهمـــا أو حقيقـــة ، في صـــورة انسان أو حيوان ، ذكرا أو أنثى ، فـــإن حكاياتـــه ستظـــل تحتـــل مكانـــة مرموقـــة عنـــد سكان المنطقـــة و غيرهـــم من شعـــوب العالم[1] ، لأنهـــا تستـــأثـــر باهتمام خـــاص مـــن الســـامعيـــن و على الاخـــص الاطفـــال لمـــا يجـــدون فيهـــا من أحـــداث غريبـــة و أنشـــطـــة غيـــر مـــألوفـــة . أمـــا نحـــن فإنـــنا نعتقـــد أن الغول ما هـــو إلا تلك صـــورة الخارجيـــة للذات الشعبيـــة المعزقـــة و هي تعيـــش لحظـــات الانكســـار و الخـــوف من المجـــهـــول .

---

1 - للمزيد من المعلومات عن صورة الغول في الذهنية العربية القديمة ، ينظر- عبد المالك مرتاض - الميثولوجيا عند العرب - الجزائر 1989 - ص: 23 و ما بعدها

الا رواح و الاشـــــباح :

ذكـــرنـــا فـــيما ســـبـــق أن العـــقـــلية الشـــعـــبـــية تـــشـــبـــه الـــى حـــد بـــعـــيـــد العـــقـــلـــيـــة البـــدائـــيـــة حـــيـــث أنـــهـــا تـــنـــســـب بـــعـــض الاشـــيـــاء الـــتـــى يـــصـــعـــب تـــفـــســـيرهـــا أو فـــهـــمـــهـــا ، الـــى عـــالـــم الأرواح و الاشـــبـــاح ، أي أنـــهـــا تعـــتـــقـــد بـــنـــظـــام ثـــنـــائـــي للـــحـــقـــيـــقـــة ، الاول مـــادي (ملـــمـــوس) ،والآخـــر روحـــي أو ((روحـــانـــي)) غيـــر ملمـــوس يـــشـــكـــل ميـــدانـــا ملغـــزا بالنـــســـبـــة لهـــا . و مـــا يـــنـــدرج ضـــمـــن هذا العـــالـــم الاخـــيـــر عـــنـــد ســـكـــان منـــطـــقـــة بـــلـــعـــبـــاس أرواح المـــوتـــى ، والاخـــت ، و القـــرينـــة ، "وعـــروســـة الســـمـــاء" و " حـــمـــار اللـــيـــل " .

4- أرواح المـــوتـــى :

إن غـــمـــوض فـــكـــرة المـــوت عنـــد بـــعـــض الفئـــات الشـــعـــبـــية وإيمـــانـــهـــا الشـــديـــد بالتمـــســـك بالحـــيـــاة ، دفـــعـــهـــا لآن تقـــيم عـــلاقـــة روحـــيـــة بعـــالـــم الأمـــوات . ومـــن أبـــرز مظـــاهـــر هـــذه العـــلاقـــة ، اعتـــقـــاد بعـــض الأســـر والجـــمـــاعـــات فـــي أن روح المـــيـــت تـــظـــل تحـــوم حـــول القـــبـــر أربعـــيـــن يـــومـــا ، وخـــلال هـــذه المـــدة تـــزور البـــيـــت وتتـــفـــقـــد العـــائـــلـــة ، وقـــد تـــطـــلـــب شـــيـــئـــا معـــيـــنـــا كـــان يحبـــه الشـــخـــص قبـــل مـــوتـــه ، ويتـــم

هذا الطلب عن طريق رؤية الميت في المنام[1] والتحدث معه ، ومما يرويه بعض سكان المنطقة في هذا الصدد ، أن أحد الافراد يدعى سعيد من قرية سيدي خالد ، رأى أباه في المنام وطلب منه أن يسدد دين كان عليه لأحد تجار القرية ، فلما كان الصباح توجه الابن الى ذلك التاجر ودفع له المال .

وعلى العموم فهناك أسباب كثيرة لعودة روح الميت في المعتقد الشعبي ، نذكر منها ما يلي :

- رغبة الروح في تحقيق شيء من الأشياء لم يتحقق لها في الحياة ، فالأم التي تموت قد تعود روحها لرؤية أبنائها الصغار ، والزوج المحب لزوجه و أطفاله تعود روحه لتطمئن على حياتهم ، و الولي ((الدرويش)) أو الانسان المقدس يزور أحباءه و يأمرهم بإقامة ((الوعدة)) وزيارة ضريحه ...

- عدم القيام بالشعائر الدينية : يعتقد بعض الناس أن تراخي الانسان في أداء الشعائر الدينية من صلاة و صيام و زكاة في حياته ، يجعل روحه تتعلق بين السماء و الارض وقد تتحول الى أشباح أوحيوانات معينة ، وتعتقد هذه الفئة من الناس ، أن هذا التحول عذاب من الله لهذه الارواح الشريرة

---

1 - نجد هذا أيضا في المعتقد الديني ،حيث ذكر الامام ابن القيم الجوزية أن الحي يرى الميت في منامه فيستخبره ،فيخبره بما لم يعلم . ينظر- الروح - بيروت 1989 - ص 34 .

التي لم تمتثل لأوامره .

- عدم اتمام المراسيم الجنائزية على الوجه الصحيح : يعتقد بعضهم أن التخلي عن طقس من الطقوس الجنائزية يؤدي الى اضطراب الروح و عدم استقرارها ، لأنهم يعتقدون أن هذه المراسيم تسهل انتقال الروح من عالم الدنيا الى عالم الآخرة ، ومن ثمّ كان حرصهم الشديد على اتمامها على أحسن وجه ، وتتمثل هذه الطقوس ، في تغسيل الميت وتكفينه و دفنه و توجيهه نحو القبلة و قراءة القرآن عليه ...

- تعلق الروح بالحياة و المكان الذي عاشت فيه : من معتقدات سكان المنطقة أن الروح تعود الى المكان الذي كانت تعيش به ، وقد تمكث فيه ولا تغادره ، فيقولون عنه أنه مكان ((مَسْكُونْ)) ، ويعتقد بعضهم أن الروح لا تعود الى هذا المكان إلا في الليل حيث تكرر نفس ما وقع لصاحبها عند موته ، وفي هذا المجال يروي سكان المنطقة أخبارا كثيرة عن أشخاص ماتوا أو قتلوا في أماكن معينة ، ولا زالت أرواحهم تزورها في الليل ، فتحدث فيها خشخشة وصفيرا و أصواتا تشبه

أنيـــن الانســـان المـــريـــض .

وعلى العموم فهناك ما يشبـــه هـــذه المعتقـــدات فـــي منـــاطـــق أخـــرى مـــن الوطـــن ، ففـــي القبـــائـــل مثـــلا يعـــتقـــد بـــعـــض النـــاس أنـــه بـــإمـــكان الانـــســـان تكـــلـــيم المـــوتـــى فـــاذا مـــا طـــرحـــت ((قـــضـــيـــة خطـــيـــرة على العائـــلات و أرادت ســـمـــاع أحـــد المـــوتـــى بـــهـــذا الخصـــوص . يكـــفي تجمـــيع مكـــونـــات وجبـــة مـــا ،وجعلهـــا تقـــضي الليـــل (من الافضل في الهواء الطلـــق) والـــذهـــاب فـــي الغـــد الى امـــرأة تنقـــل كـــلام المـــوتـــى تختـــارهـــا وتحمـــل لهـــا الصدقة مكـــونات الـــوجبـــه . بعـــد تنـــاول حـــفـــنة مـــن الســـمـــيـــد ،تـــركـــز تفـــكيرهـــا وتبـــدأ بالكـــلام باســـم الميـــت))[1] ونشـــيـــر أن هـــذا الطقـــس يـــتـــم بشكـــيـــل عـــام فـــي الاربـــعـــين .

والـــواقـــع أن الأعتـــقـــاد فـــي عـــودة الروح ، إعتـــقـــاد قـــديـــم شـــائـــع فـــي المعتـــقـــدات الهنـــدوســـيـــة التـــي تـــؤمـــن بفـــكرة تنـــاســـخ الأرواح . و التنـــاســـخ هـــو رجـــوع الروح بعـــد مفـــارقتهـــا للجـــســـم الى العـــالـــم الأرضـــي فـــي جـــســـم آخـــر . وســـبـــب ذلـــك هـــو ((أن الروح خـــرجـــت مـــن الجـــســـم ولا تـــزال لهـــا أهـــواء وشهـــوات مـــرتبـــطـــة بالعـــالـــم المـــادي لـــم تتحـــقـــق بعـــد ،وثانيهـــا أنهـــا خـــرجـــت مـــن الجســـم وعليـــهـــا ديـــون كثـــيـــرة فـــي عـــلاقـــاتهـــا بالآخـــريـــن لا بـــد

---

1 – ماري فيـــرول – دراســـات لســـانية حول التراث و الفولكلور الشعبي في الوطن العربي – تر: سليم قســـطون – بيروت 1988 – ص: 55 وما بعدها

من آدائها)) (1)

كما أننا نجد لهذا المعتقد رواسب في بقايا الطقوس العربية القديمة ،حيث كان العرب يعتقدون أن الارواح تتجمع حول القبور ،كي تنقل أخبار عالم الاحياء الى عالم الاموات . كما اعتقدوا أن روح الميت تتحول الى طائر يسمونه (الهام) يطوف حول القبر ، وهو يصرخ مستوحشا ، وفي ذلك يقول أبو دواد :

سلط الطير والمنون عليهم فلهم في صدى المقابر هام (2)

وهناك من الشعوب التي تعتقد أن الأرواح تعود بعد سنوات قليلة من وفاة الميت ، حيث تتجسد في أطفال من نفس العشيرة (3)

ويعتقد بعض سكان المنطقة ، أن أكثر الأرواح عودة الى الحياة ، روح القتيل ، و الغريق ، حيث نجد أماكن متعددة يقال عنها أنها " مسكونة " بالارواح والاشباح ، وأن معظم هذه الاماكن كانت مخصصة من طرف الاستعمار لتعذيب الجنود الجزائريين .

---

1 - أحمد شلبي - مقارنة الاديان (أديان الهند الكبرى) - مصر 1966 - ص 63

2 - جواد علي - المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام - 6 / 140 ، المسعودي - مروج الذهب - 2/ 153 .

3 - ينظر - رالف لنتون - شجرة الحضارة - تر: أحمد فخري - مصر - د س - 3/ 11

والى جانب ذلك ،فهم يعتقدون أن في تغير الاحوال الجوية أثناء القيام بطقوس الدفن دليلا واضحا على قبول السماء لهذه الروح أو رفضها ، فإن نزل المطر بغزارة و عصفت الرياح بشدة ، فإن ذلك دليل الرفض ، وإن كان العكس فهو علامة القبول و الترحيب بهذه الروح .

يبدو أن لهذا المعتقد علاقة وطيدة بمعتقدات الانسان البدائي ، الذي كان يعتقد أن عدم اتمام المراسيم الجنائزية ،يؤثر تأثيرا مباشرا و سريعا على الظواهر الطبيعية فإذا اشتدت العواصف عند موت شخص أو أثناء جنازته ، نسبها الى تأثير روحه ، واذا هددت عاصفة بالظهور أثناء الاحتفال بالجنازة طلب الناس من ابن الفقيد المفضل لديه أن يوقف المطر فيتوجه هذا الاخير نحو جهة الأفق التي تهدد بالعاصفة ويقول : ((أبي ليكن وقتنا صحوا في أثناء جنازتك)) (1)

---

1 - ليفي برايل - العقلية البدائية - تر: محمد القصاص - ص: 65

2 - الأخـــت :

وتسمـــى أيـــضـــا ((بِنْتُ الصْغَار)) و ((أُمُ الصِبْيَـــان)) و ((أُخْـــتُ الصْغَـار)) ، وهـــي نـــوع مـــن الجـن (السعالى) ،تـــأتـي المرأة حيـــن الولادة ، فتصـيب أبنهـا وتضـفي عليـــه سـحـة مـن السّـواد قـد تـؤدي بحـياته ، وتعتقـد بعـض النســاء أن هـذه السـعلاة لا تلـد ، ولـذا فهـي تحسـد المرأة الولـود فتنتـقم منهـا بقتلهـا أو تشـويـه طفـلـها • وهنـاك مـن تعتقـد أنهـا روح شـريـرة تصـيب الصغـار كما تصيب الكبـار • وهـي عنـد "الطُلبة" (السحرة) مـن بنـات الجـن التي يعتـمد عليهـا السـحرة فـي عقـد خيـط الوصـال بيـن الرّجـال والنســاء •

و تنصـح بعـض النسـاء بعـدم إفشـاء سـر هـذه الروح ، لأنّ افشـاء سـرّهـا ، حيـن اصـابتهـا للشـخـص ، قـد يـؤدي الـي مـوتـه أو شـل عضـو مـن أعضـائـه ، لأنهـا ، فـي اعتقـادهـن ، لا تحـب الفضـيحـة ، وربمـا هـذا هـو السـبب الذي يجـعـل النسـاء لا يتحـدثـن عنـها إلا قليـلا • ولتّقـاء شـر هـذه الروح فهـن يـرمين الملح علـى عتبـة البيـت حيـن ولادة المرأة ، ويستعملـن البخـور ، ويسـترن الولـود مـع طفلهـا بحـجـاب أبيـض ولا يتحـدثـن معهـا إلا وراء هـذا الحجـاب •

وقد اعتبر محمد الجوهري[1] الاخت من الشخصيات الخرافية الغريبة ،التي تولد مع الانسان ، ثم أخلط بينها وبين القرين (الاخ) ورأى أن لهما نفس الدور .

وأخيرا ، فإن الأخت في نظر المعتقد الشعبي من الكائنات (الارواح) الغريبة التي يصعب تحديد شكلها أو نوعها ، وعلى العموم فهي تهدد النساء والاطفال أكثر مما تهدد الرجال .

3 - القرينة:

وتسمى ((التَابِعَة)) عند بعض الناس ، لأنها تتبع الانسان وترافقه في حركاته وسكناته ، وهناك من يعتقد أنها روح ثانية عند الانسان فهي معه أينما حلّ أو إرتحل ، وهي تُعرف باسم القرين بالنسبة للرجال ، والقرينة بالنسبة للنساء . وتعتقد الفئات الشعبية أنه بمثل ما يكون الشخص يكون القرين أو القرينة ، فإن كان الشخص شريرا فإن القرين يكون كذلك ، و إن كان طيبا فهو طيب ، وإن كان مريضا ، فهو مريض أيضا ، و هكذا ...

واذا كان المعتقد الشعبي عندنا يفرق بين

---

1 - علم الفولكلور (دراسة المعتقدات الشعبية) - 2 / 431

القرينة والاخت (أم الصبيان) ،فإن المعتقد المصري لا يفرق بينهما ، ويرى أنهما عبارة عن كائن واحد وأن القرينة تأتي النساء ليلا ، مدفوعة إليهن بدافع الحسد والغيرة ،نظرا لأنها لم توهب قدرة الانجاب مثلهن (1)

4 - "عروسة السما":

وتعتبر من الشخصيات الخرافية الغريبة لأنها غير محددة الصورة و لا الملامح ، كما أن هناك اختلاف بين الفئات الشعبية حول طبيعة و حقيقة هذه الشخصية ، فهناك من يعتقد أنها من الجن المرفوعة في السماء ، و منهم من يعتقد أنها عبارة عن جمرة تنزل من السماء ، لكن الشيء الذي يجمع بين هؤلاء جميعا ، هو اعتقادهم في أن هذه الشخصية لا تمس الا الانسان النائم. وكثير من الناس يرفضون الحديث عن هذه الشخصية، و يعتقدون أن من يتحدث عنها فانه يصاب بمرض معين يقولون عن صاحبه أنه ((مَخْطُوف)) .

---

1 - ينظر - المرجع السابق - ص 430

تحضير الأرواح :

تعد عملية تحضير الارواح من أهم الممارسات الخرافية المنتشرة بين شباب المنطقة على الخصوص، أما الشيوخ فهم لا يعرفون عنها شيئا ، بل هناك من ينكرها ويعتبرها ضرب من الكفر والخيال ومما لا شك فيه أن هذا الطقس دخيل على المعتقدات الشعبية الجزائرية عموما ، ويمكن ارجاع أصل فكرة تحضير الارواح الى مفهوم الانسان القديم للحياة والموت و الانتقال الى العالم الآخر ، ولما كان هذا المفهوم غامضا، افترض هذا الانسان واعتقد في أن روح الميت يمكنها التنقل والعودة الى مقرها ، و أنه بالامكان التحدث معها ، وبعبارة أخرى ،فإن ((عدم رضى الانسان القديم بالموت وعدم تصديقه لحكمة هذه النهاية وعدم اقتناعه بمبررات الموت ،وفي نفس الوقت ارتباطه الذهني والعاطفي بالشخص الميت ، دفع الانسان الى القفز فوق جدار الموت وخلق نوع من العلاقة الوهمية بين الحاضر والغائب)) .[1]

ولعل من أهم أسباب تمسك شباب المنطقة بهذه الممارسة رغبتهم في معرفة ما تخفيه لهم الأيام من مفاجآت ، ولاسيما اذا

---

1 - ابراهيم بدران وآخرون - دراسات في العقلية العربية (الخرافة) - بيروت 1979 - ص 268

علمنا أن شباب اليوم ، عموما ، يعاني من أزمة الثقة بالنفس ،فهو يطمح الى معرفة كل شيء عن مستقبله ،وهذا عن طريق مخاطبة الأرواح ومسائلتها عن الغيب .

والواقع أن الفرق بين الشباب والشيوخ في هذه المسألة يعود الى أن الشيوخ يعتمدون على السحر للكشف عن الغيب ، بينما يعتمد الشباب على فكرة تحضير الأرواح ، وبالتالي نلاحظ أن الهدف واحد ، لكن الأسلوب اليه يختلف .

ومن أهم شروط تحضير الأرواح عند شباب المنطقة مايلي :

1 - أن يتمتع الوسيط باحساس خاص ، يمكنه من التوسط بين العالمين . وبعبارة أخرى أن يمتلك الوسيط قدرة روحية تؤهله على جلب الارواح واستحضارها . ويعتقد بعض الشباب أن الاخلاق الفاضلة والتدين الصحيح من بين الوسائل التي تقوي تلك القدرة أو الاحساس عند الوسيط .

2 - التوافق النفسي والروحي بين الحاضرين ، أي أنه كلما توافق الحاضرون نفسيا و روحيا ، كلما كان ذلك مدعاة للأرواح ، وكلما كان الاختلاف بينهم ،كان من الصعب استحضارها .

3 ـ إختيار الاوقات المناسبة : كليلة الجمعة والاثنين والخميس لأن في هذه الليالي (حسب اعتقادهم) تنزل الارواح لتزور الاجساد ، ومن ثم يسهل استدعاءها والتحدث معها .

4 ـ التركيز أثناء عملية الاستحضار ، اذ بدونه يصعب التحكم في هذه الارواح ، ولهذا السبب نجدهم يعتقدون أنه كلما كانت الجماعة أشد تركيزا كلما كانت الارواح أسهل للاستحضار .

5 ـ الظلمة والاستقرار والهدوء ، فإذا انعدمت هذه الشروط كان من الصعب جدا استحضارها

كيفية تحضير الارواح :

يجلس الحاضرون حول مائدة ، ويرسمون عليها دائرة تضم مجموعة من الأعداد والحروف ثم يضعون بداخلها كأسا[1] ، وحين ذاك تبدأ عملية استحضار الأرواح ، حيث يضع الحاضرون أيديهم فوق يد الوسيط داخل الدائرة ، فيصلي هذا الاخير على النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم يعم الاستقرار وكأنهم في حالة خشوع أو غياب صوفي ، ثم يسحبون أيديهم من

1 ـ ينظر الشكل رقم : 10 ص: 253

الدائـــرة ، وينطـــلـــق الوسيـــط فـــي مخـــاطبـــة الـــــروح بقـــولـــه : هـــل أنـــت هنـــا أيهـــا الروح ؟
وهنـــا يبـــدأ الكـــأس فـــي التحـــرك نحـــو (نعـــم) أو (لا) فـــإن تحـــرك نحـــو (نعم) يـــواصـــل الوسيـــط فـــي طـــرح أسئلتـــه أما اذا بقي الكـــأس فـــي مكـــانـــه ، فـــإنـــه يعيـــد طـــرح الســـؤال مـــرة أو مرتيـــن ، فـــإن لـــم تكـــن هنـــــاك استجـــابـــة ، تُـــرْفَـــعُ الجلســـة الـــى ســـاعـــة لاحقـــــة أو يطـــلـــب الوسيـــط مـــن أحـــد الجـــالسيـــن ،يشـــك فـــي اعتقـــاد ، ، مغـــادرة المكـــان .

ومـــن بيـــن الاســـئـــلـــة التـــي تطـــرح علـــى الروح نـــذكر مـــا يـــلـــي :

هـــل أنـــت ذكـــر أم أنـــثـــى ؟
مـــا أســـمـــك ، ومـــا ســـنـــك ؟
هل أنت مـــن الاحيا• أم مـــن الامـــوات ؟
مـــا هـــو سبـــب مـــوتـــك ؟
هـــل تحســـن القـــراءة ؟
هـــل أنت مســـتريـــح الآن ؟
مـــا هـــي جـــنسيـــتـــك؟

وتبـــدأ الـــروح فـــي الاجـــابـــة عـــن كـــل ســـؤال عـــن طـــريـــق تحـــريـــك الكـــأس نحـــو الحـــروف حيـــث يتـــم الجـــواب ، ويكـــون بالطـــريـــقة التالينـــة :

اذا كان الروح ذكرا Masculin فإن الكأس يسير نحو الحروف التالية :M - A - S - C - U - L - I - N

وفي هذه الحالة على الوسيط أن يكون يقظا الى حركات الكأس حتى يتمكن من ترتيب هذه الحروف و قراءتها .

واذا كان الروح يبلغ من العمر 30 سنة على سبيل المثال ، فإن الكأس يتوجه نحو العدد (3) ثم (0) ، وهكذا تتم الاجابة عن كل سؤال مطروح من طرف الوسيط .

وبعد هذه الاسئلة العامة ، يشرع هذا الاخير في طرح أسئلة اخرى يكون قد حضرها مع أصدقائه ، وغالبا ما تكون هذه الاسئلة حول الزواج أو السفر أو النجاح في امتحان الباكالوريا ...

ونشير أخيرا الى أن هذه المعتقدات كانت شائعة بين شعوب كثيرة كالعبرانيين والبابليين والاغريق و الرومان والمصريين والهنود وكل الشعوب الأخرى[1] ، لكن لكل شعب من هذه الشعوب طريقته الخاصة في الاتصال بهذه الارواح[2] .

---

1 - ينظر جواد علي - المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام - 6/ 716

2 - ينظر على سبيل المثال طريقة المصريين - أحمد حسين - الطاقة الانسانية - مصر 1962 - ص 394 - وأيضا - ابراهيم بدران وآخرون - دراسات في العقلية العربية (الخرافة) - ص 268 وما بعدها .

من أهم النتائج التي يمكن إستخلاصها من فصول هذا الباب ما يلي :

أولا : ان لهذه الكائنات دورا كبيرا في تشكيل فلسفة المعتقدات الشعبية وتأسيس جوانبها الغامضة وترسيخها في أذهان الناس .

ثانيا : تحظى الكائنات الشريرة مثل الجن والغيلان والارواح باعتقاد واسع عند الناس ، وهذا لما تثيره من هواجس و مخاوف في نفوسهم .

ثالثا : يعكس عالم الجن والملائكة في المعتقد الشعبي بعدا وجوديا متمثلا في ذلك الصراع بين عالم الشر والكفر والخوف ،وعالم الخير و الايمان والاستقرار .

رابعا : لقد حققت معتقدات الملائكة نوعا من التوازن والاستقرار الروحي لدى الفئات الشعبية حيث خففت عنها عبء الخوف والرهبة من الجن والغيلان والارواح . ونشير هنا أنه بقدر ما كان خوف هذه الفئات من الجن ، بقدر ما كان اقبالها على الملائكة بوصفها طريق الخلاص والنجاة .

الباب الثالث :

الممارسات السحرية

- الفصل الاول : الظاهرة السحرية
- الفصل الثاني : اركان العملية السحرية
- الفصل الثالث : اغراض الممارسة السحرية

تشكل الممارسات السحرية بمنطقة بلعباس محور الطقوس الشعبية النسوية على الخصوص والسبب في ذلك هو انتشار الغيرة و الحسد و الخوف بينهن ، وقد وجد الطلبة في هذا الاعتقاد فرصة ثمينة للاشتغال بالسحر و ترويجه بين النساء و الرّجال .

ومن أهم ما تتميز به هذه المعتقدات في منطقة بلعباس ، هو تنوعها و كثرتها وتداخلها بشعائر أسطورية و دينية غامضة في بعض الاحيان .

ومن ثمّ سنحاول في هذا الباب أن نكشف عن ذلك الغموض الذي يكتنف هذه الممارسات بحيث نوضح مفهوم السحر وبعض المفاهيم المرتبطة به كالعرافة و الكهانة والتنجيم ... ،ثم نشير الى أنواعه و أركانه ، و أخيرا الى أغراضه المختلفة التي تتجلى في موضوعات كثيرة منها الحب و الزواج والربيط والعين و كشف الكنوز واستطلاع الغيب .

• الفصل الاول :

الظاهرة الحرية

مفهوم السحر في اللغة العربية :

السحر في اللغة العربية ، كل عمل يخفى سببه و يتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع . ومنه الأخذة ،وهي أخذ العين حتى يظن أن الامر كما يرى وليس الاصل على ما يرى .[1] وقال بعض العلماء هو ((ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشياطين مما لا يقدر عليه الانسان)) [2]

وقال الازهري السحر صرف الشيء عن حقيقته الى غيره . وعن شمر بن عائشة أن العرب انما سميت السحر سحرا لأنه يحول الصحة الى مرض [3]

وهو عند ابن خلدون ((علم بكيفية الاستعدادات تقتدر النفوس البشرية به على التأثيرات في عالم العناصر اما بغير معين أو بمعين من الامور السماوية ، والأول هو السحر و الثاني هو الطلسمات)) [4] . ويضيف ابن خلدون موضحا

---

1 ـ ابن منظور ـ لسان العرب ـ ينظر مادة (س ح ر)

2 ـ محمد فريد وجدي ـ دائرة معارف القرن العشرين ـ بيروت ـ 55/5

3 ـ ابن منظور ـ لسان العرب ـ ينظر مادة (س ح ر)

4 ـ كتاب العبر ـ بيروت 1979 ـ 414/1

حقيقة السحر ،فيرى أن النفوس البشرية وإن كانت واحدة بالنوع فهي تختلف بالخواص ، أي أن لكل نفس خاصية معينة ، فنفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام مثلا لها خاصية تستعد بها للمعرفة الربانية ونفوس الكهنة لها خاصية الإطلاع على الغيب بقوى شيطانية . أما نفوس السحرة فهي على مراتب ثلاثة ، الأولى المؤثرة بالهمة أي أنها لا تستعين بعوامل خارجية ،و الثانية هي تلك التي تستعين بهذه العوامل ، المتمثلة في الأفلاك وخواص الأعداد وأما الثالثة فهي التي تعتمد على القوة المتخيلة ويسمى هذا النوع عند الفلاسفة الشعوذة [1]

مفهوم السحر في الإسلام:

لقد وردت كلمة (سحر) في القرآن الكريم بمعنى الخداع والتخيل ،قال تعالى ((سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ))[2] وقال ((يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى))[3] . وبهذا المعنى سمي موسى ساحرا فقالوا ((يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ))[4]. وللسحر إرتباط قوي بقوى الشر والتضليل كالشياطين ((وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ

---

1 - ينظر المرجع السابق- 416/1
2 - سورة الاعراف- آية 116
3 - سورة طه - آية 66
4 - سورة الزخرف- آية 49

كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ)) [1]

واختلف العلماء المسلمون[2] في حقيقة السحر فقال بعضهم أنه تخيل لا حقيقة له ، مستدلين بالآية الثانية . وقال الأكثرون أن له حقيقة ، معتمدين في ذلك على قصة لبيد بن الاعصم اليهودي الذى قيل أنه سحر النبي عليه الصلاة و السلام .

المفهوم الانثربولوجي للسحر :

يعتبر الانثربولوجيون السحر ، شكلا من أشكال الممارسة الطقوسية البدائية ، و من ثم فهو مرتبط إرتباطا وثيقا بالأسطورة ، كما سبق وأن أشرنا الى ذلك في بداية الفصل الثاني من الباب الأول ، و بتأفكار الانسان القديم و تصوراته ، ولذا اعتبره "جيمس فرايزر"[3] علم هذا الانسان لكنه علم زائف ، لأنه بمثابة محاولات للسيطرة على الطبيعة والإفادة منها . وهو الى جانب ذلك يؤلف الأساس الأول للدين[4] ، لكنه سرعان ما يتجاوزه ليقف أمامه موقف المتحدي ، ذلك أن الساحر يجبر الأرواح ويقهرها للأستجابة له بواسطة العزائم والرقى ، فهو

---

1 - سورة البقرة - آية 102

2 - ينظر تفصيل ذلك في : ابراهيم محمد الجمل - جذور الشر - بيروت 1985 - ص: 164

3 - ينظر - الغصن الذهبي - تر: أحمد أبو زيد - مصر 1971 - ص: 105

4 - ينظر - المرجع السابق - ص: 224

لا يعمل على إرضائها كما يفعل رجل الدين .
((فشعور الساحر بالإستعلاء و الاستكفاء و موقفه الأحمق المتعجرف من القوى العليا وإدعاؤه الوقح بقدرته على السيطرة والتسلط فكلها أمور من شأنها أن تثير رجل الدين الذي يحس بالخشية والرهبة نحو الجلالة الإلهية ويشعر بالذلة أمامها ، مما يجعله ينظر الى دعاوي الساحر وتصرفاته على أنها نوع من الجحود والكفر والتطاول على الحقوق والامتيازات الخاصة بالإله وحده)) [1] .

والحقيقة أن هذا العداء بين السحر والدين لم يظهر إلا في المراحل المتأخرة نسبيا من تاريخ الدين ، فكثيرا ما كان الانسان يمارس الشعائر الدينية والسحرية في وقت واحد ، لأن جوهر الفعل السحري كان حينئذ يستند الى معتقد ديني .

فهذا التداخل بين السحر والدين ، أدى ببعض الباحثين الانثروبولوجيين [2] الى الأعتقاد بأنهما وجهان لحقيقة واحدة وأن الدين قد بدأ كله سحرا في أول مراحله ، عندما كانت العقيدة تتلخص في استرضاء قوى الشر .

---

1 - م.ن - ص: 222

2 - ينظر - Robert Lowie- Manuel d'anthropologie culturelle P. 325 et suivantes.

مفاهيم مرتبطة بالسحر:

من المفاهيم التي ترتبط بالسحر ، الكهانة ،العرافة التنجيم ، التطير والعيافة والزجر ، و الشعوذة .

1 - الكهانة :لغة هي تعاطي الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان [1] ،وعرفها محمود شكري الالوسي بقوله : هي ((ادعاء علم الغيب كالاخبار بما سيقع في الارض مع الاستناد الى سبب ،والاصل فيها استراق الجني السمع من كلام الملائكة فيلقيه في أذن الكاهن))[2] أما عند ابن خلدون[3] ، فهي حالة شعورية تنتاب النفس في لحظة من لحظات انسلاخها من البشرية الى الروحانية ،و من المحتمل أن تكون الكهنة دخيلة على العرب ،ولعلها أتتهم من الشعوب المجاورة لهم ،وعلى الارجح من أهل بابل و اليهود

ومكانة الكاهن لا تختلف عن مكانة الشاعر عند العرب فكما كان لكل قبيلة شاعر كان لها أيضا كاهن ، يستشيره الناس و يعملون برأيه ،كما أنه كان يحكم بينهم فيما يقع بينهم من خلاف . وظل حال الكهنة على هذه الصورة الى أن جاء الاسلام فشن عليهم حربا وقضى على مكانتهم المقدسة [4]

---

1 - ينظر - ابن منظور - لسان العرب - مادة (كهن)
2 - بلوغ الارب - 3/ 269
3 - ينظر - كتاب العبر - 1/ 84
4 - عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : ((مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ)) عبد الرؤف المناوي - فيض القدير - بيروت 1972 - 6/ 23

2 ـ العرافة :اذا كانت الكهانة هي التنبؤ بالاحوادث عن طريق الارواح كالجن ، فإن العرافة تنبؤ بواسطة الملاحظة والاستنتاج ومراقبة الاشياء واستخلاص المعرفة منها . وهذا يعني أن العرافين يستنبطون ما يقولونه بذكائهم عن طريق القياس وربط الحوادث بأسبابها . ومن ثم كان العراف دون الكاهن منزلة .(1)

وقد كان العرافون قديما يعتمدون على الخط والزجر والطرق بالحصى والنوى ، وكانوا ينظرون في المرايا والمياه وقلوب الحيوان وأكبادها ثم يخبرون الناس بما يرونه حول مستقبلهم أو ماضيهم . وكان اذا سئل احدهم عن حادثة أخرج حصيات قد أعدها عنده فيطرق بعضها ببعض ، ويأمر غلاما فيخط له خطوطا على رمل أو تراب ،ويكون ذلك منه في خفة و عجلة كي لا يدركها العد والاحصاء ، ثم يأمره فيمحوها خطين خطين وهو يقول : ((ابني عيان ،أسرعا البيان)) فإن كان آخر ما بقي منها خطين فهو آية النجاح ، وإن كان قد بقي خط واحد فهو علامة الفشل .(2)

---

1 ـ ينظر ـ المسعودي ـ مروج الذهب ـ 2/ 174

2 ـ ينظر ـ محمود شكري الالوسي ـ بلوغ الارب ـ 3/323

3- التنجيم: وهو الاعتقاد في تأثير مواقع النجوم على النفوس البشرية وحياتها . وقد لقي هذا الاعتقاد كثيرا من الرواج في أوساط المصريين بخاصة والعرب بعامة ، وربما يكون قد انتقل اليهم من آسيا عن طريق الفرس [1]

وقد خصص الرازي فصولا من كتابه (النبوّات) للحديث عن التنجيم واعتبره علما قائما بذاته. كما أنه اعترف بصعوبته ، لأنه من العسير الوقوف على طبيعة كل كوكب بحسب تأثيره ، كما أنه لا يمكن أن يتحقق هذا العلم للانسان الا بشروط ((واعلم أن الوصول الى هذا العلم يوجب خروج الانسان من حد الانسانية ، و دخوله الى عالم الملائكة و الكمال في كل شيء عزيز)) [2]

ومن رواسب هذا الاعتقاد ما يعرف عند بعض سكان المنطقة بـ ((تنزيل القمر)) الذي سوف نتحدث عنه في الفصول القادمة .

4- التطير و الزجر و العيافة: وهي أنواع من استطلاع الغيب كان يعتقد فيها العرب قديما . ((وأصل التطير إنما كان من الطير ،ومن جهة الطير ،اذا مر بارحا أو سانحا ، أو رآه يتفلي

---

1 - ينظر - سيج سونيرون - كهان مصر القديمة - تر: زينب الكردي - مصر 1975 - ص: 170

2 - الرازي - النبوات - تحقيق - أحمد حجازي السقا - مصر - د س - ص: 220

وينتف ،حتى صاروا اذا عاينوا الاعور من الناس أو البهائم أوالاعضب أوالابتر ، زجروا عند ذلك وتطيروا ...) [1] .

ويعتبر التطير من بقايا الاعتقاد والتفكير السحري القديم حينما كان الانسان يواجه هذا الكون بخوف و رهبة ، ومن ثم أعتبر جزءا هاما من تاريخ مراحل التطور العقلي لتعلم البشر كيف يفكرون . [2]

5 - الشعوذة : وتكون بواسطة اليد عن طريق القيام بعمليات يكون غرضها مخادعة المشاهد ، واظهار الشيء له على غير ما هو عليه في الواقع . والمشعوذ هو الذى يعتمد على الخفة والسرعة في الحركة فيظهر للناس ما لا حقيقة له ، ومن ثم تصبح ((الشعوذة في جوهرها هي فن التأثير على الارواح)) [3] البشرية وسلبها قوتها .

---

1 - ينظر - جواد علي - المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام - ص 786 نقلا عن الحيوان 1/ 438

2 - ينظر - جوزيف جاسترو - التفكير السديد - تر: نظمي لوقا - مصر - 1957 - ص 155

3 - سيغموند فرويد - الطوطم والتابو - تر: بوعلي ياسين - سوريا 1983 - ص 101

أنـــــواع السحـــــر :

يصـــنف العـــلمـاء السحـــر الـــى أنـــواع كثيـــرة ، كـــل ، حســـب رؤيتـــه وتحليـــله لنتـــائجـــه • فهـــناك مـــن يصنفـــه الـــى سحـــر رسمـي وآخـــر شعبـي ، وقـــد قسمـــه "فـرايزر" الى سحـــر تعـــاطفـي وآخـــر تشـاكلـــي ، وهنـــاك السحـــر الابيـض والسحـــر الاســود وقسمـــه الامـــام فخـــرالديـــن الرازي الـــي عشـرة أنـــواع • وفيمـــا يلـــي عـــرض تحليـــلي لأهـــم هـــذه الانـــواع •

1 ـ السحـر الرسمـي والسحـر الشعبـي :

ان أول بـاحـــث ميـــز بيـــن سحـــر المتخـــصـــصيـــن وســـحـــر العـــامـــة ، هـــو " مالينـوسكـي " عـــام 1922 عندمـــا ذكـــر أنـــه لابـــد مـــن التفـــرقـــة بيـــن سحـــر المتخـــصـــص المبـــني علـــى المعـــرفـــة الســـريـــة ، وســـحـــر العـــامـــة المبـــني علـــى المعـــرفـــة العـــاديـــة[1]

أ ـ السحر الرسمي : يعـــد الســـحـــر الرسمـــي علمـــا (أكـاديـمـيـــا) يـــقـــوم أســـاســـا علـــى التـــراث المكتـــوب ، وعلـــى تلـــك المـؤلفـــات التـــي نقلـــت الـــى العربـيـــة مـــن اللغـــة العبـــريـــة • وقـــد اشتهـــر فيـــه أهـــل بـــابـــل مـــن

---

1 ـ ينظـر ـ سامية حسن الساعاتي ـ السحر والمجتمع ـ ص: 98 (الهامش) نقـــلا عـــن :

B.Malinowski ,Argon uts of the western pacific.

السريانيين والكلدانيين و أهل مصر من القبط وغيرهم[1]، ومن ثم فهو يقوم على أسس علمية عميقة ومختصة ،عكس السحر الشعبي الذي يقوم على خبرات وطقوس بدائية ، والسحر الرسمي سحر خاص بمعنى أنه يخاطب فئة محدودة من الناس،هم السّحرة المحترفون يقول البوني[2] في مقدمة كتابه ((انه كتاب الأولياء والصالحين الطائعين و المريدين الراغبين))[3] و يقول أيضا ((٠٠ فحرام على من وقع كتابي هذا في يده أن يبديه لغير أهله ، أو يبوح به في غير محله فإنه إن فعل حرمه الله تعالى منافعه ومنعت عنه فوائده و بركته ٠ ولا تمسه إلا و أنت طاهر ، ولا تقربه إلا اذا كنت ذاكرا ، فلتفوز منه بما تريد ،ولا تصرفه إلا فيما يرضي الله تعالى ٠٠ فكن به ضنينا ، و لا تدع منه قليلا ولا كثيرا وليكن يقينك صادقا وايمانك بحقائقه واثقا ٠٠٠))[4]

---

1 ـ ينظر ـ ابن خلدون ـ العبر ـ 1/ 416

2 ـ محي الدين أبو العباس أحمد بن علي يوسف البوني القرشي ، الشيعي ، و يعتبر واحدا من أهم من اشتغلوا بالعلوم السحرية على طول تاريخ مصر الاسلامي وتجمع مختلف المصادر والمراجع على أنه أكبر وأشهر ساحر اسلامي معروف على الاطلاق ٠ ويمكننا أن نقدر أنه ولد في النصف الثاني من القرن السادس الهجري بمدينة (بونة) بالجزائر ٠ توفي في القاهرة عام 622هـ الموافق 1225م من أشهر كتبه : شمس المعارف الكبرى ـ و منبع أصول الحكمة ـ ينظر تفصيل ذلك في: محمد الجوهري ـ علم الفولكلور (دراسة المعتقدات الشعبية) 2/ 167 و ما بعدها

3 و4ـ المرجع السابق 2/ 189 نقلا عن شمس المعارف الكبرى 1/ 3

وغالبا ما يدور السحر الرسمي حول الدراسة النظرية التي تبحث في العلوم الغيبية حول الله وعرشه وخدمه ،وما يرضيه وما يغضبه ،وكذلك الملائكة والجن والخصائص السحرية للحروف والاعداد وأسماء الله الحسنى وخواص الآيات القرآنية [1]

كما أنه يعترف بالله ،خالق نظام هذا العالم وأن هذا الاخير خاضع لارادته ، وأنه تعالى خلق كل شيء بقوة اسمه ، وخلق الأشياء الطيبة في الوقت الطيب والمناسب ، وخلق الاشياء الضارة في الوقت النحس ، وخلق لكل شيء ملاكا أو روحا أوكل اليه الإشراف عليه . ومن ثم فإن مهمة الساحر الرسمي تتجلى في اتباع المبادئ والوسائل نفسها التي أتبعت في الخلق الإلهي بقدر الامكان ، وهذا لكي يحصل على النتائج المرغوب فيها .

فالساحر الرسمي يعلم جيدا أن لكل اسم من أسماء الله خادما موكلا به ، و وقتا خاصا به ، وأن لكل آية قرآنية خادما معينا ،

---

1 - ينظر - ابن الحاج التلمساني المغربي - شموس الانوار وكنوز الاسرار الكبرى - مصر - د س - ص: 2 وما بعدها ، حيث تحدث عن خصائص الحروف وأسرارها ،وخواص أسماء الله وخواص الآيات القرآنية .

بل ولكل حرف من الحروف الابجدية ، ولكل ساعة من ساعات اليوم ،ولكل فصل من فصول السّنة . وهو يعترف أنه - حتى ولو اتبع الوسائل والمبادئ نفسها التي خلق الله بها العالم - لا يستطيع النّجاح في أي عمل ما لم يأذن له الله به، ونستنتج من هذا كله ،أنه لا يمكن للسحر أن يتحقق إلا من خلال القوة التي يضفيها الله عليه ، كما أنه لا يمكن الوصول الى أعلى درجات هذا العلم إلا بشروط أولها الزمان والمكان ((الذي لا يطلع فيه على أهل هذه الصنعة المباركة إلا أربابها))[1] و ثانيها الأخلاق الفاضلة والشّيم الحسنة ،وثالثها أخذ العلم من أصحابه وشيوخه : ((فعليك أيها الراغب في هذا الباب أن تنظر الى الحالة التي ذكرت لطالب علم الكنوز و الدفائن، فتتخلق بها أنت و أصحابك ،ولا بد فيها من التّوكل على الله تعالى و حضور النية و الصدق المطابق في هذا العلم، به يبلغ الانسان مراده في صناعة الحكمة الجليلة المقدار، فمن علمك مسألة منها ،كان سيدك و مولاك ...)) [2]

وعلى العموم ،فهناك شروط أخرى ضرورية ينغي للساحر أن يمتثل لها كي تتم له الاستجابة ،و الا كان عبثه و علمه مرفوضا ،قال "البوني " ((فعليك بالحلال

---

1 - المرجع السابق - ص: 116

2 - م . ن - ص: 117

يستجيب لك لأنه دعاء الأولياء والاصفياء)) [1] .

ونشير أخيرا الى أن هناك توقفا [2] ملحوظا بالنسبة لهذا النوع من السحر ، مما جعل السحر الشعبي يحتل المكانة البارزة بين الأوساط الشعبية .

ب - السحر الشعبي : يقوم السحر الشعبي في معظمه على بقايا المعتقدات و الأفكار الأسطورية القديمة كما أنه يعتمد على بعض الطقوس والمبادئ السحرية الرسمية ، ذلك لأنه نشأ الى جانب السحر الرسمي متأثرا به ، معتمدا على وسائله .

كما أنه يقوم على المعتقد المحفوظ في صدور الناس ، وعلى الخبرات المكتسبة التي يتناقلها الناس شفاهيا ، مثل العين وما يدور حولها من معتقدات و ممارسات سحرية . و من ثم فهو ملك جميع الناس ، حتى وإن سيطرت عليه فئات معينة .

واذا كان السحر الرسمي يركز على الجانب النظري كما سبق وأن أشرنا ، فإن السحر الشعبي يعطي

---

1 - محمد الجوهري - علم الفولكلور (دراسة المعتقدات الشعبية) 193/2 - نقلا عن البوني - شمس المعارف - 107/1

2 - وهي ملاحظة أشار اليها كثير من الباحثين ، ينظر على سبيل المثال ابراهيم محمد الجمل - جذور الشر - ص: 141

كل الاهمية الى الجانب العملي ، بحيث لا تحتل العناصر النظرية سوى مرتبة ثانوية .

والساحر الشعبي لا يعرف قانون النظام الكوني ولا سنن الخلق كما هو الشأن في السحر الرسمي ، وهو لا يقيم وزنا لفكرة الخالق إلا قليلا ، ومن ثم ارتبط عنده السحر بكل أنواع الشرور و المآثم .

وأخير ،فاذا كان الساحر الرسمي يتبع طريقة علمية محددة ،فان الساحر الشعبي يعتمد على طريقته الخاصة التي اكتسبها من خلال خبراته وتجاربه اليومية .

السحر التشاكلي والسحر الاتصالي (التعاطفي) :

و يقومان على الافتراض القائل بتأثير الأشياء بعضها في البعض من بعيد عن طريق ((قانون التشابه)) أو ((قانون الاتصال)) أو التلامس . يستطيع الساحر بحسب القانون الأول تحقيق الأهداف و النتائج التي يريدها عن طريق محاكاتها أو تقليدها [1] ، ومن القانون الثاني يستنتج أن كل ما يفعله بالنسبة لأي شيء مادي سوف يؤثر تأثيرا مماثلا في الشخص الذي كان متصلا

---

1 ـ هناك عدة أمثلة على هذا النوع من السحر ، ينظر ما أشرنا اليه في الباب الاول ص: 54

بـــه فـــي وقـــت مـــن الأوقـــات ٠

ويمكـــن أن نضـــع قســـمـــي السحـــر المذكوريـــن في الشكـــل التالـــي تبعـــا لقـــوانيـــن الفكـــر التي يستـــنـــدان اليهـــا ٠

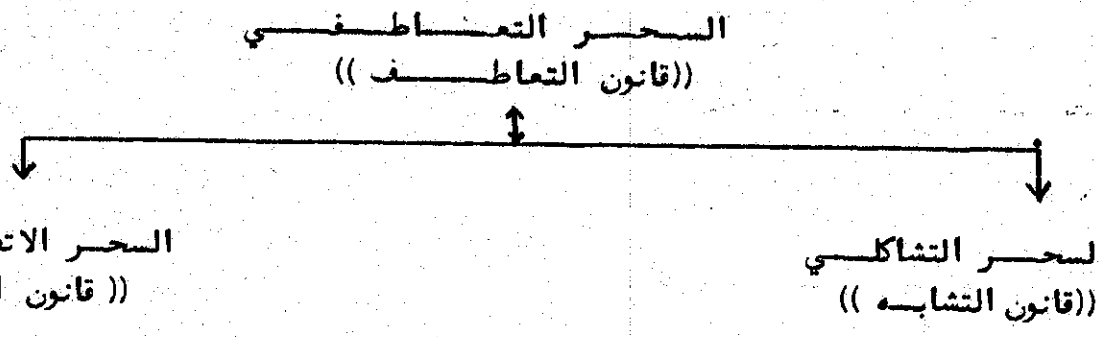

يعتمـــد السحـــر التشـــاكـــلـــي علـــى افتـــراض أن الأشيـــاء المتشـــابهـــة ، هـــي أشيـــاء متطـــابقـــة بمـــعنـــى أن (الشبيـــه ينتـــج الشبيـــه) ٠ ومـــن أبـــرز الامثلـــة فـــي هـــذا المجـــال مـــا يقـــوم بـــه بعـــض النـــاس لإلحـــاق الأذى و الدمـــار بـــأعـــدائهـــم عـــن طـــريـــق ايـــذاء أو تـــدميـــر صورهـــم، اعتقـــادا منهـــم أن مـــا يلحـــق بالصـــورة مـــن شـــر وضـــرر يلحـــق بصـــاحبهـــا ، وأنـــه حيـــن يتـــم تـــدميـــر الصـــورة يمـــوت الأصـــل بالضـــرورة ٠ [1]

---

1 ــ ينظـــر ــ سيرجيمس فرايزر ــ الغصن الذهبي (دراسة في الدين و السحر) تر: أحمد أبو زيـــد ص: 109

وهذا النمط من الأعتقاد و التفكير ، يفسر لنا ما كان يقوم به الانسان القديم حينما كان يرسم صورا لحيوانات معينة وقد انغرزت في جسومها السّهام ، معتقدا أنه بهذا الطقس سوف يتمكن من قنصها و السّيطرة عليها • لأن الأعتقاد السائد في تلك الفترة ، هو أن الحيوان الحقيقي يعاني بالفعل من قتل الحيوان الذى تمثله الصورة• ومن ثمّ كان التمثيل التصويري (السحري) بالنسبة لهذا الأنسان ليس إلا استباقا للنتيجة المطلوبة [1] •

أما السحر الاتصالي فينطلق من أن الأشياء المتصلة وحتى بعد أن تنفصل ، في علاقة انجذاب و تعاطف بحيث ان ما يطرأ على أحدها يؤثر بالضرورة تأثيرا مباشرا في الآخر• ومن ثمّ فان الأساس الذي يقوم عليه هذا السحر هو وجود نوع من الترابط الخاطئ• بين الأفكار كما هو الحال بالنسبة للسحر التشاكلي أيضا • وربما أشهر مثال لهذا النوع من السحر هو افتراض وجود علاقة بين الانسان و أجزاء جسمه كالشعر والاظافر بعد أن تنفصل عنه ، ولهذا ساد الاعتقاد عند الناس قديما و حديثا أن وقوع شعر شخص ما أو أظافره

---

1 ـ ينظر ـ أرنولد هاوزر ـ الفن و المجتمع عبر التاريخ ـ تر: فؤاد زكريا ـ بيروت 1981 ـ 1/18

في يد شخص آخر يجعله خاضعا لإرادته مهما بعدت المسافة بينهما [1].

و بعد أن بين فرايزر السحر التعاطفي بقسميه إنتقل الى نوع آخر نوضحه بالرسم التالي :

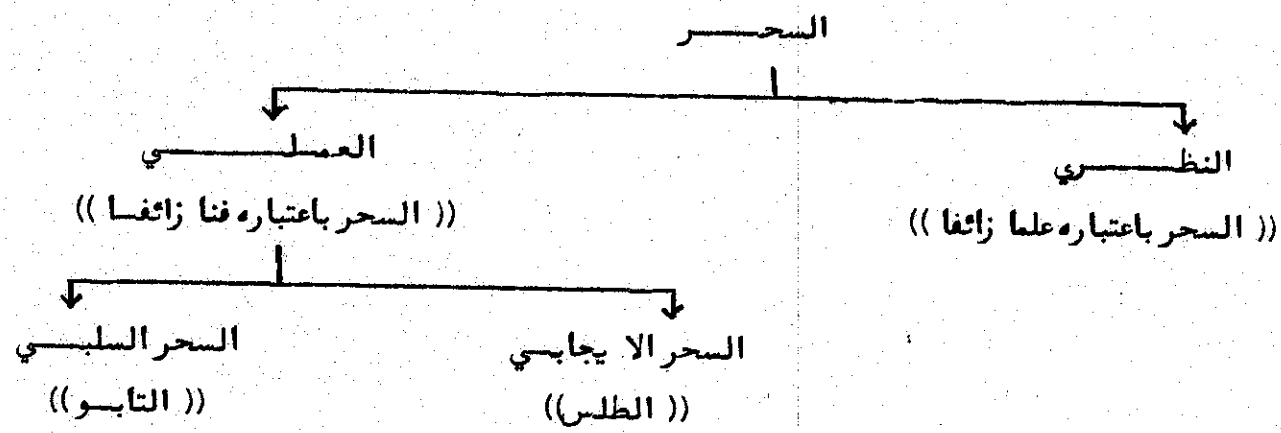

يقوم السحر الايجابي ((الطلس)) على أساس (افعل كذا لكي يحدث كذا) ، ويهدف الى تحقق شيء مرغوب فيه كأن يقبل الانسان على أكل بعض الأجزاء من حيوان أو نبات معين لكي يكتسب منهما بعض الصفات[2] ، و في هذا المجال يعتقد بعض سكان منطقة بلعباس أنه من

---

1 ــ ينظر ــ سير جميس فرايزر ــ الغصن الذهبي ــ تر: أحمد أبو زيد ــ ص: 181

2 ــ ينظر ــ المرجع السابق ــ ص: 38

يأكل مخ الذئب ، يكتسب قوة في ذكائه ، لأن الذئب في الفكر الشعبي كائن ذكي وماكر .

بينما يقوم السحر السلبي ((التابو)) على أساس (لا تفعل كذا حتى لا يحدث كذا) ومن الامثلة على ذلك بالمنطقة اعتقاد بعض الناس أنه من يأكل كبد الدجاج ،يصبح جبانا ،مثله مثل الدجاج يخاف من كل شيء ، ولذا نجد هؤلاء يحذرون أبناءهم من أكل هذه الأجزاء من اللحم .

السحر الابيض والسحر الاسود :

تؤكد بعض الابحاث العلمية (1) بأن السحر الأسود ، سحر ضار يهدف الى الشر والحاق الأذى بالبشر ولذ فان صاحبه (الساحر) يستعين بالأرواح والجن المؤذية . ويُعْتَقَدُ أن خير طريقة للخلاص منه ،هي اللجوء الى الأرواح العليا لأنها أقوى من الجن (2)

أما السحر الأبيض فغايته الخير عموما ، لأنه يهدف الى تحقيق غايات نبيلة ،لا تتعارض مع قيم الشرع . أما السحر الأحمر فهو أخطر هذه الأنواع كلها

---

1 ـ ينظر ـ علي عبد الجليل راضي ـ أضواء على الروحية ـ مصر 1961 ـ ص: 124

2 ـ ينظر ـ المرجع السابق ص: 128

لأنه يعتمد على (جن بلحمر) والدم والقماش الاحمر ، بينما يعتمد السحر الاسود على (جن بلكحل) والذبيحة السوداء واذا أردنا ترتيب هذه الانواع من حيث خطورتها نجد أولا السحر الاحمر ، ثم الاسود، ثم الابيض الذي هو سحر نافع في اعتقاد الناس.

و الواقع أن خطورة هذه الانواع ، ليست متأتية من العملية السحرية نفسها ، بقدر ما هي متأتية من دلالة أسماء هذه الانواع ، فاللون الاحمر لون الدم ، ولون الجن ، ويعتقد بعض الناس بالمنطقة أنه يساعد على الشفاء من مرض الحصبة ، ويلبس للحفظ من العين والحسد ، كما أنه لون التابو[1]

أقسام السحر عند فخر الدين الرازي :

قسم الرازي السحر الى عشرة أنواع ، وخص كل نوع بدراسة وافية بيّن فيها أصوله وقواعده، وذكر في مقدمة كلامه أنه لم يجد كتابا مشتملا على أصول هذا العلم ، يقول : ((اعلم انا ما رأينا انسانا عنده من هذا العلم شيء معتبر ، وما رأينا كتابا مشتملا على أصول معتبرة في هذا الباب))[2]

1- ينظر - شوقي عبد الحكيم - الفولكلور و الاساطير العربية - بيروت 1983 - ص: 198

2- فخر الدين الرازي - النبوّات - تحقيق أحمد حجازي السقا - مصر 1957 - ص: 199

وفيما يلي خلاصة لهذه الأنواع:[1]

- النوع الاول : السحر المبني على مقتضيات أحكام النجوم ، وقد عرف عند الكلدانيين، حيث كان هؤلاء يعبدون الكواكب و يزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم ، ومنها تصدر الخيرات و الشرور .

- النوع الثاني : السحر المبني على قوة الوهم و تصفية النفس أي أن النفس يمكنها في حالة صفائها أن تنجذب نحو (الروح الفلكي) فيحصل لها العلم

- النوع الثالث: السحر المبني على خواص الأدوية المعدنية والنباتية والحيوانية.

- النوع الرابع : السحر المبني على العزائم و الرقى ، وهو الذي تتم فيه الاستعانة بالارواح السفلية (الجن والشياطين)

- النوع الخامس: السحر المبني على الأستعانة بالارواح الفلكية

- النوع السادس: السحر المبني على خفة اليد ، ومنه نوع يقال له (الاخذ بالعيون)

- النوع السابع : السحر المبني على الأعمال العجيبة الغريبة ، كجر الاثقال العظيمة بالآلات القليلة .

- النوع الثامن : السحر المبني على الفأل و الزجر .

- النوع التاسع : السحر المبني على اطعام الطعام ، أي أن الذي يطعم النفوس يستطيع التأثير فيها وسحرها وتوجيهها كيفما أراد .

- النوع العاشر : السحر المبني على ترويج الاكاذيب و أنواع المكر و الخداع

ويرى فخر الدين الرازي أن هذه الانواع ناقصة ، ما لم تستعين بالسحر المبني على النجوم .

---

1 - ينظر - المرجع السابق ص: 200 وما بعدها .

• الفصل الثاني:

اركان العملية البحرية

أركان العملية السحرية :

تتميز العملية السحرية عن غيرها من الطقوس والمعتقدات ، من حيث أنها تتسم بأشياء تقال ((الكلمة السحرية)) ،وأخرى تفعل ((المادة السحرية)) ، وشخص يشرف على ذلك ((الساحر)) .

1 ـ الكلمة السحرية :

لقد أحس الانسان[1] منذ القديم أن للكلمة طاقة كبيرة وقدرة عظيمة على احداث الفعل ، بحيث جعلها تحوي سر هذا الوجود . فهي ليست ((مجرد وسيلة اجتماعية لتسهيل الأمور الانسانية بل كانت تعبيرا مسموعا من الداخل عن جوهر الأشياء))[2] ، ولهذا كانت أداة الآلهة في خلق العالم وتغيير طاقاته . ومنذ ذلك الحين صار من يمتلك الكلمة فهو يمتلك قوة الاله ،وقوة السيطرة والتغيير والخلق

ونظرا لارتباط الكلمة بجوهر الموجودات كما سبق وأن ذكرنا ، فقد اعتمد عليها السحرة في نقل تأثيرات سحرهم الى الانسان و الاشياء ، فهي عندهم قوة فاعلة مؤثرة ، وبالخصوص حينما

---

1 ـ قد سجل التاريخ كيف تكون الكلمة سببا في قلب الاوضاع وتغييرها ،كتلك الكلمة (وامعتصماه) التي تلفظت بها امرأة ففجرت حربا ضروسا .

2 ـ سيج سونيرون ـ كهان مصر القديمة ـ تر: زينب الكردى ـ ص: 137

تكون مستمدة من مواصفات الشيء أو المخلوق المراد التأثير فيه .

و تتكون الكلمة السحرية ، كما تبين لنا ذلك من معتقدات سكان (سحرة) المنطقة ، من ثلاثة أجزاء تشكل مرتبطة صيغة موحدة من شأنها التأثير في الأشياء ، وهذه الأجزاء هي :

أ - أسماء المسحورين ، و أسماء الجن والشياطين : حيث أننا نجد في كل نص أو عزيمة سحرية اسم الشخص الذى يراد سحره ، إذ بدونه تفقد العزيمة معناها ومفعولها ، وحتى اتجاهها بحيث تصبح عامة . ويعد الاسم أمرا ضروريا في العملية السحرية ، لأنه من المكونات الاساسية للشخصية و معرفته تعني اكتساب سلطة قوية على صاحبه[1]

ونشير في هذا المجال أن سحرة المنطقة يكتفون باسم الشخص دون لقبه ، و باسم أمه دون أبيه فيقولون : ((فلان ولد فلانة)) أو ((فلانة بنت فلانة)) ، وهذا يدل على أن الشخص ينتسب الى أمه أكثر من أبيه . وامتلاك هذه الاسماء بالنسبة للساحر ، يعني امتلاك القوة و القدرة على تدمير الشخص الذى يراد سحره .

---

1 - سيغموند فرويد - الطوطم والتابو - تر: يوعلي ياسين - ص: 104

ويندرج ضمن عالم الاسماء أيضا ، أسماء الجن والشياطين التي يتعامل معها الساحر في أثناء عملية السحر ، ومن هذه الاسماء ما جاء في هذه العزيمة : (1)

((يَاحَنُوشْ يَاطَرْفُوشْ جِيبُوا فُلَانَة بِنْتْ فُلَانَة ،كَمَا جَاتْ بَلْقِيسْ، لِ فُلَانْ وَلَدْ فُلَانَة)) .

وأحيانا يكتفي الساحر بالاشارة اليهما فيقول : ((أَجِيبُوا دَعْوَتِي يَا بَنِي الجِنْ)) أو قوله ((أَجِيبُونِي يَا مَلَائِكَةَ اللَّهِ الكِرَامِ)) . وعلى الرغم من أن الحديث هنا يبدو عاما ، الا أنه خاص في نظر الساحر لأنه موجه ، منذ البداية ، الى نوع من الجن هم خدام ذلك الشيء الذي يريد الساحر الحصول عليه .

ب - القَسَمْ : لا يكتفي الساحر بالنداء فقط ، فهو يجبر خدامه من الجن على الإستجابة له بواسطة التهديد المحمول على القسم ،كأن يقول :

((أَقْسَمْتْ عَلِيكُمْ بِحَقِ النَّبِيْ سُلِيمَانْ أَنْ تَكُونُوا لِي طَائِعِينْ وَلِمَا كَلَّفْتُكُمْ بِهِ فَاعِلِينْ ...))

---

1 - تم تسجيل هذه النصوص من عند بعض الطلبة (السحرة) من مدينة سيدي عباس وتلاغ ، وقد رفض هؤلاء أن تذكر أسماءهم أو يرمز لها ،تجنبا لأي شبهة تنسب لهم ، وخصوصا اذا علمنا أن هؤلاء لا يمارسون السحر إلا في الخفاء .

أو قوله : ((أَقْسَمْتُ عَلَيْكُمْ بِعِزَّةِ الجَبَّارِ الذي خَلَقَكُمْ ، أَنْ تَكُونُوا لِأَمْرِي مُسْرِعِينَ طَائِعِينَ))

أو قوله :

((أَقْسَمْتُ عَلَيْكُمْ بِالتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ أَنْ تَكُونُوا لِقَوْلِي سَامِعِينَ وَلِأَمْرِي فَاعِلِينَ وَلِحَاجَتِي قَاضِينَ))

وجاءت الاشارة الى النبي سليمان ، لأنه في الاعتقاد الشعبي قاهر الجن والشياطين ، ولذا كان ذكره هنا كوسيلة من وسائل التخويف يستعملها الساحر للسيطرة على الجن حتى تستجيب لأوامره . وهناك أيضا التخويف بالتوراة والانجيل والقرآن الكريم . مما يجعلنا نعتقد أن الجن لا تستجيب أحيانا الا عن طريق هذا التخويف و التهديد .

ج - الكلمة القرآنية : ما من نص أو عزيمة سحرية عثرنا عليها إلا و وجدنا فيها كلمات و آيات من القرآن الكريم . وقد يعود هذا لما لهذه الكلمة من قوة كامنة في ذاتها ، فيستغلها الطلبة (السحرة) استغلالا سحريا لا مثيل له في بقية المعتقدات الشعبية الأخرى ، فهم يوظفون هذه الكلمات وفق موضوعاتهم السحرية . فإن كان

غرض الممارسة السحرية عاطفيا كالجمع بين قلبين فهم يستعملون الصيغة التالية :

((وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ ، وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ، فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً فُلَانٍ بْنُ فُلَانَةَ يَا فُلَانَةَ بِنْتُ فُلَانَةَ ، فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ، وَلَوْ أَنْفَقْتُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا فَرَّقُوا بَيْنَكُمَا))

أما في حالة التفريق بينهما فهم يستعملون الصيغة التالية :

((وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ، وَنَسِيَ مَا قَدَّمْتَ يَدَاهُ ، وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ، كَذَلِكَ يَنْسَى فُلَانُ ابْنُ فُلَانَةَ ، فُلَانَةَ بِنْتُ فُلَانَةَ ، وَلَا تَحْضُرْ لَهُ عَلَى بَالِهِ))

يتضح من خلال هذين النصين أن علاقة الساحر بالنص القرآني ، علاقة استغلال و تسخير وبعبارة أخرى فان الساحر يستغل الكلمة القرآنية ، بحيث يخرجها من سياقها اللغوي ووظيفتها الدينية ، الى سياق لغوي آخر ، دونه في مستوى الجمال الفني و وظيفة سحرية تناقض الوظيفة الاصلية .

وقد يتساءل البعض عن سرّ اعتماد السحرة على هذه الآيات والكلمات القرآنية . والجواب هو أن هؤلاء يعرفون ما لهذه الكلمات من قوة وتأثير ، فهي لو نزلت على جبل لرأيته خاشعا متصدعا ، ومن هنا جاء اهتمامهم بها دون سواها . كما يدل على أن السحر قد نشأ نتيجة انحراف في فهم النص القرآني ، وما يؤكد هذا الاحتمال هو انحراف "الطُّلْبَة" (السحرة) عن الحقيقة القرآنية الى الممارسة السحرية التي ترسبت فيها العديد من الطقوس البدائية والأفكار الوهمية .

وقد كان السحرة البابليون يستعملون بالاضافة الى الكلمة الصورة ، ويعتقدون أنها لا تقل أهمية عنها ، ولذا كانت تمائمهم تحمل صورا رسمت عليها كائنات غريبة كالجن والشياطين[1] . وكانت ((للكلمة السحرية الصدارة في المجتمعات البدائية فهي لا تصف الأشياء ولا العلاقات بين الاشياء ، بل تحاول إحداث أثر ، وتغيير اتجاه الطبيعة . ولا يمكن تحقيق ذلك بغير اعتماد على فن سحري محكم ، والساحر وحده هو الذي يستطيع التحكم في الكلمة السحرية ولكنها في يده تصبح سلاحا شديد البأس ، فلا شيء يستطيع مقاومة أثرها))[2]

---

1 - ينظر - سبتينو موسكاتي - الحضارات السامية القديمة - تر: يعقوب بكر - ص: 78

2 - ارنست كاسيرر - الدولة والاسطورة - تر: أحمد حمدي محمود - ص: 373

ولا بأس أن نشير في هذا الصدد الى معتقد بدائي لنوضح من خلاله أهمية الكلمة السحرية بالنسبة للبدائيين. يعتقد هؤلاء أنه باستطاعة المرء المسحور تدمير أعدائه الذين سحروه بحرقه لصورهم وتماثيلهم وهو يتلوا هذه الكلمات السحرية :

((أَيُّهَا اللَّهَبُ اللاَظِي .. أَحْكُمْ فِي قَضِيَّتِي وَانْطِقْ بِحُكْمِكَ
احْرِقْ الرَجُلَ والمَرْأَةَ اللَذَيْن قَد سَحَرَانِي
أَحْرِقْ أَيُها اللَهِيبُ الرَجُلَ والمَرْأَة اللَذَيْن قَدْ سَحَرَانِي
أَحْرِقْهُمَا يَا لَهِيبْ
أَنْتَمِمْهُمَا يَا لَهِيبْ
أَمْسِكْ بِهِمَا يَا لَهِيبْ
ابْتَلِعْهُمَا يَا لَهِيبْ
دَمِّرْهُمَا يَا لَهِيبْ)) [1]

فالنار (اللهب) في هذا المعتقد كأنها حيوان مفترس يترجاه الانسان للفتك بأعدائه ، فيخلصه من سحرهم وقيدهم ، كما أنها (النار) تملك قوة التدمير العاجل ،فهي ((توحي بالرغبة في التغيير والاسراع بالزمن والهلوغ بالحياة الى خاتمتها ،والى ما بعد خاتمتها))[2] ، والموت في اللهب موت كوني يتلاشى فيه كل شيء.

---

1 ــ هـ . فرانكفورت وآخرون ــ ما قبل الفلسفة ــ تر : جبرا ابراهيم جبرا ــ ص: 156

2 ــ غاستون بشلار ــ النار في التحليل النفسي ــ تر: نهاد خياطة ــ بيروت 1984 ــ ص: 19

كما أن تكرار كلمة يا لهيب له دلالة قوية في تحريك الطاقة السحرية الكامنة في الكلمة ذاتها ، ومن ثمّ فالتكرار في الاصل امكانية سحرية يراد بها احداث الفعل الخارق ، وهو تيمة من تيمات التدمير والتكوين ، كما يرتبط التكرار في العرف السحري بالعدد ، والتعداد السحري محدد في توقيعاته بغرض و أهداف الفعل السحري .

ولكن الكلمة السحرية وحدها لا تكفي ما لم تكن ضمن سلسلة من الاجراءات السحرية ، ومنها المادة السحرية .

2 - المادة السحرية :

يستعمل سحرة المنطقة في سحرهم مواد كثيرة ومختلفة ، يصعب أحيانا الحصول عليها مثل جلد الغزال أو ريش الهدهد أو بيض النعامة . لكن الشيء الغريب عند هؤلاء السحرة هو معرفتهم لكثير من النبتات الطبية مما يدل على أنهم يجمعون بين حرفتين متكاملتين بالنسبة اليهم ، وهما السحر والطب الشعبيين .

وأكثر المواد استعمالا في السحر البخور،

ويتكون من الاشياء التالية : الجاوي ، اللُّبَان ، أُمُّ النَّاس الشَّبّ ،الكبريت ، التَّبْخِيرَة ، زَنْجَبَار ، قُصْبُر ،والمُسْتَكَة ، و أفضل أنواع البخور في اعتقاد الناس ، هي التي يأتي بها الحجّاج من مكة المكرمة ، ويلاحظ أن هذه الأشياء هي نفسها التي يستعملها محترفي الطب الشعبي . أما عن وظيفة هذه المواد فهم يعتقدون أنها تطرد الجن والارواح ، وهناك من يعتقد أنها فداء لها ،ولذا نجد أغلب الاسر تستعملها ليلة السابع والعشرين من رمضان .

كما أنهم يستعملون مواد أخرى كالرصاص والنحاس و القمح والبيض والدم والشَّعْر والعظام والنار ، و الشمع و الثوم ،و فتلة الحرير الأحمر ، والملابس ويستعملون اللون الأخضر للمحبة ، والأسود للطلاق والاحمر للبغضاء ، والاصفر للمرض . و هناك بعض "الطَّلْبَة" (السحرة) بمدينة بلعباس (حي قَنْبِيطَة) يشترطون أشياء معينة حينما يسحرون للناس (الشباب على الخصوص) في قضايا الحب ، كأن يطلبون منهم احضار جزء من أجزاء طائر الهدهد .

ومما لا شك فيه أن لهؤلاء السحرة معرفة كبيرة لهذه الأعشاب والأحجار التي سبق ذكرها أعلاه

فهم يقولون :

((الجاوي يكوي و يداوي)) وهي كناية عن استعماله للشر (يكوي) والخير (يداوي)

وعن عشبة خرى تسمى الحنتيت :

((الحنتيت مليح في كل بيت))[1]

((من بخر بالحنتيت و القصبر إلي يشوفها ما يصبر))[2]

وعن الهبالة :

((من وضع الهبالة في يده تهبل عليه النسا و الرجالة))[3]

وعن الرصاص :

((الرصاص يقلع كل هم من الراس))

وعن الشمعة :

((جيبلي شمعة نهنيك من الدمعة))[4]

وعن الهدهد[5]:

((من يستعمل ريشة من رأسه تحبه النسا))

---

1 ـ الحنتيت نبات ينمو بالغابة لكن يصعب العثورعليه أحيانا ـ مليح = جميل

2 ـ القصبر = نبات معروف يستعمل في الطعام ـ يشوفها = ينظر اليها

3 ـ الهبالة = نبات لا يعرفه الا السحرة و محترفي الطب الشعبي • النسا = النساء ـ الرجالة = الرجال • تهبل = تفقد عقلها

4 ـ جيبلي = آتيني أو أعطيني •

5 ـ قد يعود اعتقاد السحرة في الهدهد لما يتميز به من قدرة على معرفة الاشياء ، فهو الذي أخبر سيدنا سليمان بقوم سبأ •

ويندرج ضمن هذه السلسلة من المواد أيضا ، الكتب السحرية المتداولة فيما بين هؤلاء السحرة ، ومما لا شك فيه أنهم يعتمدون عليها كثيرا ، وهم لا يظهرونها أبدا لأنها من أسرار مهنتهم ، من هذه الكتب التي عثرنا عليها عند بعضهم نذكر ما يلي :

1 ـ السيد عبد الفتاح الطوخي ـ تسخير الشياطين في وصال العاشقين

2 ـ // ـ السحر الاحمر ـ دار العلوم الفلكية ـ بيروت

3 ـ جلال الدين السيوطي ـ الرحمة في الطب والحكمة ـ ديوان المطبوعات الجامعية

4 ـ علي بن سينا ـ مجموعة ابن سينا الكبرى في العلوم الروحانية ـ مطبعة المنار ـ تونس

المشتغلون بالسحر :[1]

قبل البدء نشير الى أنه ليس هناك بالمنطقة ساحر محترف أو رسمي إن جاز لنا هذا التعبير، وعليه فإن جميع السحرة سواء كانوا من "الطُّلْبَة" أو النساء الساحرات، هم من السحرة الشعبيين.

ويحتل السحرة مكانة بارزة في المعتقد الشعبي البلعباسي، بحيث يعدُّون الموجه الخفي لكثير من سلوك الفئات الشعبية، وبالخصوص فئة النساء، ففي كل قرية من قرى المنطقة، وبدون استثناء، ساحر أو ساحرة يلجأ اليهما الناس حينما يريدون الحصول على شيء ما أو الانتقام من شخص معين، و أكثر المناسبات التي يتصل فيها الناس بالسحرة، الأعراس والأفراح و المرض، واقتراب مواعيد /امتحانات كالباكالوريا .

وينقسم سحرة المنطقة الى قسمين هما :

القسم الاول : فئة "الطُّلْبَة" السحرة :

كان أهل بلعباس فيما مضى ينظرون الى "الطَّالب" نظرة فيها كل التقدير والاحترام، وكانوا يعتقدون أنه العالم في أمور الدين والسحر بلا منازع، بل

---

1 - ينظر خريطة المشتغلين بالسحر في المنطقة ملحق هذا البحث ص: 259

وحتى في أمور الطب أحيانا ، حيث كانوا يرجعون اليه في كل الأمور تقريبا . فكان الذي يريد أن يشرك أحدا في تجارة ، أو يزوج بنتا أو ولدا ، أو يسمي مولودا ، أو يتعلم حكما من أحكام العبادة ، يلجأ اليه يستشيره ويأخذ برأيه . وكان الطالب أول من يستدعى للمآتم و الأفراح ، و هو باختصار المعلم والرجل الأمثل في كل ما يقول أو يصنع .

ولكن مع مرور الأيام تراجعت هذه المكانة بسبب العيوب التي كان يرتكبها بعضهم ، حيث جرت عليهم الإهانة و الذل و سقطوا من أعين الناس . ومن هذه العيوب نذكر ما يلي :

1 ـ تتبع الطالب للجنائز لقراءة القرآن بالمال .
2 ـ شتم التلاميذ وإهانتهم ولعن آبائهم و أمهاتهم (1)
3 ـ مطالبة التلاميذ في الاعياد والمواسم بتقديم هدايا مالية أو مادية ، مما يدل على طمعه (2)
4 ـ فتح منزله للنساء والرجال يأتون اليه لممارسة السحر .

فهذه الأسباب وغيرها ، جعلت مكانة الطالب تتزعزع عند معظم الفئات الشعبية . وصار الناس ينظرون اليه على أنه رجل مشعوذ يمتهن السحر

---

1 ـ يعتقد بعض الناس أن هؤلاء الاطفال (التلاميذ) كانوا حلقة وصل بين الطلبة والنساء ، فألصقت ببعضهم تهم عديدة مثل الزنا .
2 ـ كان الطلبة يخرجون زمن (النايـر) و يجوبون شوارع المدن

ويدعي معرفة الغيب وشفاء الأمراض . وقد أصبح "الطالب" في نظر بعض المصلحين (دعاة الصحوة والتجديد) من أكبر عوامل الإنحطاط والتخلف ، لأنه لم يؤد دوره كما ينبغي في تحرير العقول من المعتقدات والأفكار الوثنية .

لقد اكتسب الطالب في بداية تحوله الى ساحر صفة الطبيب المداوي ، حيث كان الناس يأتون اليه ليكتب لهم و لأطفالهم المرضى . ثم شيئا فشيئا صار الناس يقصدونه لأغراض سحرية فتحول الى مشتغل بالسحر بالإضافة الى كونه طبيبا شعبيا . ولكنه كان يتهم السحر بعيدا عن أنظار الناس ، وهذا إما حياء أو خوفا من عواقب السحر الذي قد تعود بالضرر على الزبائن؟ فكان عليه أن يتصل بامرأة[1] معينة تكون واسطة

وهم يطلبون الطعام ، فمن جاد عليهم قالوا فيه :

((هَذَا الدَّارَ دَارُ اللَّه وَالطُّلْبَةُ عَبِيدُ اللَّه
عَمَّرهَا وَثَمَّرهَا بِجَاهِكَ يَا رَسُولَ اللَّه))

ومن بخل عليهم :

((اليَسَّارُ فِي اللَّوج - مُولْ الدَّارْ مَذْبُوحْ - شَبْرِيَة مَعْلَقَة - مُولَاةُ الدَّارْ مَطْلَقَة)) - ينظر : ED-Destaing-l'Ennayer chez les Beni-Snous Revue Africaine- 1905 N° 49 P.65 et suivantes.

1 - يشترط الطالب في هذه المرأة أن تكون متحررة من كل القيود كالزواج مثلا ، وأن تكون حاذقة ، معروفة لدى النساء و ذلك حتى تتمكن من إلتقاط الأخبار التي تساعد الطالب على ممارسة السحر .

بينه وبين فئات الشعب ، وقد يتم هذا الأتصال عن طريق الأطفال (التلاميذ) .

هكذا كان يمارس السحر بين "الطُلْبَة" في بداية الأمر دون أن يشعر بهم أحد ، فالمرأة هي التي تتصل بالنساء في بيوتهن ، فتتعرف على مشاكلهن ، ثم تأتي "الطالب" ليكتب لهن (حجابا) أو (حرزا) . ومما لاشك فيه أن المرأة كانت تتقاسم المال مع الطالب نتيجة عملها هذا .

لكن يبدو أن هذه العلاقة بين بعضهم لم تدم طويلا ، بحيث دب الشقاق والنزاع ، وكان الانفصال مما أدى الى ظهور طبقة من النساء الساحرات يمارسن السحر بناء على ما اكتسبنه من تجارب و خبرات طيلة عملهن مع "الطُلْبَة" .

و يلاحظ أن أغلب هؤلاء "الطلبة" من المتزوجين الذين حفظوا القرآن على يد المغاربة ، كما كانت لبعضهم اتصالات قوية بطُلْبَة المغرب الاقصى ، يتعلمون منهم السحر و يجلبون من عندهم كتبه .

ولعل ما يمكن ملاحظته عند هذا القسم من "الطُلبة" هو خلطهم الدين بالسحر ، وهذا ليضمنوا

سهولة التأثير في الناس ، ويحفظوا مكانتهم الاجتماعية . ونشير في هذا المجال الى أن عددا كبيرا تخلوا عن ممارسة السحر و صاروا يطلبون المغفرة من الله ، واذا اضطر أحدهم الى ذلك ،فهو لا (يكتب) إلا للخير .

وقد أجرينا احصاء[1] للفئة الباقية التي لا زالت تمارس السحر فأحصينا منها 73 طالبا .

القسم الثاني : النساء الساحرات :

ويبلغ عددهن 29 ساحرة (قزانة) أو (وحايّة)[2] فيهن المتزوجات و المطلقات ، ومعظمهن متخصصات في استطلاع الغيب بواسطة (الكارطة) و (الخفيف)[3] وقيل لنا أن أغلبهن كن يمارسن العهر ، وكن يشتغلن كواسطة بين الرجّال والنسّاء .

لقد تبين للباحث أن هذه الفئة من الساحرات هي التي كانت تشتغل مع فئة "الطلبة" كما ذكرنا سابقا ،

---

1 - لقد اعتمدنا في هذا الاحصاء على الدليل (ينظر في ملحق هذه الرسالة ص:) الذي تم توزيعه في مختلف جهات المنطقة و بالخصوص على المعلمين وأساتذة وطلبة الثانويات .

2 - من الوحي ، و كأن الساحرة يُوحى لها ،مثل ما كان يوحى للأنبياء .

3 - ينظر - ص: 187 وما بعدها من هذا البحث

ولما وقع الأنفصال، لأسباب معينة، واصلن هؤلاء النساء ممارستهن للسحر بناء على ما تعلمنه من الطلبة.

ونشير الى أن أغلبهن، إن لم نقل كلهن، من الاميات الجاهلات، لا يعرفن حتى كتابة أسمائهن، كما أنهن لا يمارسن شيئا من الشعائر الدينية، والسحر عندهن عبارة عن تمتمات و تقليب أوراق و استنطاق رسومها، مما يوهم الانسان البسيط بأنها تعبر عن مقاصده و مشاكله.

وفيما يلي بعض الجداول[1] التي تكشف لنا عن نوع و طبيعة المشتغلين بالسحر من الرجال و النساء في منطقة بلعباس، والذي يبلغ عددهم 102

الجدول رقم 1 توزيع المشتغلين حسب النوع

النوع	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
ذكر	73	٪ 71،56
أنثى	29	٪ 28،43
المجموع	102	100

1 - اعتمدنا على البيان التالي : ينظر ملحق هذا البحث ص: 260

يكشف هذا الجدول (1) عن مجموع المشتغلين بالسحر ،حيث نلاحظ أن نسبة الذكور تمثل 71،56 ٪ ، بينما لا تمثل نسبة الإناث سوى 28،43 ٪ ، مما يدل على ما أشرنا اليه سابقا من أن السحر قد انتقل من الرجال (الطلبة) الى النساء .

الجدول رقم 2 توزيع المشتغلين حسب فئات السن

فئات السن	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
أقل من 20	—	—
من 20 — 30	4	٪ 3،92
من 30 — 40	61	٪59،80
من 40 — 50	32	٪ 31،37
أكثر من 50	5	٪ 4،90
المجموع	102	100

نلاحظ أن الغالبية العظمى من هؤلاء المشتغلين تقع أعمارهم بين 30 و 50 سنة أي بنسبة 88،39 ٪ ، أي أنهم عاشوا كلهم تقريبا في مرحلة واحدة ، هي مرحلة الاستعمار والجهل و التخلف ، فهذه المرحلة هي التي أنجبت هؤلاء كما أنجبت الإعتقاد بالأولياء . ومن ثمّ يمكن القول أن السحر الشعبي هو وليد ظروف ساد فيها الظلم والخرافة والإيمان بالخوارق .

الجدول رقم 3 توزيع المشتغلين حسب مستوى التعليم

مستوى التعليم	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
أمي	27	٪26،47
يقرأ فقط	4	٪ 3،92
يقرأ ويكتب	63	٪ 61،76
ابتدائي	7	٪ 6،86
ثانوي	1	٪ 0،98
جامعي	—	—
فوق جامعي	—	—
المجموع	102	100

يكشف الجدول رقم 3 عن نقطة أساسية وهي أن معظم المشتغلين يقرأون ويكتبون ، أي بنسبة 61،76٪ ،وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه ، من أن السحر كان من اختصاص " الطلبة " ،ثم انتقل الى فئات أخرى ادعت المعرفة الواسعة بالممارسات السحرية ، والخبرة الفولكلورية بصورة عامة .

ونلاحظ أيضا أن هذه الممارسات مرتبطة بمستوى فكري بسيط ومنحط ، ويبدوا أنه كلما تطور الانسان وارتقى في مستواه الفكري والعلمي ، ابتعد عن هذا الاعتقاد .

الجـــدول رقم 4 توزيع المشتغلين حسب الحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
أعـــــزب	4	٪3،92
متـــــزوج	72	٪70،58
مطـلـــق	17	٪16،66
أرمـــــل	9	٪8،82
المجـمـــوع	102	100

تشكـل نسبـة المتـزوجيـن ٪63،72 ، فـي حيـن لا تمثـل الحالات الاخـرى مجتمعـة سـوى ٪36،27 ، ويمكـن تفسيـر هـذه المعطيـات بالـرجـوع الـى طبيعـة هـذه الممارسـات التـى تتطـلـب زمنـا طـويـلا يكـون الانسـان (الساحر) مـن خـلالـه قـد تـزوج و أنجـب أطفـالا . كما أن المتـرددين يقبلـون أكثـر علـى المتـزوجيـن من المشتغليـن لأنهـم - في المعتقد الشعبي- أعمـق معرفـة و خبـرة من غيرهم ، وأكبـر ثقـة واحتراما . كمـا أن الانـاث من المترددات يفضـلـن المتزوجـات و المتزوجيـن ، وهذا لكـي يتجنبـن الشبهـات و الوقـوع في تهـم الناس.

الجدول رقم 5 توزيع المشتغلين حسب درجة الشهرة

درجة الشهرة	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
مشهـور جـدا	5	٪4،90
مشهـــور	14	٪13،72
نصف مشهـور	29	٪28،43
مغمـــور	54	٪52،94
المجـمـــوع	102	100

يتبين من خلال الجدول رقم 5 أن أكثر من نصف المشتغلين من المغمورين أي بنسبة 52،94٪ ، لا يعرفهم الاالقليل من الناس (جيرانهم أو أهل الحي) ، وهذا عكس المشهورين جدّا التي تصل شهرتهم الى خارج المنطقة كوهران وتلمسان و معسكر . ولعل من أهم أسباب شهرت هؤلاء هو اختصاصهم في حل المربوط ، مثل ساحرة قرية (الطابية) وساحر قرية (تنيرة) ، و أيضا في شفاء الانسان الذي به مس من الجن ،مثل ساحر قرية (زليفة) .

ويؤكد هذا الجدول أيضا ما ذكرناه سابقا ، من أن السحر بدأ في الخفاء بعيدا عن أنظار الناس ، ثم قليلا قليلا تعرف الناس على أصحابه ، لكن لازال الجزء الاكبر منهم يمارس السحر في الخفاء مثل ما هو الحال في قرية سيدي لحسن ،و حي قنبيطة بسيدي بلعباس

الجدول رقم 6 توزيع المشتغلين بحسب الوراثة و الهواية في الاشتغال بالسحر

الوراثة و الهواية	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
عن وراثة	8	7،84٪
عن هواية	94	92،15٪
المجموع	102	100

نسبة قليلة من المشتغلين تمتهن السحر بتأثير الوراثة ، أي بنسبة 25،49 ٪ و تكاد هذه النسبة تقتصر على فئة النساء (1) (العمريات) ، لأنهن يمتهن السحر كمهنة أساسية في حياتهن ، حيث تورّث الأم ابنتها السحر منذ نعومة أظفارها • وهذه الفئة ،كما سبق و أن أشرنا الى ذلك ، لا تستقر بمكان معين ،فهي في ارتحال دائم •

أما النسبة الأخرى التي تمتهن السحر عن هواية و أسباب اجتماعية ، فهي تشكل الاغلبية 50،74٪ ، وهي تكاد تقتصر على فئة الطلبة وبعض الساحرات • وهكذا نرى أن من أهم دواعي الاشتغال بالسحر الظروف الاجتماعية ،كالفقر والحاجة ،والرغبة في الحصول على الأموال الطائلة (ساحرة الطابية) •

الجدول رقم 7 توزيع المشتغلين بحسب الكتب المستعملة

الكتب المستخدمة	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
كتب السحر	73	56،71٪
لا يستخدم الكتب	29	43،28٪
المجموع	102	100

1 ــ ينظر تفصيل ذلك في الفصل الثاني (الباب الاول) من هذا البحث ص 68

يكشف الجدول رقم 7 أن معظم السحرة يعتمدون على الكتب السحرية المختلفة ، وبالخصوص فئة " الطُلبة "(السحرة) أما النساء الساحرات فهن يعتمدن على وسائل أخرى نذكر منها ، الاوراق (الكارطة) و الرّصاص (الخفيف) والقمح والسميد ، والملابس ...

ونشير أخيرا الى أن هناك فئات أخرى من الشعب تمارس السحر بوسائل بسيطة جدا كما لوشم مثلا الذي يعتبر من الممارسات السحرية كما سبق وأن أشرنا وبعبارة أخرى هناك ممارسات سحرية شعبية ،يقوم بها الناس أنفسهم ، بحيث يتحول الانسان الشعبي في مناسبات معينة الى ساحر ، مثلما سوف نرى في الفصل القادم .

• الفصل الثالث :

أغراض الممارسة السحرية

أغـــراض الممارســـة السحـــريـة:

إنـــه مـــن الصعـــب الوقـــوف عـلـى جـمـيـــع الممارســـات السحـــريـــة لكثرتهـــا و تنـــوعهـــا ، فهـــي تكـــاد تشمـــــل جميـــع منـــاحـــي الحيـــاة الشعبيـــة ســـواء فـــي أفـــراحـــها أو أحـــزانهـــا . وكثـــيـرا مـــا تختلـــط هـــذه الأغـــــراض بطـــقـــوس وممارســـات شعبـــيـــة آخـــرى كالطـــب الشعبـــي مثـــلا . والمـــلاحـــظ أن أغلـــب هـــذه الممـــارســـات موجهـــة نحـــو فعـــل الشـــر ، لأنهـــا تهـــدف الـــى الانتقـــام مـــن الآخـــر .

وقبـــل أن نشـــرع فـــي عـــرض أهـــم أغـــراض هـــذه الاعمـــال ، نشيـــر الـــى أن هنـــاك نـــوعيـــن مـــن الاغـــراض السحـــريـــة ، أغـــراض عـــامـــة تـــوارثتهـــا الأجيـــال منـــذ القـــديـــم ، وهـــي لا تحـــتـــاج فـــي تـــأديتهـــا الـــى ساحـــر لأنهـــا معـــروفـــة لـــدى جميـــع النـــاس ، وخيـــر مثـــال علـــى هـــذا النـــوع مـــا تقـــوم بـــه نســـاء المنطقـــة فـــي أثنـــاء دخـــول العـــريـس علـى زوجـــه ليلـــة زفـافهمـــا حيـــث تقف أم العـــريـــس عنـــد البـــاب فتضـــع خيطـــا فيـــه حبـــات مـــن الذهـــب (اللـــويـــز) فـــي عنـــق ابنهـــا ، و تـــأمـــره بـــأن يمـــر تحـــت رجلهـــا اليمـــنـى ، اعتقـــادا منهـــا أن ذلك يـــرزقـــه أطفـــالا ، و يجنـــبـــه سحـــر الأعـــداء .

والـــواقـــع أن هـــذا المعتقـــد يعـــود الى زمـــن اكتشـــاف الذهـــب والفضـــة ، حيـــث كـــان الانســـان القديـــم يعتقـــد

بأن للذهب مفعولا عجيبا من شأنه أن يعيد الشباب و يطيل الحياة و يكثر النسل، و أنه يضفي على من يحمله صفات الصحة و نعمة و الخلود [1]. وكان الإغريق يستخدمونه كرمز للخصوبة والغنى و السيطرة ، ومن بين المعتقدات أيضا أن الذهب يستمد بريقه من الشمس ، ومن ثمّ فهو مصدر الحياة والخصب والنماء [2]. ولعل دلالاته الرمزية تلك هي التي جعلت سكان المنطقة وغيرهم من المناطق الجزائرية الأخرى ، يعمدون اليه في مثل هذه المناسبات .

وفيما يلي عرض لأهم الموضوعات التي تتجلى فيها الممارسات السحرية، وهي : الحب والزواج ، والربيط و العين و كشف الكنوز واستطلاع الغيب ، و أخيرا مبطلات السحر في المعتقد الشعبي .

1 - في الحب :

يعد الحب من العواطف النبيلة عند الانسان وهو تعبير عن تلك الشعلة النفسية التي تشده الى الآخر ،فيزداد شوقا اليه . لكن الانسان ليس

---

1 - ينظر - بشير زهدي - مقدمة في الميثولوجيا - مجلة المعرفة - ع 197 - تموز 1978 - ص 30

2 - Sylvia Bates -Religions du monde - P. 111.

دائما مؤهلا للفوز بهذا الحب ، فهو يجد نفسه أحيانا عاجزا عن الوصول الى الآخر وهنا لا يجد أمامه سوى سبيل قهر ارادة هذا الآخر بالتحكم في شعوره و عواطفه بواسطة ممارسات سحرية معينة ،نذكر منها ما يلي :

- ((سحور المحبة بتنزيل القمرة)) وهو من أصعب الممارسات السحرية، لأنه كما يقول سحرة المنطقة ((ينزل برقبة، ويصعد برقبة)) ومعنى هذه الجملة أن نزول القمر بهذا الفعل السحري يؤدي الى موت رجلين الاول عند نزوله و الآخر عند صعوده . تأخذ الساحرة ، بعد ميلاد القمر بسبعة أيام ، مجمرا فيه فحم يشتعل ، فترمي فيه من حين الى آخر قليلا من البخور ، و تدور سبع مرات بالمكان الذي تريد الجلوس فيه ،ثم تجلس على الا رض ،وتضع بين رجليها اناء (قصعة) (جفنة) فيه ماء يعد بمثابة المرآة ، حيث تعكسه الساحرة تجاه ضوء القمر و هي تردد هذه الكلمات [1]:

((أَعْلَى سْلامْتَكْ يَا القَمَرَة ، يَا لِي تْضْوِي أَعْلَى البَرّ و البَحَرْ ، يَا لِي تْضْوِي عْلَى المَيتْ فِي القَبَرْ، تْقَدِي مْحَبَة افْلَانَة بِنْتْ فْلَانَة فِي قَلْبْ افْلَانْ وْلَدْ افْلَانَة ، كَمَا يْقَدِي هَذَا البْخُورفي المَجْمَرْ)) [2]

---

1 - راوية هذا النص وغيره من النصوص الآتية الساحرة : عائشة بمدينة سيدي بلعباس . ونشير أننا لم نحصل على هذه النصوص الا بعد جهد كبير وأموال كثيرة .

2- تقدي ،يقدي = تشتعل

فلما تنعكس صورة القمر على الماء ،تغطي الساحرة (القصعة) ،و تفرغ منها ماءها في زجاجة صغيرة لكي تحتفظ به زمنا طويلا ،لأنه شرط استمرار المحبة بين الرجل والمرأة .

والغريب أن هذا المعتقد يستعمل في مناطق أخرى (أقلو وجبال عمور) لأغراض و أهداف سحرية أخرى كقتل ارادة الانسان و قوته[1].

وعلى هامش هذا المعتقد ،الذي لا تقوم به إلا ساحرة ماهرة نجد معتقدا مماثلا تقوم به كل من تريد أن تقنع في غرام شخص ما ، حيث تأخذ اناء فيه ماء وتضعه لمدة ستة أيام مقابل القمر وفي الليلة السابعة تخرج بعد أن ينام الناس ، فتغسل رجلها اليمنى بهذا الماء على ضوء القمر ،وهي تقول :

((غَسَّلْتَكْ يَا رَجْلِي ، وعَشَّقْتَكْ يَا حْبِيبِي ، تْجِينِي كِمَا جَاتْ القَمَّرَة تْضَوِي)) [2]

واذا حاولنا الرجوع الى أصل هذه المعتقدات نجد أنها ترتكز على رواسب دينية بدائية

1_Mathea Gaudry:La société feminine au djebel amour et au ksel.P.347.

2 _ جات = جاءت

حينما كان الانسان يؤوله القمر والشمس ، كما أن ارتباط القمر بفكرة جلب الحبيب والحب والزواج ،كلها معتقدات وردت في الاسطورة العربية القديمة التي تقول أن الدبران ،وهو اسم نجم أراد أن يتزوج الثريا ، لكن العيوق (كوكب أحمر مضيء يطلع قبل الجوزاء) عاق هذا الزواج فسمي العيوق لأنه عاق الدبران عن لقاء الثريا . وفي هذه الاسطورة قال أبو ذؤيب [1]

فَوَرَدْنَ ،والعَيُّوقُ مَقْعَدَ رابِئِ الضَّـ ـرَبَاءِ ،خلفَ النجمِ،لا يتلَمَّعُ

ومن المعتقدات التي كانت شائعة بالمنطقة ما روته لنا السيدة : مسعودة ، حيث قالت كانت الفتاة التي ترغب في الزواج ،تخرج الى القمر وهي تحمل دقيقا بيدها فترميه له وهي تقول :

((سعدي يا سعد السعود ، القمرة تضوي ، أو سعدي ايجيني والناس رقود)) [2]

وهناك طقس آخر كانت النساء تقوم به لجلب الرجال إليهن ، حيث كانت تقوم الواحدة منهن بشراء قدر من الفخار من حانوت يكون بابه في اتجاه القبلة فتملؤها بالفلفل الأحمر والملح وتضعهما فوق النار وهي تقول :

---

1 ـ الاب جرجس داود داود ـ أديان العرب قبل الاسلام ـ ص: 340

2 ـ سعدي = كناية عن الحبيب ـ يا سعد السعود = هنا أيضا كناية عن مكانة هذا الحبيب ، أما في المثل الزراعي ((في سعد السعود يجري الما في العود)) يقصد به منزلة زراعية تلم في شهر يناير (في اليوم السابع عشر) وتدوم ثلاثة أيام . ينظر ـ عبد الملك مرتاض ـ في الامثال الزراعية ـ الجزائر ـ 1987 ـ ص: 74

((بِمِلْحِي مِلَحْتَكْ ،وفُلْفُلِي أَحْرَقْتَكْ ، وبِنَارِي طَيَّبْتَكْ جِيبِلِي فُلَانْ وَلَا فُلَانَة فِي ذَا النَّهَارْ وَلَا فِي ذَا اللَّيْلَة وَإِلَّا نَهْرَسَكْ)) [1] .

نلاحظ في هذه الكلمة السحرية ، تركيزا على عناصر معينة وهي (الملح و الفلفل و النار) وهذه العناصر تشترك جميعا في شيء واحد و هو (الحرارة) ، وقد أستعملت كمعادل موضوعي لحرارة الحب و الشعور ، فكما أن هذه الاشياء ذات مذاق حار ، فإنها ، في نظر المعتقد الشعبي ، سوف تؤثر ،اذا ما استعملت بطريقة سحرية معينة على الشخص المرغوب فيه . كما نلاحظ أيضا ذلك التهديد المتمثل في كلمة (نهرسك) بمعني أكسرك ، وهو تهديد لا يختلف عن تهديد الساحر للجن إن هو لم يستجب له .

أما الذي يريد أن ينسى عشيقته ، ويشفى من نار الحب ، فهو (الساحر) يكتب له حروفا و آيات قرآنية و يأمره بمحوها في كأس من الماء يشربه على مرّ ثلاثة أيام ،وهذا ما يكتب له:

---

1 ــ بملحي = الملح ، طيبتك = بمعنى أصبحت ناضجة ، جيبلي = أتيني بفلان ، نهرسك = أكسرك .

((أ ب و ا ل ك م و ل وَقِيلَ اليَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَومِكُمْ هَذا ، وَنَسِيتُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ، وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ، كَذَلِكَ يُنْسَى فُلَانُ ابن فُلَانة ، فُلَانة بِنْتُ فُلَانة ، وَلَا تَحْفُرْ لَهُ عَلَى بَالِهِ)) [1] .

2 - في الزواج :

تعد مناسبة الزواج من أهم المناسبات التي تكثر فيها المعتقدات السحرية ، لأن في هذه المناسبة يكثر الحسد و الغيرة وبالخصوص بين النساء ، و يجد فيها السحرة فرصة للكسب و الحصول على الأموال .

يعتقد سكان المنطقة أن الفتاة التي تريد الزواج و لم تجد زوجا ، عليها أن تشرب و تأكل من الحليب و التمر المقدم الى العروس يوم خطبتها (الملاك) ، و أن تجلس بمكانها بعد أن تفارقه ، أو أن تتحزم بحزامها يوم (الحزام) ، و هو اليوم الثاني من العرس .

وفي معتقد آخر أن تذهب الي البحر وتقطع سبعا من أمواجه . وفي معتقد آخر أن تأمر عروسا مرّ على زواجها سبعة أيام ، أن تجرها و هي فوق كيس من الدقيق .

---

1 - كلف الباحث صديقا له بأن يسعى الى طالب ساحر ، و يعرض عليه حاله ، و أنه يريد أن يتخلص من فتاة يعشقها فحصل على حجاب صغير مكتوب عليه هذا النص .

أما اذا أرادت أن تعرف زوجها، فعليها أن تضع قليلا من الحناء في يدها ليلة الخميس ،و تدعو بهذا الدعاء :

((يَا حُنَّةُ لَجْمَاعْ،يَا جَمْعَةْ لَجْمَاعْ ، وْرِينِي زَهْرِي المَسْعُودْ وْرِينِي زَهْرِي المَكْتُوبْ)) [1] .

وعندها تعتقد أنها سوف ترى في المنام زوجها .

وفي معتقد آخر ، أن تخبز خبزة من دقيق الشعير و تكثر فيها الملح ، وتأكلها - وعند بعضهم تضعها تحت وسادتها - فإنها سوف ترى زوجها .

وتعتقد بعض النساء أن العذراء التي تضربها أمها بالمكسة لن تتزوج ، ولن يتقدم اليها أحد . وأن العروس التي ترغب في انجاب طفل عليها أن تجلس طفلا في حجرها يوم زواجها أي يوم (الحناء) . ومما لاشك فيه أن هذا المعتقد يندرج ضمن السحر التعاطفي أو سحر المحاكاة [2]

ومن معتقداتهم ، أنهم يشترطون في المرأة التي تضع الحناء للعروس أن لا تكون أرملة أو متزوجة

---

1 - لجماع = من الجمع ، ورِيني زهري المسعود = خطاب موجه للحناء كي تساعدها لرؤية زوجها في المنام .

2 - هناك معتقد بدائي مماثل ينظر - الفصل الثاني من هذا البحث - ص: 54

مرتين ، حتى لا تؤثر في حياتها ، فتصبح مثلها أرملة أو مطلقة . كما أنهم يرفضون أن تأخذ العروس (في شهرتها) اللون الاسود لأنه رمز الموت ،كما أشرنا سابقا ، و أن لا تلبس اللباس الاحمر ليلة عرسها ، لأنه يجلب في اعتقادهم الجن و الشياطين .

وتعتقد بعض النساء ، أن العروس التي تضع في فمها حبة من (اللويز) حين دخولها الى بيت زوجها فإنها ستظل (كاللويزة) في قلبه . و أن العروس التي تفلح في وضع رجلها فوق رجل زوجها ليلة زفافهما فإنها سوف تكون صاحبة الأمر في الحياة الزوجية .

الدلالة السحرية والرمزية للماء والبيض والسكر :

ومن معتقدات سكان المنطقة عامة ، أنهم يكسرون البيض عند دخول العروس الى بيت زوجها ، و يرمون الماء عند خروجها من بيت والديها وتفسر الطبقات الشعبية هذا الاعتقاد بأنه عبارة عن طقس وقائي هدفه حفظ العرسين من الشرور .

والواقع أن لهذه الطقوس صلة وثيقة بمعتقدات مماثلة عند شعوب أخرى ، فمن عادات أهل فرنسا أن تدوس العروس البيض أول دخولها في بيت الزوجية

التماسا للخصوبة ، لأن البيض في الاعتقاد الشعبي يرمز الى الارض و الحياة و الوئام[1] ، و تكسيره في الاعراس يؤدي الى طرد الأرواح الشريرة ، ويقال أنه يرمز الى فقدان العروس لبكارتها ، وتعتبره بعض الشعوب البدائية نوعا من الممارسة السحرية تجعل الحمل بالأطفال سهلا[2].

ومن معتقداتهم ،التي تخلوا عنها اليوم ، أنهم كانوا يحملون العروس الى بيت زوجها دون أن تمسّ رجليها عتبة الدار . ويبدو أن هذا المعتقد منتشر في جهات كثيرة من العالم ، وقد فسره الباحثون تفسيرات مختلفة ، فعتبره "بلوتارك" أثرا متخلفا لعادة إختطاف ((نساء سابينا)) اللواتي كان الرومانيون يتخذون منهن زوجات[3] . ويذهب فرايزر الى أن وقاية العروس من أن تمس عتبة زوجها ليلة الزفاف ،ترجع الى ذلك الاعتقاد السحري الذي أحاط بالاعتاب في الخيال الشعبي ، والذي مرده أن أرواح الاباء الموتى تسكن تلك الاعتاب ، و من ثمّ وجب أن لا تقتحم رجل انسان غريب مسكن هذه الأرواح الا بعد السّماح لها .[4]

---

1 - ينظر - رشدي صالح - الادب الشعبي - مصر 1971 - ص 132

2 - ينظر - فوزي العنتيل - بين الفولكلور و الثقافة الشعبية - مصر 1978 - ص 399

3 - ينظر - جميس فرايزر - الفولكلور في العهد القديم (التوراة) - تر: نبيلة ابراهيم - 2/ 625

4 - ينظر - المرجع السابق - 2/ 630 وما بعدها

ولا شك أن هناك ارتباطا وثيقا بين الزوجة و العتبة بحيث يشكلان وحدة رمزية متماسكة وقد بدأت هذه الوحدة مع قصة سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام التي تورد ها الروايات على النحو التالي :
أتى الخليل لزيارة ابنه ، فلم يجده ، و وجد زوجته فلم تحسن استقباله ، فترك عندها وصية لابنه يقول فيها : ((غَيِّرْ عَتَبَةَ بَيْتِكَ)) [1] .

3 - في " الربيط " : (ظاهرة الربيط في المعتقد السحري)

من الممارسات السحرية المنتشرة بالمنطقة ظاهرة " الربيط " و المقصود بها ربط أعضاء الانسان التناسلية ، بحيث يصبح عاجزا عن القيام بالعملية الجنسية و بالتالي الانجاب .

و ينتشر هذا المعتقد في الريف و المدينة على حد سواء ، و تكثر ممارسته في فصل الصيف في أثناء الاعراس . و هو يشيع على الخصوص بين الأقارب و العائلات المجاورة . لأن هذه الأخيرة تعرف جيدا أين تضع السحر ، كما أنها تعرف اسم الزوج و الزوجة وربما تأخذ شيئا (شعر ، ثياب ...) من دار العريس لكي يتحقق لها الفعل السحري .

---

1 - ينظر علي زيعور - التحليل النفسي للذات العربية - بيروت 1977 - ص: 148

ومن أهم الاسباب التي تؤدي الى الربيط : الحسد و الغيرة ، و الانتقام كأن يمتنع رجل عن الزواج بامرأة تحبه ، فتلجأ هذه الأخيرة الى السحر كأرقى شكل من أشكال الانتقام عندها .

والربيط نوعان : الربيط لألحاق الاذى بالآخرين ، والربيط من أجل الحصانة .

أ ـ الربيط لألحاق الاذى بالآخرين :

ـ كيفية الربيط : هناك عدة طرائق[1] يستعملها "طلبة" المنطقة و سحرتها في ربط العريسين ، نذكر منها مايلي :

1 ـ يأخذ الساحر سبع شعرات من ذيل بغل ،فيعقد في كل واحدة عقدة و هو يقول :

((فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمُ عَسِيْرٌ عَلَى الكَافِرِيْنَ غَيْرُ يَسِيرٍ ، أَعْقِدُوا ذَكَرَ فُلَانٍ عَنْ فَرْجِ فُلَانَةَ ، وَإِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ،مَاتَتْ النُّفُوسُ وَانْقَطَعَتْ الجُنُوسُ وَنَزَلَ الكَابُوسُ عَلَى ذَكَرِ فُلَانِ ابْنِ فُلَانَةَ إِنْ قَامَ إِنْحَنَى وَإِنْ طَعِنَ بِهِ إِلْتَوَى ، وَ أَخَذْتُهُ بِمِثْلِ أَخْذِ اللَّهِ بِهِ القُرَى وَ هِيَ ظَالِمَةٌ ان أخذه أليم شديد)) .

---

1 ـ لقد وجد الباحث صعوبة كبيرة في الحصول على هذه المعلومات ، لأنها من الأسرار التى لا يبوح بها السحرة إلا للذين لديهم علاقة قوية بهم ، فكان الباحث يتقرب الى هؤلاء عن طريق أصدقائهم و أهليهم ، وقد تطلب منا ذلك وقتا طويلا . وأغلب الذين أخذنا منهم هذه المعلومات من مدينة بلعباس وقرية سيدي لحسن .

2 ـ أو يأخذ خيطا من الحرير الاحمر ، فيعقد فيه ثلاث عقد وهو يقول :

((مشي الخيط عقدت ، فلان ولد فلانة عقدت ، عقدت منه ثلاث مائة عرق و ستة و ستين عرقا ، حتى يلج الجمل في سم الخياط ، حتى لا يحلك انس ولا جان ، الا لي عقدك هو يحلك بيده ، فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا)) .

3 ـ عقد المرأة عن الزواج : يرسم الساحر للمرأة التي يريد ربطها صورة ثم يكتب على فرجها :

((عقدتك يا فلانة عن الزواج ، لا تتزوجي حتى يقوم أهل القبور ، إنك ميت و إنهم ميتون))

و ينصح الساحر وضع هذه الصورة بجانب قبر منسي قديم

4 ـ هناك معتقد عام يستطيع أن يقوم به أي شخص ، كأن يأخذ أحدهم سكينا جديدا أو قفلا أو مقصا ، و لما يرى العريس أو العروس ، يفتحه و ينادى عليه ، فان التفت اليه غلقه بسرعة و هو يقول :

((مشي الخدمي قفلت ، فلان ولد فلانة قفلت و عقدت)) [1]

---

1 ـ الخدمي = السكين

لعل أهم شيء يمكن ملاحظته في هذه الطرائق ، هو استعمالها لأجزاء من آيات قرآنية استعمالا خاصا يخدم الغرض الذى يهدف اليه الطقس السحري . فالساحر يخرج هذه الكلمات القرآنية و هي مثقلة بطاقاتها الدلالية و الرمزية ،من سياقها القرآني الى سياق سحري و لغوي مميز ، وهي بهذا الاستعمال تكتسب طابعا خاصا ،و أهمية أخرى تجعلها عبارة عن سلاح شديد البأس ، فلا شيء يستطيع مقاومة أثرها [1] .

ب ـ الربيط من أجل الحصانة :

تلجأ بعض الأمهات بالمنطقة الى ربط بناتهن جنسيا خوفا من العار و الفضيحة ، حيث تطلب الأم من ابنتها ـ دون أن تعلم هذه الاخيرة ـ أن تمر ست مرات فوق (السدة) [2] و في السابعة تأخذ بيدها وتقول بصوت منخفض :

((عْلَى السْدَة رَبْطَتْكْ وْعْلَى السَدَة نْحَلَكْ))

ثم تضربها على ردفها و تأمرها بالانصراف .

---

1 ـ ينظر ـ ارنست كاسيرر ـ الدولة و الاسطورة ـ تر: أحمد حمدى محمود ـ ص: 373

2 ـ آلة يتم بها نسج الصوف .

بهذا الطقس تعتقد الأم أنها ربطت ابنتها، و أنها في مأمن عن كل الانحرافات ، حتى يأتي يوم زواجها حيث تقوم بحلها بنفس الطريقة التي تم بها ربطها.

- "ربيط الولادة" ((منع المرأة من الانجاب))

تأخذ المرأة التي تنوي ربط نفسها عن الانجاب خيطا من الحرير الاحمر ،فتُلطّخه بدم حيضها ، ثم تقف فوق عتبة البيت ،وتعقد عقدا على حسب السنين إلتي ترغب أن تبقى فيها بدون ولادة ،لأن كل عقدة تساوي سنة كاملة، و تقول :

((مْشِي الحَرِيرْ اِلِي عْقَدْتْ ،وْلَادْتِي و أْوْلَادْتْ رَاجْلِي اِلِي عْقَدْتْ))(1)

ثم تخفي هذا الخيط في مكان بعيد عن الأنظار و الآيادي . و اذا أرادت أن تحل نفسها فهي تحل هذه العقد ، و تعيد هذه الصيغة بطريقة عكسية :

((مْشِي الحَرِيرْ اِلِي حِلِيتْ ،وْلَادْتِي و أْوْلَادْتْ رَاجْلِي اِلِي حِلِيتْ))

---

1 ـ المعنى : ليس الحرير الذي عقدته ، وانما أولادي و أولاد زوجي عقدت

وفي معتقد آخر أن تقوم بطبخ بيضات (كل بيضة تساوي سنة) في ماء تكون قد غسلت به ملابسها، ثم تأكل هذه البيضات وتقول

((مشي البيض الي كليت ولادتي و أولادت راجلي كليت)) [1]

ثم تحرق القشور، ولا تأكل البيض بعد ذلك أبدا. و لهذا السبب نجد المثل الشعبي يقول:

((كلات أولادها في كرشها)) [2]

- كيفية حل المربوط في المعتقد السحري:

1 - أن يدعوا الزوج بهذا الدعاء:

((اللهم أحلل هذه العقدة بقدرتك، و أزل هذه العسرة برحمتك، وادفع عني شر ما يمكرون. اللهم أحلل ما يعقدون، وانقض ما يبرمون، وافسخ ما يريدون))

2 - أن يكتب هذه العبارات في ورقة ((حجاب)) و يعلقها معه ليلة عرسه:

((زين لفلان بن فلانة حب الشهوات من فلانة بنت فلانة و البنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة فولك متاع الحياة والله عنده حسن المآب))

---

1 - كليت = أكلت، أولادتي = أولادي
2 - كلات = أكلت، كرشها = بطنها

3 - أن لا يأكل طعاما يشك في نيّة صاحبه ، وأن لا يلتفت الى أحد بناديه من خلفه .

3 - في العين :

من الأمثال الشعبية التي يرددها الناس كثيرا :

((العَيْنُ تُدْخِلُ الجَمَلَ في القِدْر ، والرَّجُلَ في القَبْر))
((خَمْسَة في عَيْنِيكْ))
((العَيْنُ تُذَوِّبُ لَجْبَال))

تشير هذه الامثال الى مدى اعتقاد الناس في العين باعتبارها رمز الحسد و الحقد ، فهي تملك قوة تدميرية رهيبة ((عَيْنُ النَاسِ تُهَدِّمْ كُلْ سَيَّاسْ)) كما أنها تذيب الجبل على عظمته، بل و تؤدي الى القتل ((العَيْنُ تُذْوِبْ لَجْبَالْ ، و تُقْتِل الرِّجَالْ)) .

ممارسات سحرية لرد العين :

هناك عدة أشياء يقوم بها سكان بلعباس لرد العين عن أنفسهم و أولادهم و أموالهم ومن هذه الاشياء أنهم يعلقون حذوة الحصان على أبواب منازلهم ، وهناك من يشترط فيها سبعة أثقاب .

والواقع أن هذا الاعتقاد واسع الانتشار بين شعوب العالم الى درجة تثير الدهشة وهو يستعمل في مختلف الجهات لأغراض سحرية متقاربة الأهداف ، فالحذوة عند أغلب الشعوب تحمي من الشر و تطرد الأرواح الخبيثة ، وهي عند بعضهم رمز الخصوبة و النماء و الوفرة[1] . وبالإضافة الى ذلك فإن الحصان يعد رمزا للقوة المخصبة و التناسلية ، ولهذا صارت حذوته تعلق على الأبواب .

كما أنهم يستعملون الملح و الشب و يرددون هذه العباره ((دَوَّبْتُ العَيْنْ ،مَا دَوَّبْتُشْ المَلْحْ)) . أو يقولون : ((خَمسَة فِي عَيْنِيكْ))

واستعمال الملح في هذا المعتقد ليس من باب الصدفة ، وإنما لما له من دلالات في التراث الشعبي فهو من حيث التركيب اللغوي للكلمة يقترب من كلمة "مليح" ، وهي في اللغة العامية بمعنى جميل وحسن ، والملح يؤدي الى التآخي و المصالحة، اذ ((لا مَصَالَحَة بِدُونْ مُمَالَحَة)) ، و هو يوقف التعفن في الطعام وغيره ، ومن ثم

---

1 ـ تشبه الحذوة القمر في شكلها ، والقمر كما هو معلوم في المعتقد العربي مؤنث ،وهو رمز الخصب والحياة ،ولذا صارت الحذوة أيضا رمزا لهذه الاشياء ـ ينظرعلي زيعور ـ التحليل النفسي للذات العربية ـ ص 142

فهو قادر على إيقاف التعفن الذي تحدثه العين الشريرة .

وهناك من يستعمل هذه الأدعية الشعبية مثل قولهم :

((عَيْنِكْ فِي حَافْرَكْ ، وَالجِنّ يْعَافْرَكْ)) (1)
((العَيْنْ رِينَا وَ اللّهْ يْعَافِينَا))

ويلجأ بعضهم الى كتابة آيات من القرآن الكريم ، وتعليق رسومات معينة تطبعها المطابع وتقوم ببيعها ، فيعلقها الناس على سياراتهم أو في محلاتهم التجارية . ومن هذه الرسومات ((خمسة وخميسة)) (2)

وهناك أشكال أخرى لرد العين نذكرها باختصار :
- تعليق العجلات المطاطية فوق المنازل
- تعليق رأس كبش أو قرنيه في واجهة المنازل
- تجنب الطرق الآهلة بالاشخاص المعروفين بالعين
- تحبيذ عدم اجتماع الأخوة في العمل أو غيره تجنبا للعين

---

1 - عينك في حافرك = بمعنى وراءك ، الجن يعافرك = بمعنى يصارعك
2 - ينظر الشكل رقم : 11 ص: 254 ، 255

ومما لاشك فيه أن لهذه المعتقدات أصلا دينيا وآخر أسطوريا[1] . فالاصل الاسطوري يتمثل في اعتقاد الانسان البدائي ،الذي يعتبر العين رمزا للقوة وللهب ، تذكر احدى الأساطير المصرية ، أن العين كانت ابنة للالٰه الأعلى ، ولما عادت اليه وجدت أن آخرى قد احتلت مكانها في وجه الالٰه (يمكن أن هذه العين البديلة على أنها الشمس أو القمر) ،فغضبت وتعذر على الالٰه إرضاؤها إرضاء تاما ، فكان أن حولها الى حية (كوبرا) تلتف حول رأسه حتى تدرأ عنه أعداءه[2] ومن ذلك الحين صارت رمزا للقوة المدمرة و المفزعة . وهنا قال عنها أحد الارباب الاقدمين :

((هاكم هي (العين) ستصبح أقوى من كل الأرباب))[3]

5 ـ في كشف الكنوز :

يعتقد بعض الناس أن القدماء تركوا كنوزا مخبأة تحت الارض ، وهي محفوظة بطرق وصيغ سحرية معينة . وتقوم على حراستها كائنات خفية كالجن والعفاريت . و يعتقد هؤلاء الناس أن (بنسنس)[4] هم وحدهم الذين

---

1 ـ ينظر تفصيل ذلك في : ابراهيم محمد الجمل ـ جذور الشر ـ ص: 99

2 ـ ينظر ـ رندل كلارك ـ الرمز والاسطورة (في مصر القديمة) ـ ترجمة أحمد صليحة ـ مصر 1988 ـ ص: 216

3 ـ المرجع السابق ـ ص: 218

4ـ تطلق هذه الكلمة على الطلبة الوافدين من المغرب الاقصى من بني سنوس

يستطعون استخراج هذه الكنوز [1].

6 ـ في استطلاع الغيب :

يعد هذا الموضوع من أبرز الموضوعات السحرية المتغلغلة في أعماق الأعتقاد الشعبي ، ولعل السبب في ذلك هو ، رغبة الانسان في معرفة المجهول و المستتر . ومن طرائق استطلاع الغيب بمنطقة بلعباس اللعب بالأوراق (ضَرْب الكارْطَلة) ، وضرب الرصاص (ضَرْب الخْفِيف) أو النظر في القمح و السميد و السبحة و الرمل والقصعة [2] .

وسنكتفي في هذا المجال بوصف طريقتين أساسيتين الاولى اللعب بالاوراق والثانية ضرب الرصاص.

1 ـ اللعب بالأوراق : من شروط هذه الطريقة أن لا تبدأ الساحرة (تسمى عند بعضهم (الشوّافة)لانّها (تشوف) بمعنى تنظر) إلا اذا كانت الاوراق كاملة بجميع أوراقها . تقوم هذه الاخيرة بخلط الاوراق وهي تسأل زبونها عن اسمه ثم تأمره بقسم الأوراق الى ثلاثة أقسام و تتولى هي

---

1 ـ لم نقف عند سكان المنطقة على طريقة واضحة لكشف الكنوز ، لكن يمكن الوقوف على هذه الطرق في كتب السحر ، ينظرعلى سبيل المثال : ابن الحاج التلمساني شموس الانوار ـ ص: 40

2 ـ يقول عبد الرحمان المجذوب ((الشَوّافْ يْشُوفْ مِنْ قَاعْ القْصْعَة ،وَالغْرَبَالْ تْشُوفْ مِنه قَاعْ النَاسْ)) نور الدين عبد القادر ـ القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمان المجذوب ـ الجزائر ـ د . س ـ ص: 70

جمعهـــا ، و الهـــدف مـــن كـــل هذا هـــو ابعـــاد الشـــك عـــن الزبـــون ، و محـــاولـــة إشـــراكـــه في الممارســة السحـــريـــة .

تطلـــب الساحـــرة من الزبـــون إن كـــان رجـــلا [1]، سحب ورقـــة مـــن الحـــزمـــة ، فتضعهـــا فـي وســـط مثلـــث وهمـــي تتجـــه زاويتـــه الـــى أسفـــل ، حيـــث تمثـــل قـاعـدتـــه العليـا الحاضـر ، وجهتـه اليمنـى الماضي ،واليسـري المستقبـل ،ثـــم تضـــع احـدى عشـر ورقـــة علـى يميـــن المثلـــث ،و أخـــرى مماثلـــة علـــى يســـاره ،ثـــم تبســـط عددا من الاوراق علـــى قـــاعـــدة المثلـــث مـــن اليســـار الـــى اليميـــن .

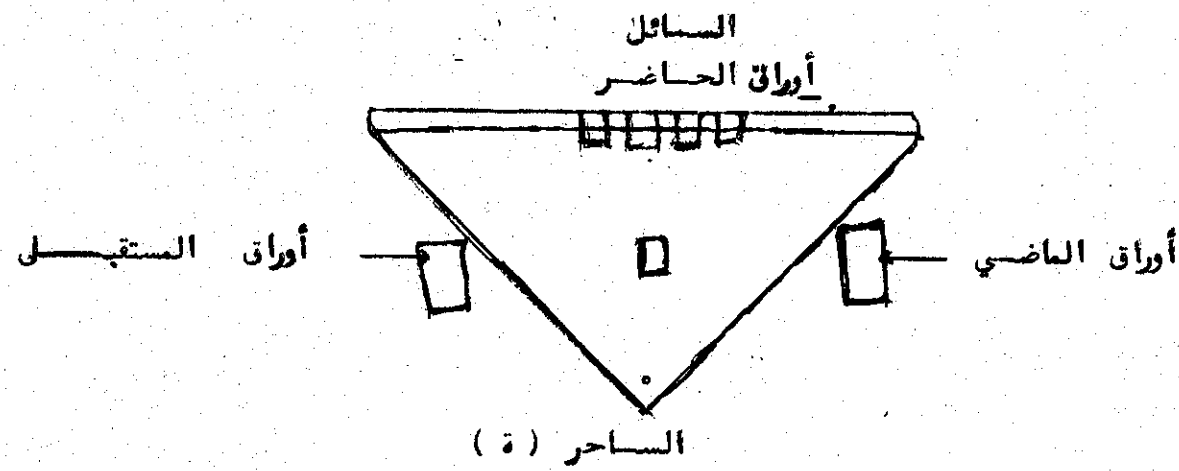

---

1 ـ أمـا اذا كانت امـرأة ،فان الساحرة هي التـى تسحـب الورقة ، وقد يعـود هـــذا لكـونهـا من نفـس الجنس.

وبعد ذلك تأتي مرحلة الكشف و القراءة ،حيث تطلب الساحرة من السائل كشف أوراق الحاضر ،ثم الماضي والمستقبل ، وتبقى ورقة وسط المثلث كسرّ من الأسرار . ثم قراءتها في آخر العملية السحرية وعند ذلك تتولى الساحرة الشرح و القراءة . وهذه بعض أقوالهن : (1)

((اسْمَكْ سَعْدِيَّة ، وأَنْتِ عَفِيفَة وَطَاهِرَة ، فِيكْ الْوَفَى والصَّفَا رَاهُمْ حَاسْدِينْكْ النَّسَا ، وَقَالُوا لَازْمْ تَبْقَى كِي الْفَرِيسَة دَائِمَا تَعِيسَة)) (2)

((أَنْتِ مُولَاتْ الْقَلْبْ الصَافِي ، رَايَهْ عَدِيَانَكْ بْزَافْ بْصَحْ يْمُوتُوا بْزَعَافْ ، رَاهُمْ يْقُولُوا نْخَلُوهَا هْجَالَة ، مَا تَخَافِيشْ ، نْوَضِي نْبَخْرَكْ وَ نْقَلْعَلَكْ)) (3)

نلاحظ في هذين النصين استعمال أسلوب السجع (الوفى ،الصفا ،الفريسة ، تعيسة) ،(بزاف بزعاف ، نبخرك ونقلعلك) والجمل القصيرة ، وهذه من مميزات الكلمة السحرية كما سبق و أن أشرنا الى ذلك .

---

1 ـ سجلت لنا هذه الاقوال السيدة : م . ن من عند ساحرة بمدينة بلعباس .

2 ـ النسا = النساء ، الفريسة = الجثة ، تعيسة = من التعاسة

3 ـ عديانك بزاف = كثرة الاعداء ، زعاف = ما يصيب الانسان حين الغضب هجالة = بدون زوج ، ما تخافيش = لا تخافي

هنـــاك طـــريقـــة أخـــرى تقـــوم علـــى مجموعـــة مـــن الشـــروط نذكـــر منهـــا :

1 ـ أن تعظـــم الساحـــرة (الكارطة) بعـــد شـــرائهـــا مباشـــــرة فتقـــول :

((عَظْمَتُكْ بالنَّبِي سَيِدِي رَسُوْلْ اللّه ، وعَظْمَتَكْ كَمَا عَظْمَاتْـــكْ لَالَـــة فَاطْمَـــة ،لِفِي قَلبِـــي يَخْـــرُجْ فِـي قْـــزَانْتِـي))

2 ـ بعد التعظيـــم ، يـأتـي التهـــديد و التخـــويـف .

((لَـــوَّ كَـــانْ تْكَـــذبِـي عْلِي نَحرَقْكَ كَمَا نْحَرَقْ الجَاوِي و البْخُـــورْ))

ثم تقســـمـــهـــا بيـــدهـا اليـــســـرى و هي تقـــول :

((أَقْسَمْـــتْكِ بِيـــدِ الشِمَـــالْ ،اقْـــزَانْتِـي تْخْرُجْ بالْكَـــالْ))

أمـا أسـلـوب الكشف والقـــراءة فهـــو لا يختلف كثيـــرا عـــن الطـــريقـة الاولـــى .

2 ـ ضـرب الرصاص (الخفيف) : وهـي نـوع من الممارسـات السحـريـة العامـة تقـوم بهـا كثيـــر مـــن نســـاء المنطقـــة ،وتعتمـد هـذه الممارسـة على إذابـــة الرّصـاص و سبكـــه فـي المـــاء داخـــل (المْهَـرَاسْ) ، وهـذا بعـد وضعـــه بيـن رجلـــي المصـــاب بالسحـر أو العيـن ((كِمَا ذَابْ الرَّصَاصْ يْذُوبْ السِحْـــر ، وتْذُوبْ العَيْـــنْ)) . و (الخفيف) يقلـــع (الثقيـل) أو السحـــــر

وتعتقـــد بعض النســـاء أن لالـــة فاطمـــة كانـت تضرب الخفيـف ، ولذا فهـــو، في اعتقادهن ، من الوســـائل الشـرعيـــة

لحفظ الانسان من الشرور .

وفي الاخير يمكن أن نجمل النتائج النهائية لهذا الباب في النقاط التالية :

1 - يعتبر السحر الرسمي علما (أكاديميا) له قواعده و أصوله ، وهو يدور حول الدراسة النظرية التي تبحث في العلوم الغيبية ، وهو يعترف بوجود الخالق من حيث أنه خلق كل شيء بقوة اسمه . ومهمة الساحر الرسمي تتجلى في اتباع المبادئ والوسائل نفسها التي تبعت في الخلق الإلهي بقدر الإمكان.

2 - بينما يقوم السحر الشعبي على بقايا المعتقدات الفولكلورية التي تناقلها الناس شفاهيا جيل عن جيل ، وعلى قليل من معتقدات السحر الرسمي .

3 - تبين أن معظم المشتغلين من "الطلبة" المنحرفين عن الأسلام ، حيث عمل هؤلاء على ترسيخ كثير من الطقوس والشعائر الخرافية والأسطورية.

4 - كشف هذا الباب عن نوعين من الممارسات السحرية الشعبية ، ممارسات عامة تناقلها الناس عن بعضهم البعض وهي لا تحتاج في تأديتها الى ساحر معين . و ممارسات أخرى لا تتم الا بواسطة ساحر معين.

الباب الرابع :

الاولياء

- الفصل لاول : تقديس لاولياء
- الفصل الثانِي : نماذج من سير اولياء المنطقة

• الفصل الاول :

تقديس الاولياء

مفهـــوم الاوليـاء :

الاوليـاء فـي المعتقـد الشعبـي[1] ، هـم أولئـك الرجـال[2] الصـالحيـن الذيـن يتميـزون بالتقـوى والايمـان عـن بقيـة النـاس ، وهـم الذيـن خصهـم اللـه بفضـل مـن عنـده كالقـدرة علـى شفـاء المرضـى ، ومعرفـة الغيـب ، وهـم الذيـن يظهـرون من الكرامـات مـا يدل علـى جـدارتهـم بلقـب الولايـة . وهـم ،في اعتقـاد بعـض النـاس ولاة هـذا العـالـم ، كـل شـيء منـوط بهـم و مـوصـول بمشيتهـم . وهـم الذيـن يكرمهـم النـاس فـي حياتهـم بالعطـايـا ، ويتقـربـون اليهـم

---

1 ـ أما فـي المفهـوم الصـوفي فـ ((الولي لـه معنيان ، أحـدهما فعيـل بمعنـى مفعـول ، وهـو من يتـولـى اللـه سبحانـه أمـره ، قـال اللـه تعـالـى وهـو يتـولـى الصالحيـن فـلا يكلـه الـى نفسـه لحظـة ،بـل يتـولـى الحـق سبحانـه رعايتـه ، والثانـي فعيـل مبالغتـه من الفاعـل ،وهـو الذي يتـولـى عبادة اللـه تعـالـى وطـاعتـه ،فعبـاد تـه تجـري علـى التـوالـي من غيـر أن يتخللهـا عصيـان ، وكـلا الوصفيـن واجـب حتـى يكـون الولي وليـا يجـب قيـامـه بحـقـوق اللـه تعـالـى علـى الاستقصـاء والاستيفـاء ، ودوام حفـظ اللـه تعـالـى ايـاه في السـراء والضـراء . ومـن سـر الولـي أن يكـون محفـوظـا ،كما مـن شـرط النبـي أن يكون معصـومـا ، فكـل مـن كـان للشـرع عليـه اعتـراض فهـو مغرور مخـدوع)) أبو القاسم القشيري ـ الرسالة القشيرية في علم التصوف بيـروت ـ د .س ـ ص: 117

2ـ لم نعثر في المنطقة النساء (الاولياء) . لكن هذا لم يمنع من وجـودهن في مناطق جزائرية أخرى كمنطقة بليدة مثلا ـ ينظر : Cauvet - Les marabouts -Revue Africaine 1923 n°64 P.318.

بعد موتهم بالذبائح والقرابين ، ويبنون على قبورهم القباب و يتخذونها مزارات يطوفون حولها ، و يتوسلون الى من فيها كي يشفيهم و يرزقهم الولد و الصحة ، وغير ذلك من مطالب الحياة المتوهمة .

و قد فرق الشيخ ابن تيمية[1] بين نوعين من الولاية ، ولاية الرحمان (أولياء الرحمان) ، و ولاية الشيطان (أولياء الشيطان) . فوصف أولياء الرحمان بالايمان والتقوى ، وهم كبقية المؤمنين المسلمين لا يرون لأنفسهم فضلا ، ولا يدعون كرامة ، وقبورهم كقبور سائر موتى المسلمين ، يحرم تشييدها أو بناء القبب عليها ، كما تحرم عبادتها و الطواف بها ، أو مناجاة من فيها بالتوسل اليه والتمسح بقبره .

ووصف أولياء الشيطان فقال ((وهؤلاء تقترن بهم الشياطين وتنزل عليهم فيكاشفون الناس ببعض الامور ولهم تصرفات خارقة من جنس السحر ، وهم من جنس الكهان و السحرة الذين تنزل عليهم الشياطين))[2] .

---

1 - ينظر - الفرقان بين أولياء الرحمان و أولياء الشيطان - الجزائر 1987 - ص: 15 وما بعدها

2 - المرجع السابق - ص: 33

ومما لاشك فيه أن هذا التقسيم يعتمد على ما ورد في القرآن الكريم من آيات تتحدث عن الاولياء بنوعيهم[1] ولا يستبعد ابن تيمية أن تظهر الخوارق والكرامات على أشخاص هم أولياء للشيطان ،فقال : ((ان هذه الامور المذكورة و أمثالها قد توجد في أشخاص ويكون أحدهم لا يتوضأ ولا يصلي الصلوات المكتوبة ،بل يكون ملابسا للنجاسات ،معاشرا للكلاب ... فهذه علامات أولياء الشيطان لا علامات أولياء الرحمن))[2] .

واذا رجعنا الى سكان المنطقة نجدهم يطلقون اسم (المرابطين) على الاولياء ،ومفردها (مرابط) . و كلمة (مرابط) مشتقة من الرباط، جمع رباطات . والرباط هو الحصن حيث كان المسلمون الاوائل يرابطون في الثغور لحماية اخوانهم من هجمات الكفار ، وبالتالي ضمان الامن لحدود الدولة الاسلامية . وكان ((المرابط يقوم-الى جانب وظيفته الحربية - بمهمة التعليم والتوجيه لمن حوله ... ويبدو أن قيام الدولة المرابطية في المغرب على أساس الرباط أدى الى انتشار هذا اللفظ في المغرب الاوسط ، وتغير مفهومه

---

1 - قال تعالى ((أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) سورة يونس-الآيات : 62 - 63- 64
وقال : ((فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)) سورة النساء - الآية: 76

2 - المرجع نفسه - ص: 92

بمرور الزمن ، حيث أصبح يطلق على كل ناسك أو زاهد لفظ (مرابط))) [1] .

أما اذا كان هذا الولي حيّا فيطلق عليه اسم (المجذوب) أو (المقدم) أو (الدرويش) في بعض الاحيان . وهم في هذه الحالة أيضا يحترمونه و يعتقدون أنه ملهم بسر من الاسرار الالهية.

نشأة الاعتقاد في الاولياء :

يرى بعض الباحثين [2] أن فكرة الاولياء نشأت عن انحراف وقع فيه الفكر الصوفي خلال مراحل تطوره و تأثره بالفلسفات اليونانية و الهندية والفارسية . صحيح أن هناك آيات و أحاديث قدسية و نبوية تشير الى فكرة الولاية والاولياء ، لكن ليس بالمفهوم الشعبي أو الصوفي المنحرف . فالتصور الديني كما سبق و أن أشرنا ، يعتبر الاولياء من المؤمنين المتقين ، مثلهم مثل سائر المسلمين الصادقين ، أما التصور الشعبي و الصوفي فقد تجاوز ذلك ليجعل من الاولياء شبه الآلهة اليونانية ، ونسب اليهم من المعجزات و الخوارق ما لم يعرفه التاريخ الاسلامي الصحيح .

---

1 - فيلالي مختار الطاهر - نشأة المرابطين و الطرق الصوفية و أثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني - الجزائر - د . س - ص 23

2 - ينظر - ابراهيم بدران و آخرون - دراسات في العقلية العربية (الخرافة) - ص 126

وأيضا : P.J. andré - Confreries religieuses musulmanes. P. 75.

وقد تعود فكرة انتشار الاولياء بالجزائر الى عهد المرابطين منذ بداية القرن الخامس عشر ميلادي لأسباب كثيرة نذكر منها :

1 - ظهور موجة من التصوف ، حيث عمل المرابطون على نشر الخرافات والاساطير الشعبية حول كرامات شيوخهم مما أثر في عقول البسطاء من الناس ، وبالتالي أدى الى الانحطاط الفكري والعقائدي لدى أغلب سكان الجزائر .

2 - انتشار الزوايا (1) : تعتبر الزاوية بنفوذها الروحي الممزوج ببقايا الطقوس والتصورات أساس ظهور طبقة الاولياء في الجزائر ، اذ كان لكل زاوية رئيس يدعى (المرابط) أو (شيخ الزاوية) ، يتولى شؤونها ويقوم بالاشراف عليها . وعند موته يدفن داخل الزاوية كما هو الحال في بعض زوايا المنطقة ، أو تضرب له قبة فوق قبره حيث يستمر الناس في زيارته وشيئا فشيئا تنسج حوله الكرامات والاساطير مما يزيد في مكانته وعلى مقامه ، فيصبح وليا مقدسا . ويبدو أن لهذا الاعتقاد رواسب في المعتقدات القديمة .

3 - احياء لجملة من التصورات والطقوس القديمة كفكرة تقديس

---

1 - ظهرت الزاوية في المغرب العربي منذ القرن الثالث عشر حيث حلت تدريجيا محل الرباط ، واستمرت في التطور باحداث وظائف جديدة لها الى أن استقرت وظائفها النهائية في العهد العثماني على يد هؤلاء المرابطين والطرق الصوفية ، حيث جمعت بين العبادة والتعليم والحرب . ينظر فيلالي مختار الطاهر - نشأة المرابطين والطرق الصوفية - ص27

الأمـــوات . ذكـــرنا فيمـــا سبـــق أن فكـــرة تقـــديـــــس الاوليـــاء ،كـــانـــت وليـــدة الانحـــراف الذي وقـــع فيـــــه رجـــال التصـــوف والـــزوايـــا علـــى الخصـــوص . ولا شـــلـــك أن هـــذا الانحـــــراف كـــان نتـــيـــجـــة تـــأثيـــر تصـــــور قـــديـــم يقـــوم علـــى مبـــدأ تقـــديـــس الانســـان (الميت)

كـــان الانســـان القـــديـــم يعتقـــد أن الامـــــــوات يحـــيـــون فـــي قبـــورهـــم حيـــاة بطيـــئـــة ، فـــــراح يـــدفـــنـــهـــم بعنـــايـــة و وقـــار ،ويـــوفـــر لهـــم التزيـــن والاحتـــرام . وقـــد تحـــوّل هـــذا الاحتـــرام مـــع مـــرور الايـــام الـــى تقـــديـــس ، حيـــث أصبـــح النـــاس يقـــدســـون مـــوتـــاهـــم و قبـــور أســـلافهـــم ، ويتقـــربـــون اليهـــم لـــزعمهـــم أنهـــم أحيـــاء لهـــم أرواح تعـــــي وتسمـــع ، تفـــرح و تغضـــب ، تنفـــع و تضـــر [1]

ونلمـــس هـــذا المعتـــقد بـــوضـــوح فـــي تفسيـــــر ابـــن عبـــاس لقـــولـــه تعـــالـــى ((وقـــالوا لا تذرن آلهتـــكـــم ولا تـــذرن ودّا ولا ســـواعـــا ولا يغـــوث و يعـــوق و نســـرا))[2] فقـــال هـــذه أسمـــاء رجـــال صـــالحـــيـــن مـــن قـــــوم نـــوح ،فلمـــا هلكـــوا أوحـــى الشيطـــان الـــى قـــومهـــم أن أنصـــبـــوا الـــى مجـــالسهـــم التـــي كانـــوا يجلســـــون

---

1 ــ ينظر ــ جـــواد علي ــ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ــ6/142

2 ــ قرآن كريم ــ ســـورة: نـــــوح ، آيـــة 23

فيها أنصابا و سموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك وانتسخ العلم عبدت[1]

وهناك أيضا اشارة الى هذا المعتقد في قوله تعالى ((قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا))[2]، وهكذا لم يكتف الانسان بعبادة الاموات ،بل راح يبني على قبورهم المعابد كي يتطوف بها ، و يذبح الذبائح عندها ،و يناجي في خلوة ، من فيها ، كالذي كان من أمر ضريح (تميم بن مرّ)[3] . ومن ثمّ فان هناك تشابه كبير بين هذا المعتقد (تقديس الاموات) ، و فكرة (معتقد) الاولياء عندنا اليوم ، حيث نجد الطبقات الشعبية تقدس هؤلاء و تعمل على استرضائهم ، وتطوف حول قبورهم وتقدم لهم القرابين ...

ونشير في هذا الصدد أن معتقد الاولياء معتقد منتشر في مختلف مدن و قرى البلاد العربية . و من أشهر هذه المدن بغداد - وتعرف بمدينة الاولياء - حيث نجد بها عبد القادر الجيلاني ،و الجنيد ، وشهاب الدين السهروردي ، وفي مصر ابراهيم الدسوقي ، وفي تونس

---

1 - ينظر - ابن كثير - قصص الانبياء - الجزائر 1981 - ص 69

2 - قرآن كريم - سورة الكهف - الآية 61

3 - ينظر - جواد علي - المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام - 6/ 49

أضرحة ابن عروس وابن قاسم ، وسيدى مخلص[1] ، أما في الجزائر فهناك سيدي عبد الرحمان بالعاصمة ، وسيدى الهواري بوهران ، وسيدى راشد بقسنطينة ،وبابا منصور بعنابة ، وهكذا لكل مدينة ولي معين أو أكثر .

وتشتهر منطقة بلعباس عن غيرها من المناطق الجزائرية ، بكثرة أوليائها و قبابها حتي أنها تعرف عند بعض الناس باسم (بلاد سيدي لأن معظم قراها تنسب الي ولي معين ، مثل سيدي بلعباس سيدي لحسن ، سيدي خالد ، سيدي علي بن يوب ....

وقد تبين لنا من خلال زياراتنا المتعددة لتلك الاضرحة والقباب، واستجوابنا لقاصديها أن أكثر الناس يؤمنون بها و يتوددون الي أصحابها ويتقربون اليهم بالقرابين والهدايا كالشموع و الاعلام والحناء ، ويطلبون منها الشفاء و الولد ، ويقيمون لبعضها الوعدة كما هو الحال بالنسبة لـ ((مهاجة)) بالسيد بالغرب من سفيزف ، وسيدي غالم بالغرب من عين البرد .

وتعتقد العامة أن الاولياء كانوا بصفة عامة دعاة للخير والاصلاح ، أي من شيوخ الزوايا

---

1 ــ ينظر ــ ابراهيم بدران وآخرون ــ دراسات في العقلية العربية (الخرافة) ــ ص 131

وطرق الصوفية ،ولما ماتوا بنيت على أضرحتهم القباب تكريما لهم ، و أصبح الناس يقصدونهم لزيارتهم و التبرك بهم . ويجد الباحث نوعا من التناقض بين ما تذكره هذه الفئات وما تعتقد به ، فهي لا تذكر أبدا أنها تقدس هذه الاضرحة ، لكن التأمل فيما يفعله الزائر يجد عكس ذلك تماما ، بحيث تتحول الزيارة العادية الى نوع من التقديس للضريح وتصبح القبة بمثابة الكعبة المكرمة التي يقصدها الناس من كل مكان . فهم يطوفون به ويتمسحون بجدرانه ، ويتبركون بمياهه ، و يقبلون أحجاره، و يأخذون من ترابه [1]

فالزائر لمنطقة بلعباس يلاحظ في يسر هذا الحشد الهائل من القباب ، فهي مترامية فوق المرتفعات كأشجار الزيتون و الهلوط . فسيدي عبد القادر[2] موجود بكل قرية تقريبا ، علما أن هذا الرجل مدفون بالعراق ، ومع ذلك فان العقلية الشعبية تأبى الا أن تخصص له مكان في كل بقعة من الارض .

---

1 - كل هذا رأه الباحث في زيارة له لسيدي يوسف يوم / 21/ 3/ 91 ، و أخرى لمعاجة بالمسيد يوم / 12/ 4/ 89

2 - عبد القادر الجيلاني قطب العارفين ، ولد سنة 470 هـ ومات سنة 561 هـ ينظر - ابن الملقن - طبقات الاولياء - تحقين نورالدين شريبه القاهرة 1973 - ص 246 .

و الاعتقاد السائد عند أغلب الناس ، أن الولي يتشكل في صور كثيرة (حمامة ، أفعى ، ثعبان ، قط ، ...) ولذا نراهم يتنادون فيما بينهم، حينما يرون كائنا من هذه الكائنات بالقرب من القبة أو الضريح : ((لا تقتلوه ولا تلمسوه ، فانه صاحب هذا المكان)) ، و من ثم ساد الاعتقاد بأن كل حيوان يوجد بداخل القبة أو مقربة منها ، فهو لا يقتل ولا يحل لأحد اقتناصه . و يدخل ضمن هذا الاعتقاد الاشجار و الثمار المجاورة للضريح .

وتعتقد العامة أن الله وهب كل ولي حكمة معينة ، يقصده الناس من أجلها ، فسيدي زواي يهب الولد ، و سيدي يوسف يشفي المجانين ، و سيدي يعقوب يزيل صداع الرأس و هكذا ...

والواقع أن أسطورة التخصص هذه ، وتميز كل ولي بقضاء نوع معين من الحاجات ، يعكس تعدد رغبات و طموح الجماهير الشعبية ، و يبدو أن خدام هذه الاضرحة كان لهم دور كبير في اشاعة فكرة التخصص تبعا لرواج الحاجة الاجتماعية . كما أن لكرامة الولي دور بارز في تحديد اختصاصه عند الناس .

ويطلق سكان المنطقة كلمة (سيدي) على الاولياء ، فيقولون : ((سيدي عبد القادر ، و سيدي معاشو ...) وهذا ليس من باب الاحترام فحسب ، و انما هو رسم من رسوم المعتقد الشعبي اتجاه هذه الارواح المقدسة صاحبة السلطان . فهذه الكلمة تكشف لنا عن خضوع واستسلام الطبقات الشعبية ، و اعتقادها المطلق في الاولياء . ونحن لا نستبعد أن تكون هذه الكلمة دخيلة على سكان المنطقة من بلاد المغرب الاقصى حيث الايمان الشديد بفكرة السيادة و السلطنة .

ومن معتقداتهم أيضا انه من كفر بالاولياء و انكر كراماتهم ،فانه من (المسخوطين) أو الاشرار واذا حدث و ان وقع له مكروه ،فانهم يفسرونه و يعتبرونه من نتائج عدم الايمان و الامتثال لهؤلاء الاولياء .

الموقع الجغرافي للقبة (الولي) :

تحتل القبب في منطقة بلعباس مواقع جغرافية هامة ، فمنها ما هو ملتصق بالمدن والقرى (قبة سيدي بلعباس ، سيدي لحسن) و منها ما هو مجاور لها (سيدى زواوي ، سيدي معاشو)

ومنها ما هو بعيد عنها (سيدى يوسف، سيدى سليمان ، سيدي محمد بلحاج) . وفي كل هذه الحالات ، نجدها تقع على الجبال و الاماكن المرتفعة ، ونادرا ما تصادف قبة او ضريحا في بطون الاودية و المنخفضات . كما نجد عددا كبيرا من الاولياء داخل المقابر (سيدي معاشو ، مهاجة سيدي زواوي) مما يدل على أن هناك علاقة مكانية بين الولي و الاموات . ويرى محمد الجوهري[1] أن هناك احتمالان وحيدان لتفسير ذلك ، وهما اما أن تكون الاضرحة قد شيدت وسط مقبرة قائمة فعلا - أو قريبا منها - ، أو أن ضريح الولي كان قائما في الاصل ثم تكاثرت حوله القبور بعد ذلك تبركا به . ومما لاشك فيه أن المعتقد الشعبي يرجح الاحتمال الثاني ، اذ يعتقد الناس أن الميت الذي يدفن على مقربة من أحد الاولياء ، فانه يحظى ببركته كما أن وجود الولي بالمقبرة يجعلها في مأمن عن الاشرار ، فلا يجرؤ أحد على تدنيسها أو الاعتداء على أحد قبورها .

ولكن لنتساءل الآن : لماذا اختار الناس المكان المرتفع لهذه الاضرحة و القبب؟

---

1 - ينظر - علم الفولكلور (دراسة المعتقدات الشعبية) - 67/2

والواقع أن المكان المرتفع في معظم المعتقدات الانسانية مكان مقدس ، وهذا لقربه من الشمس المعبود ، فقد كان القدماء يصعدون الى الجبال لاستقبال الشمس بالابتهالات و الطقوس . وكان العبرانيون أول من بنى الهياكل في الهواء الطلق فوق المرتفعات حيث ظهر الله [1]. ويطلعنا العهد القديم على أن ((أماكن العبادة التى كانت مألوفة عند الاسرائيليين القدماء ، كانت تقع فوق المرتفعات الطبيعية حيث تظللها في كثير من الاحيان أو في العموم أوراق الاشجار الكريمة ، و يبدو أن معظم هذه الاماكن المقدسة لم تكن مغلقة ، بل كانت مفتوحة للسماء))[2]. وكانت بيوت الآلهة البابلية تتطاول أبراجها عنان السماء[3] ، وهذا لتكون أقرب منها حيث يسهل نزول الآلهة ثم صعودها . وتعتبر الاسطورة العربية أن الاماكن المقدسة هي التى تقع فى أعالى المرتفعات وبجوار المياه . و من ثم فليس بغريب أن نجد هذه

---

1 ينظر – هيرقة روسو – الديانات – تر: متري شماس – ص: 98

2 – جيمس فرايزر – الفولكلور في العهد القديم (التوراة) – تر: نهيلة ابراهيم – 661/2

3 – ينظر – فرس سواح – مغامرة العقل الاولى – ص: 50

القبب على الاماكن المرتفعة ، مادامت هذه الاخيرة أماكن مقدسة ،كما تبين ذلك من خلال مجموعة من الاساطير و المعتقدات الانسانية .

أما عن فكرة التصاق القبب بالمدن و القرى، فهي أيضا من أفكار و تصورات الشعوب القديمة حيث كانت المعابد تتوسط المواقع الاثرية بوجه عام ، وكان الناس يجتمعون حولها معتقدين بوجود قوة مقدسة تتخذ من هذا المكان منزلا لها[1] .

وصف أضرحة و قبب الاولياء :

تتخذ أضرحة أولياء منطقة بلعباس في الغالب هيكلا واحدا (بناء مربع) لكنها تختلف في أشكالها و زخرفتها[2] تبعا لمكانة الولي التي يحظى بها في أذهان الناس . فالولي المشهور صاحب الكرامات يحظى بقبة عظيمة مزخرفة بأشكال هندسية معينة ، وبألوان ناصعة و جديدة و بجواره بئرا يسقي منه الزوار ، ومجموعة من الاشجار الغابية المختلفة كأشجار الصنوبر و البلوط و الدوم

---

1 - ينظر - رشيد الناضوري - تاريخ المغرب الكبير في العصور القديمة - بيروت 1981 - 1/ 105

2 - ينظر الشكل رقم : 12 ص: 256 ، 257

وقد علقت عليها الاعلام الخضراء و الاحزمة ،و مختلف أنواع الاقمشة الملونة و الخرق البالية . وهناك تفسيرات شعبية كثيرة لهذا النوع من الطقوس ، فهناك من يقول أنها عبارة عن هدايا يقدمها الزائر للولي تكريما له ، و هناك من يعتقد أنها رمز تذكاري لعهد تمّ بين الزائر و الولي ، و يقال أيضا أن هذه الخرق أو (الكتائين) كما يسميها البعض هي تلك التي يقلع فيها الناس السحر عن أنفسهم ، فيعلقونها بهذه الاشجار كي يتخلصون منه . و يبدو أن هذا الطقس منتشر في مختلف البلاد العربية كفلسطين و الاردن .

و يتساءل جيمس فرايزر عن الهدف من تعليق هذه الزينة على فروع الاشجار ، فيجيب قائلا : ((ربما اعتقد الناس أن احدى هذه الشجيرات تعد مأوى للأرواح الشريرة ، و من ثمّ كانت وظيفة هذه الخرق هي حماية الناس من شرور هذه الارواح))[1].

و تنال الاشجار[2] المجاورة للقبب شيئا من التقديس و الاحترام ، بحيث يمنع حرقها و كسر أغصانها و أكل ثمارها بدون اذن "المقدم" خادم

---

1 - الفولكلور في العهد القديم (التوراة) -تر : نبيلة ابراهيم - 2 / 643

2 - يرى جميس فرايزر أن الربط بين الاشجار و ضريح الولي يشير الى الاعتقاد في أن روح الولي تسكن الشجرة . وبهذا يكون هذا الاعتقاد امتدادا للاعتقاد البدائي في أن للشجرة روحا تؤدى لها الطقوس المحددة في مناسبات بعينها - ينظر - المرجع السابق - 1/60 و ما بعدها .

الضريح . و يروي بعض الناس قصصا تفسر علاقة الولي بالشجرة ، فيقولون : كان الولي يضرب خيمته تحت شجرة كبيرة ليستظل بظلها و يدرس طلبته العلم تحتها ، و ما أن يلقى ربه حتى تقام له قبة بجانب تلك الشجرة تعظيما له و للمكان الذي كان يعلم فيه القرآن.

و أما اذا كان الولي مغمورا فانهم يكتفون ببناء أربع جدران على ضريحه أو في المكان الذي كان يجلس فيه ، و يسمون ذلك (حويطة) فيقولون ((حويطة مولاى عبد القادر)) . ونجد هذا النوع بالقرب من الاحياء الشعبية الفقيرة و بالاماكن الزراعية المخصصة للحبوب و الكروم. و يعتقد بعض الناس أن هذه (الحويطات) كانت من صنع المستعمرين ، ويفسر الشيخ أحمد هذا بقوله : كنت أعمل عند أحد المعمرين اسمه (بوش) بضواحي مدينة سيدي بلعباس ، وذات يوم قال لنا : رأيت في المنام مولاي سيدي عبد القادر وطلب مني أن أبني له (حويطة) ، وفعلا تم بناؤها داخل مزرعة من الكروم . ومنذ ذلك الحين صار الناس يقصدونها للزيارة الى يومنا هذا .

ونحن بدورنا لا نستبعد هذا الفعل ، لأن المستعمرين (الاقطاع) كانوا يلجأون الى مثل هذه الحيل (المعتقدات) ليحافظوا على خيراتهم الزراعية مستغلين سذاجة الناس وجهلهم لينشروا بينهم الاساطير والخرافات ،و يسنون القبب و يقولون للناس:

((من سرق حبا أو عنبا فان سيدي عبد القادر سوف يعاقبه))

ولأن الناس يؤمنون ايمانا شديدا بمثل هذه المعتقدات ،فهم لا يجرؤن على السرقة .

وتبعا لما سبق ذكره ، يمكن للباحث أن يميز بين ثلاثة أنواع من القبب أو الاضرحة :

1 - أضرحة اتخذت شكل البناء المربع تشيد فوقه قبة كبيرة ، من حولها أربعة جدران ، بحيث تصبح بمثابة الكعبة المكرمة وسط المسجد (قبة سيدي يوسف) . وغالبا ما تكون هذه القبة ملونة باللون الاخضر[1] والابيض ، وهما اللونان المقدسان في المعتقد الشعبي ، أما على الجدران فنجد بعض الرسومات و الخطوط ،كرسم أصابع اليد

---

1 - لأنه لون الخصب والجنة ، والحب والتناغم ،له تأثير سلامي ومهدئ ، وهو مرتبط بالدفاع و الحفاظ على النفس ،كما أنه لون التصميم على الغرض ومقاومة التغيير

ينظر- كولن ولسن - خفايا الحياة - تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد - بيروت ص: 328 وما بعدها

بواسطة الحناء . ولا شك أن هذا النوع من الطقوس يعكس ذلك العهد الذي يقيمه الزائر مع الولي بحيث يمد الاول يده الى الثاني ليبرم معه موعدا واتفاقا على شيء معين ، لأن المصافحة رمز الاتفاق والعهد .

وبداخل القبة نجد قبر الولي متوليا شطر القبلة ، عليه صندوق من الخشب ، يحتوي على فتحة صغيرة تسهل رؤية القبر ومخاطبة صاحبه مباشرة . وفوق هذا الصندوق نجد قطعة أو أكثر من القماش الاخضر المزين بالالوان الذهبية .

2 - أضرحة اتخذت شكل البناء المربع دون قبة وجدران حولها وهي أقل شأنا من من الاولى ، وتنتشر بالاماكن الخالية ، وبجوار القرى الفقيرة ، وأكثرها لا يحتوي على قبور ، وتعتبرها الفئات الشعبية مجرد مكان مقدس ،كان قد جلس فيه ولي من أولياء الله الصالحين ، ولذا فهو يحمل اسمه .

ونشير الى أن هذا النوع أصبح يفقد مكانته القدسية عند أغلب الناس ، بحيث صار عبارة عن دار ندامى ، وبعضها الآخر اتخذته أسر فقيرة مأوى لها .

3- أضرحة اتخذت شكل المسجد ، مثلما هو شأن بعض الزوايا في مدينة بلعباس ، بحيث أصبحت لا تختلف في شكلها المعماري عن مجموع الاماكن الشعبية المقدسة .

كرامات الاولياء [1]

الكرامة في الشرع هي ((عبارة عما يصل من الله الى الولي ، ويظهر عليه من كل نافع عزيز، نفيس شريف [2] و تكون الكرامات ((اجابة دعوة ، وقد تكون اظهار طعام في أوان فاقه من غير سبب ظاهر ، أو حصول ماء في زمن عطش ، أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة ، أو تخليص من عدو ، أو سماع خطاب من هاتف أو غير ذلك من فنون الافعال الناقصة للعادة)) [3] .

والفرق بين المعجزة والكرامة ، أن الاولى دلالة صدق الانبياء لا يشاركهم فيها أحد ، والثانية دلالة صدق الاولياء ، واذا كان الانبياء مطالبين باظهار معجزاتهم ، فان الاولياء مطالبون بستر كراماتهم عن

---

1 - هناك مجموعة من كرامات أولياء التصوف ذكرها الامام القشيري في رسالته - ص: 162 الا أن هناك من يعتبر هذه الكرامات من الاساطير والخرافات - ينظر مصطفى علي الجوزو - من الاساطير العربية والخرافات - بيروت 1980 - ص: 256 وما بعدها

2 - مبارك بن محمد الميلي - رسالة الشرك ومظاهره - الجزائر 1982 - ص: 119

3 - أبو القاسم القشيري - الرسالة القشيرية - ص: 160

عن الناس [1] أما الكرامة في المعتقد الشعبي فتتساوى مع المعجزة ،بل تفوقها و تتجاوزها أحيانا وخاصة عند أولئك الذين يظهرون تعلقا شديدا بالاولياء من أتباع الزوايا و الطرق الصوفية الشعبية كالطريقة القادرية و التيجانية والشاذلية أوالدرقاوية [2] .
ومن كرامات الاولياء التي يتحدث عنها سكان المنطقة نذكر مايلي :

1 - قدرة الاولياء على تحويل الاشياء ،مثلا تحويل الماء الى عسل أوحليب
2 - القدرة على قطع المسافات البعيدة في لمح من البصر
3 - قدرة الولي على تحويل شكله وتغيير هيئته (تحول سيدى بلعباس الى حمامة ، وسيدى يوسف الى عسكري)
4 - القدرة على اخضاع الحيوانات المفترسة (سيدي عبد القادر)
5 - القدرة على اشفاء الامراض بمجرد الزيارة (سيدى يوسف)
6 - القدرة على مخاطبة الاشجار و الحيوانات (يقال أن سيدى عبد القادر كان يأمر الشجرة البعيدة ،فتأتيه مسرعة فيستظل بها ، ثم يأمرها ثانية فتعود الى مكانها)
7 - القدرة على التنبؤ بالغيب (سيدي معاشو)

و مما لا شك فيه أن هذه الكرامات تعكس بكل جلاء التصور الشعبي للولي من حيث طبيعته وقدراته

---

1 - ينظر - المرجع السابق - ص 158 وما بعدها
2 - هذه الفرق معروفة بشكل واسع في منطقة بلعباس،ولأصحابها اتصالات مستمرة بشيوخها في المغرب وتلمسان و مستغانم والصحراء ،ويبدو أن المنطقة عرفت هذه الفرق منذ زمن بعيد (بعد تأسيس مدينة بلعباس - ينظر - P.J. André- Confreries religieuses musulmanes P. 252 - 302

كما أنها مبرر ولايته واعتقاد الناس في بركته .

الزيارة :

تعد الزيارة المناسبة الاساسية التي يتجلى فيها اعتقاد الانسان الشعبي بالاولياء و تكريمه لهم . وهي المظهر الخارجي الذى تتراءى فيه جميع الطقوس و المعتقدات كتقديم القرابين وتقبيل الاحجار والطواف بالقبة ...

وللزيارة أسباب كثيرة ومتنوعة ، بتنوع مطالب الناس و أهدافهم ، ومن هذه الاسباب نذكر :

طلب الشفاء و المساعدة على تجاوز هموم الحياة وطلب الولد والرزق ، ولأداء اليمين أو الحلف (سيدي معاشو) أو للتخلص من هاجس معين تتكرر رؤيته في المنام ، أو لتكريم الولي و التقرب منه ، أو للنزهة والتمتع ،و ابعاد ((ضيقة الخاطر)) كما تقول النساء .

وللزيارة شروط و أوقات معينة في المعتقد الشعبي نذكر منها :

1 ـ الاعتقاد في الاولياء ، والايمان بقدرتهم وكراماتهم ، لأن الذي لا يؤمن بهم و يذهب لزيارتهم ، فانه يصاب بمرض ، أو يقع له حادث في أثناء ذهابه .

2 - النيّة ، وهي من الشروط الاساسية للزيارة ، فهم يقولون :

((لْدَارْ النِيّة فِي حَجْرَةْ يْرْبَحْ)) (1)

((سِيدِي عَبْدُ القَادِرْ يْرُوحْ لُهْ مُولْ النِيّة الصَافِيَة)) (2)

ويقولون للذي يرفض الزيارة :

((تَوَكَلْ عَلى رَبِي وْدِيرْ النِيَة فِي سِيدِي فْلَانْ رَاكْ تْرْبَحْ)) (3)

((لِمَا عَنْدُه نِيَة مَا عَنْدُه إِيمَانْ))

وهكذا يتضح لنا أن الاعتقاد في الاولياء يقوم على أساس النيّة الصافية ، وصاحب النية يربح لا محالة ، وعديم النيّة عديم الايمان أيضا

3 - والزيارة تستوجب تقديم شيء معين للولي ، والا فهي ناقصة ، و أقل شيء يمكن تقديمه شمعة أو قليل من النقود لا تتجاوز خمسة دنانير .

مواقيت الزيارة :

غالبا ما تكون الزيارة أيام العطل والاعياد والمناسبات ،كمرض فرد من أفراد الاسرة مثلا ،وتكثر يوم الجمعة و الاثنين على الخصوص ، وقد تستمر

---

1 - بمعنى أن الانسان الذى ينوي خيرا في شيء ولو كان هذا الشيء حجرة فانه يفوز بدون شك

2 - يروح له مول النية = بمعنى لا يقصده الا صاحب النية الصافية

3 - ديّر = ضع ، راك تربح = سوف تفوز وتنتصر

كما هو الشأن في سيدى يوسف - أياما و ليالي ، الى أن يرى المريض الولي في المنام ، حيث يأذن له بالذهاب . و لا تكون الزيارة في الليل الا نادرا ، ولضرورة معينة كأن يطلب الطبيب الشعبي من المريض أن يزور الولي الفلاني بعد أن ينام الناس .

طقوس الزيارة :

يبدأ الزائرون في تحضير زيارتهم يوم أو يومين قبل التوجه نحو الولي ، فمنهم من يشتري خروفا أو ضأنا ، ومنهم من يشتري دجاجة كل حسب استطاعته ، ويأخذون معهم الشموع و الاعلام و أشياء اخرى يأكلونها .

وعندما يصل الزائر الى القبة يخلع نعليه و يقبلها يمينا و شمالا و هو يقول :[1]

((عَلَى سْلاَمْتَكْ يا سيدى عَبدَ اللَّهْ ، جِينَاكْ زَايْرِينْ قَاصْدِينَكْ ، مْتَوَكْلِينْ عَلِيكْ وْعَلَى رِبِي تَشْفِينِي وتَعْطِينِي صَحْتِي)) [2]

---

1 - تم تسجيل هذه النصوص في أثناء زيارة قام بها الباحث لقبة سيدى عبد الله يوم : 11/ 05/ 91 ، وأخرى لسيدى زواوي يوم : 14 / 06/ 91 ولسيدي يوسف يوم : 06/ 06/ 91 . وزيارات أخرى متكررة لسيدى معاشو و سيدي عبد القادر بسيدي لحسن .

2 - جيناك زايرين = جئناك زائرين .

((احنا طلبناك وأنت طلب الله تعالى ، دعوتك مقبولة))

وتقول النساء :

((مسلمين ومكتفين يا رجال الله الصالحين ، يا سيدى زواوي جيتك زايرة ، فرحني بوليد ول بنية ، نفرحك بخروف ول جديه)) (1)

((يا سيدى زواوي ، لو كان نجيب ولد ول بنية ، نسميه زواوي ول زواوية ، يا سيدى زواوي غير أعطيني وكل عام نديرلك وعدة)) (2)

هذه مجموعة من الادعية التي يتوجه بها الزائر الى الولي ، و هو طائع مستسلم ، و كأن هذا الاخير هو الاله الذي يعطي و يمنع . ونلاحظ أن أغلب الادعية تبدأ بكلمة (سيدى) ، و هي ترمز الى ذلك الاجلال و التقديس الذي تكنه الطبقات الشعبية للأولياء . كما أنه لا يمكن تصور اسم الولي دون ذكر هذه الكلمة ، لأن بها تتحقق الولاية والسيادة ، و يتحقق الخوف و التقديس .

ثم تأتي كلمة (مسلمين مكتفين) لتأكد ما ذكرناه عن خوف الناس وخضوعهم للولي ، و هو في الواقع خوف

---

1 - فرحني بوليد ول بنية = أعطيني ولد أو بنت ، جديه = الضأن

2 - نديرلك وعدة = بمعنى أقدم لك قربانا في شكل وعدة

من المجهول وما يخفيه للانسان من مآسي و أحزان . ومهما مضامين هذه الادعية فان هدفها واحد و هو امتصاص ذلك القلق و التوتر الذى تعاني منه هذه الفئات ،ومن ثمّ فهي تشيع لنفسها نوعا من الاطمئنان والهدوء.

وقبل أن يجلس الزائر داخل القبة أو بجانب الضريح ، فهو يطوف بها سبعا ، ثم يرفع يديه متمتما بكلمات غامضة، لعلها تكون دعاء سريا بينهما . ثم يدخل فيقبل الضريح ، ويضع عليه علما أخضر، ثم يوقد شمعة و هو يقول :

((احْنَا ضِوينَاكْ ، وأَنْتَ ضَوِّيهَا عْلِينَا))

ثم يحرق البخور و يطوف به حول الضريح ، وهو يتمسح بجدرانه ، ويضع من ترابه على جسده. وبعد هذه الطقوس ، يتوجه الزائر الى الذبح وتقديم القربان لسيده الولي وهو يردد هذه الكلمات:

((هَذِهِ شَاتُكْ يَاسِيدِى عَبْدْ القَادِرْ ، وشَاةْ رْجَالْ اللّهْ الصَالِحِينْ ، يَا سِيدِى عَبْدْ القَادِرْ تْشَافِينَا وتْبَعَدْ عْلِينَا وْلَادْ الحَرَامْ، بِسْمِ اللّهْ واللّهْ أكْبَرْ))

أما اذا كان الزائر مصابا بجنون ، فيدخله أهله داخل القبة ،ويغلقون عليه الباب و يتركونه

يبكي و يصيح حتى يسقط مغشيا عليه ، و يقولون عن هذا الطقس ((راهم يخدموه)) ، بمعنى أنهم (رجال الله الصاحين) يتولون أمره بالعلاج و الشفاء.

و تكون الزيارة أحيانا لأداء اليمين (الحلف) عند ضريح الولى (سيدى معاشوا) ، و غالبا ما يكون هذا الطقس الوسيلة المثلى لتسوية الخلافات أو تحقيق عدد من الاتهامات المتبادلة و التى لا يمكن تسويتها بالطرق العادية . و اليمين الذى يؤدى عند الضريح له قيمتة الحاصة ، لأن الولي ، حسب المعتقد الشعبي، يتصدى لمن يكذب في حضرته . و مما لا شك فيه أن القسم عند القبر عملية طقوسية لها مراسيمها و قواعدها ، و من ثمّ فهي تشعر الانسان برهبة الموقف و جسامة مسؤولية هذا القسم[1] .

أما عن كيفية أداء هذا اليمين أو الطقس فانه يتم بالشكل التالي :

يتوجه المتهم مع الشخص الذي اتهمه نحو ولي يختاره هذا الاخير - و هو في كل الحالات سيدى معاشو- فيدخلان الى القبة ،وبجانب الضريح يقسم المتهم

---

1 - ينظر - محمد الجوهري - علم الفولكلور (دراسة المعتقدات الشعبية) 2/ 91 و ما بعدها .

بقوله :

((حَقّ سيدي مْعَاشُو لِرَانِي رِفيه وَلْ يَقْطَعْلِي اللِّدِيـــنْ
والرِّجْلِيـنْ مَا خْوَنْتَكْ وَلَ دِيتْ لَكْ حَاجَـــة)) (1)

وفي صيغـــة أخـــرى :

((حَقّ هَذَا الوَلِّي ، واللَّـهْ لاَ يْرُدّنِي لْدَارِي مَا شُفْتْ
لِـي خْـوْنْ لَكْ صَالْحْتَـكْ)) (2)

بهـذه العبارات ينتهـي الشـك و تنتهـي معـه الاتهـامـات ، و ينصـرف المتهـم وقـد بـرأ نفسـه .

والـى هـذه الزيارت الفردية والعائلية ، هـناك الزيارات الجماعيـة التي تتـم في مناسبـات معينـة كيـوم الوعـدة ، حيث يحضـر الناس مـن كل أنحـاء الجهات . وسـوف نقـف في هذا الصـدد عند وعـدة المسيـد كنمـوذج للعـرض مجـموعـة من المعتقـدات و الطقـوس .

يبـدأ التحضـير للوعـدة قبـل أسبـوعيـن علـى الاقـل ، فيحـدد شيـوخ القريـة وسكانهـا تاريـخ يـوم الوعـدة ، ويكـون في معظـم الاحيـان يـومي الخميـس والجمعـة ، ثـم يشيـعـون الخبـر في الاسـواق و يتناقلـه الناس والتجار

---

1 - يحـلف المتهم بالولي الذي هو موجود بداخل قبته ، والذي له القـدرة على قطع اليـدين والرجلين ، أنـه ما سرق شيئـا

2 - أما شفـت = ما نظرت ، خون = سـرق ، صالحتك = بمعنى حاجتك

ويحضر الوعدة أصناف كثيرة من الرجال والنساء والاطفال، نجد من بينهم المدّاحين و القيّاليس والمحترفين للطب الشعبي والتجار ، وأهل الغروسية (القوم) و أصحاب (الصنعة) وبعد تناول الطعام يتوجه الناس نحو الولي (مهاجة) حيث ينطلق موكب الغروسية و تبدأ طقوس الزيارة بقراءة شيء من القرآن الكريم داخل القبة من طرف مجموعة من الطلبة من حولهم الشيوخ والنساء، بينما نجد خارج القبة الفرسان وقد اصطفوا أمام بابها ،تيمة و اجلالا لصاحبها ، ولما تنتهي القراءة ينادي (البراح) قائلا:

((يَا مُولْ الوَعْدَة ، جِينَا قَاصْدِينَلْ ، وَقَاصْدِينْ رْجَالْ اللّٰهْ الصَالْحِينْ ، تْهَوْنْ عْلِينَا و تْسَرْحْنَا)) [1]

وحينها ينطلق البارود وتزغرد النساء اكبارا و تقديسا لروح الولي . ولا شك أن هذا الطقس هو بمثابة الطلب الذي يتوجه به الانسان لروح الولى كي تتم الموافقة على الوعدة . وبعد هذا ينصرف الناس لزيارة (لالة بعيرة)[2] ، وينطلق الفرسان الى مكان مخصص لهم للعب والرقص بالخيل .

---

1 – مول الوعدة = كناية عن اسم الولي ، جينا = جئنا ، تهون وتسرح = تسهل علينا .

2 – وهي عبارة عن قبة صغيرة جدا ،ينظر الشكل رقم : 13 ص: 258

ويعتقد الناس أن لالة بعيرة اسم امرأة متصوفة ولكنهم لا يعلمون عن حياتها شيئا . وهناك من يعتقد أنها نزلت من السماء ،وسكنت المسيد ،ولما ماتت دفنت هناك . ويعتقدون أن عاصي والديه اذا ما دخل اليها ، فانه لا يستطيع الخروج منها وأن الذي يضع فوقها حجرا صغيرا ، فانه يشفى من كل الامراض الموجودة فيه .

و من طقوس الزيارة ، تقبيل الاحجار ووضع التراب على الصدور ، والتمسح بجدران القبة ، ومخاطبة الولي والتوسل اليه ، وتعتبر القرابين من أهم الطقوس التي يتقدم بها الانسان الى الولي ، وهي وسيلة لتحقيق الاتصال بينهما . ومما لا شك فيه أن هذا الطقس من بقايا الطقوس القديمة ، وهي ترتبط بتصورات الانسان حول الموت ، وعلاقة الاحياء بالاموات .

وفي خلاصة هذا الفصل يمكن استنتاج ما يلي :

1 - انتشار الاولياء في منطقة بلعباس انتشارا واسعا يفوق مختلف جهات الوطن الاخرى ، والسبب في ذلك يعود الى رواج الطقوس والافكار والطرق الصوفية واعتقاد الناس فيها كما أن قرب المنطقة من بلاد المغرب الاقصى ، كان من عوامل انتشار هذه المعتقدات وغيرها ، لأن هذا البلد مشهور بمعتقداته الفولكلورية وطقوسه السحرية .

2 - يعد الاعتقاد في الاولياء من بقايا الطقوس الاسطورية المتعلقة بفكرة تقديس الانسان لأرواح الموتى .

3 - معظم أولياء منطقة بلعباس من الرجال من شيوخ التصوف والزوايا ، وتذكر الروايات الشعبية ، أن معظمهم جاؤوا من المغرب الاقصى .

• الفصل الثاني :

نماذج من سير أولياء المنطقة

نقدم في هذا الفصل بعض التقارير الوصفية لزيارات ميدانية لبعض أولياء المنطقة • ومن أسباب اختيارنا لهؤلاء دون غيرهم ، مكانتهم العالية عند الناس و شهرتهم الواسعة داخل المنطقة و خارجها • وكان هدفنا الاول أن نقدم توثيقا تاريخيا لهؤلاء الاولياء •

و الملاحظة الاساسية التى سيلمسها القارئ هي بساطة حكايات هؤلاء الاولياء وقصرها و تشابهها في خطوطها العامة (كلهم من رجال التصوف) • لكن يمكن أن نستثني حكايات الكرامات التي هي قابلة للتطور لأن مجالها مفتوح و بامكان أي انسان أن يضيف لها شيئا ، و بالخصوص اذا كان هذا الانسان خادم الضريح و يدعي أنه يرى الولي في المنام و أن علاقته به لا تنقطع مثل ما هو حال خادمة ضريح سيدي زواوي •

---

1 - لم نتعرض لسيدي بلعباس لأن هناك حديث طويل عن قصته و بعض كراماته ينظر : Léon Adoue -La Ville de Sidi-Bel-Abbès P. 13.

اسم الولي : سيدي يوسف
اسم القرية : بالقرب من تالوت
اسم الراوي (1) : قويدر ، 58 سنة خادم الضريح
اسم الراوي (2): الحاج محمد ، 56 سنة من زوار الضريح باستمرار .
تاريخ الزيارة : 09-جولية 1990 ، 25 مارس 1991

---

1 ـ الموقع :

يقع هذا الولي بالقرب من عين تالوت ، على تلك الجبال التي تفصل بين منطقة بلعباس و ولاية تلمسان . ويعد من أشهر أولياء المنطقة على الاطلاق ، يقصده الناس من كل أنحاء التراب الوطني و خارجه . و هو على جانب كبير من الاهمية اذ تلتقي حوله مجموعة كبيرة من الاساطير والمعتقدات ذات الدلالة الفولكلورية الهامة . تحيط به سلسلة من الجبال و الاشجار الغابية ، وبجانبه بئر يسقي منه الزوار ، ومن حوله مجموعة من الخيام[1] المترامية هنا و هناك .

---

1 ـ يقال أن امرأة فرنسية كان لها ولد مريض ،فعرضته على الاطباء ولكنه لم يشف ،فاقترح عليها جزائري يسكن بجوارها ، أن تزور سيدي يوسف فأخذت باقتراحه وشدت الرّحال مع ابنها الي الولي، حيث مكثت فيه أياما ، فشفي ابنها وعاد سليما الى بيته . فأخذت المرأة على نفسها أن تشتري لهذا الولي مجموعة من الخيام . وقد استغلت البلدية هذا (القربان) وصارت تطلب خمسين دينارا للخيمة الواحدة في الليلة الواحدة .

2 - حياتـــه :

ذكـــر خادم الضـــريح أن سيـــدي يـــوســـف كـــان رجـــلا متصـــوفـا يـدعـو النـــاس الايمـــان والتقـــوى . وذات يـــوم خـــرج للجـــهاد فـي صـفوف المسلميـــن ضـــد الكفـــار[1] فســـقـط شهيـــدا في هـــذا المكـــان ، ودفنـــه أصدقـاءه و بنـــوا علـــى قبـــره بيتـــا صغيـــرا ، ومنـــذ ذلك الحيـــن صـار النـــاس يـزورونـــه .

وفـــي روايـــة شعبيـــة أخـــرى أدلـــى لنا بها الراوي الثانـي ، أن سيـــدي يـــوسف كان رجـــلا صالحـا ،وكـــان يـــرعـــى الابـــل ، و بينمـــا هـــو يتعبـــد و يصـــلي خرجـت روحـــه ولقـي ربـــه ، فـدفنتـــه الملائكـــة في ذلك المكـــان، وظلت الابـــل ترعـــى حـــولـــه ولا تغادره ، الى أن تعـــرّف عليـــه النـــاس ، و بنـــوا على قبـــره جـــدرانـــا ، وفـــي عهـــد الاحتـــلال الفرنســـي ، أراد أحـــد الضباط هـــدمـــه ، لكنـــه لـــم يستطـــع لأن رصاصـه كان يمر يمينـا وشمالا و لم يصبـــه ، ممـــا جعـــل هذا الضابـــط يعترف بـولايـــة هـذا الرجـــل ، فـأمـــر ببنـــاء قبـــة على قبـــره .

3 - كراماتـــه :

مـــن كراماتـــه أنـــه يظهـــر للمـــريض فـــي المنـام ويطلـــب منـــه البقـــاء أو الذهـــاب ، ومـن ثـمّ صـــار

---

1 - لم يحـدد الراوي تاريخ الجهـاد واكتفـى بقولـه : (بكْـري) بمعنى في قـــديم الزمان .

زوّاره لا يغادرونه الا باذنه . ومن كراماته أيضا عدم هروب القربين التى يتقدم بها الناس له ، فعندما يصل الزائر الى القبة ، يطلق القربان (خروف أو جدي) يرتع بجوارها ليعود بمفرده ساعة ذبحه .

4 - الزيارة :

تتم زيارة هذا الولي في كل الايام دون استثناء و يكثر زوّاره أيام العطل و الاعياد . ومن شروط الزيارة ، كما يؤكد خادم الضريح ، أن يزور الزائر أولا سيدى بونوالة (شيخ سيدى يوسف) ، لانه ، يقال أن سيدى يوسف ترك وصية يقول فيها :

((لِي حَبّ يَزُورنِي ، يَزُورْ شَيْخِي وْ سِيدِي بُونْوالَة)) (1)

يبدأ الزائر زيارته بخلع نعليه عند الباب ، و كأنه يدخل مسجدا ، ثم يقبل أحجار و أستار الضريح ، ثم يطوف به سبعا و هو يقول :

((يَا سِيدِي يُوسَفْ ، جِيتَكْ مِنْ بْعِيدْ زَايِرْ ، شَافِينِي وْتَلَعْ ضُرِّي ، يَا سِيدِي يُوسَفْ دْعِيتَكْ بِالصْفَا وْ الوْفَا ، تْفَرحْنِي وْتْشَافِينِي مِنْ هَذا المَرَضْ)) (2)

---

1 - المعنى ، من أراد زيارتي فليزر شيخي سيدى بونوالة .

2 - تختلف هذه الادعية من فرد الى أخر ، و هذا الدعاء لرجل أمي يبلغ حوالى خمسين سنة .

اسم الولي : سيدي زواوي
اسم القرية : بوخنافيس
اسم الراوي (1) : معزول رحيلة 59-سنة-خادمة الضريح .
اسم الراوي (2): محمدي محمد 21 سنة طالب
تاريخ الزيارة : يوم الاربعاء 22 ماي 1991

---

1 - الموقع: يقع هذا الولي وسط مقبرة بقرية بوخنافيس ، تحيط به بساتين خضراء و تحفه أشجار مثمرة ، وبجانبه مجموعة من القبور على شكل (حويطات) ، تقول الخادمة أنهم أتربأوه ، منهم قبر المرحوم مولاي عيسى ، وقبر الفقيه العلامة سيدي محمد المتوفي في صفر 1839م .

2 - حياته : عند زيارتنا لهذا الولي وجدنا مكتوبا على قبره ما يلي : ((هذا قبر المرحوم الكريم الله الحي القيوم سيدي زواوي وشيخه سيدي الشيخ ابن الدين الذي توفي رحمه الله عام 1240م)) . و من الجهة اليمنى : ((الحمد لله قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم)) .

وتجمع الروايات الشعبية على أنه كان رجلا صوفيا شجاعا ، وكان يداوي المرضى المتخلفين عقليا ، وكان الناس يقصدونه من كل مكان ، كما أنه كان صاحب حكمة ومعرفة بمرض (الليل) الذي يصيب الاطفال . ويقال أنه توفي بأولاد ميمون ناحية تلمسان ،

ولكن أهله (أولاد بوخنافيس) أبوا الا أن ينقلوا جثمانه الى قريتهم، و بنوا على قبره قبة كبيرة تكريما له .

3 - كراماته :

أدلى لنا الراويان في هذا الشأن ، بأنه ذات يوم مرّت مجموعة من الفرسان بجانب قبر هذا الولي ،فلم يسلموا عليه وراحوا يستهزؤن و يسخرون منه ، فدعا عليهم بقوله :

((كِيما حَرقتُوني فِي القبرْ اللّه يحرقكم فِي البَرّ)) (1)

فاستجاب له ربه و أحرق الفرسان . ولذا نجد الناس يقولون :

((سِيدِي زْوَاوِي حَرَاقْ الخَيلْ))

4 - اختصاصه :

يعتقد سكان المنطقة أن سيدي زواوي مختص في شفاء أمراض العقم .

---

1 - كيما حرقتوني = كما حرقتموني

5 - الزيارة :

أغلب زوار هذا الضريح من النساء المتزوجات اللائى لم يلدن ، و من شروط الزيارة :

1 - أن تأتي المرأة مرفوقة بزوجها أو أخيها ، فيلتزما الصمت أثناء توجههما نحو الولي كي تقطع ((التبيعة))[1] على حد اعتقاد بعض الناس .

2 - أن تترك المرأة حزامها وقطعة من الخبز داخل القبة .

3 - أن تدعوا سيدي زواوي و هي مطمئنة .

4 - أن لا تعود من نفس الطريق الذى جاءت منه

5 - أن تسمي مولودها زواوي أو عتو ان كان ذكرا ، و زواوية أو عتوية ان كانت أنثى[2]

6 - أن تتوجه به الى الولي بعد أسبوع أو أسبوعين من وضعه ، و تسلول حين دخولها الى القبة .

7 - أن تستمر في زيارة الولي ، على الاقل مرة فى السنة

---

1 - التبيعة - بمعنى السحر ، بحث يكون الانسان تابع لغيره .

2 - هناك ما يشبه هذا المعتقد عند العرب في الجاهلية ، ينظر - جواد علي - المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام - 6/ 190

اسم الولي : سيدي معاشو
اسم القرية : عين البرد (الثنية)
اسم الراوي (1) : الشيخ بلقاسم مقري 64 سنة ، من أقارب الولي
اسم الراوي (2) : سنوسي سبتي 21 سنة طالب ثانوي .

1- الموقع :

يقع سيدي معاشو وسط مقبرة صغيرة قرب قرية عين البرد[1] على مكان مرتفع نسبيا ، تحيط به أشجار غابية قصيرة (الدوم) ، و وراءه على بعد نصف كلم توجد (حويطة) صغيرة بها قبر ، يقال أنها ((حويطة مولاي عبد القادر)) . أما من الناحية الامامية (على رأس الجبل المقابل) توجد قبة سيدي عبد القادر .

2 - حياته :

لقد عثر الباحث ، عند الراوي الاول ، على مخطوط يزيد عمره عن ثلاثة قرون ، قال الراوي أنه حصل عليه أجداده الأولون من مدينة فاس بالمغرب من دار الشرف . و المخطوط عبارة عن صحيفة طولها 75 سم و عرضها 37سم ، مكتوبة بالمسند الاسود ، تحتوي هذه الصحيفة على نسب سيدي معاشو ، الذي يعود أصله الى ذرية الامام علي بن أبي طالب كرم

---

1 - يقال أن سيدي معاشو رفع يديه الى السماء وقال : ((الثنية غنية ما تستعرى فيك خويا و لا تجوع فيك وليا))

جاء في الصحيفة ((... سيدى يوسف بن عثمان الذي خلف اثنين ، يوسف و أحمد . أما يوسف و أولاده ففي المغرب . و أما أحمد فهو في ناحية تلمسان ، وخلف معاشو المدفون في التنية ماخوخ ... [1])) .

وذكر الراوي أن سيدي معاشو كان رجلا متصوفا وحكيما ، و صاحب علم غزير ، ويقال أنه كان يتحكم في الجن . وذكر أيضا ، أن سيدي معاشو كان يحضره في المنام في صورة رجل عسكري (كومندار) على حد تعبيره .

3 - كراماته :

هناك مجموعة من الكرامات تنسبها الفئات الشعبية لهذا الولي منها :

أ - أنه من أقسم به وكان كاذبا ، فان بطنه تنتفخ ، وكأن في داخلها نار .

ب - أنهم (سكان عين البرد) كانوا فيما مضى من الايام ، يسمعون القرآن يتلى داخل القبة .

ج - ومن أساطير المعتقدات حول هذا الولي : أن رجلا سرق نعجة ، فذهب به صاحب النعاج الى الولي وطلب منه أن يؤدي اليمين (الحلف) ، فلما

---

1 - يقصد بها عين البرد

أقسم الرجل ،وقد كان كاذبا ، سمعوا صوت النعجة يخرج من بطنه ، فأصيب بالبكم و ظل كذلك حتى مات ٠

4 - الزيارة :

يزور هذا الولي النساء والرجال من مختلف مدن و قرى منطقة سيدي بلعباس ٠ و غالبا ما تكون زيارته في الايام التالية : الجمعة والاثنين والخميس ٠
أما طريقة الزيارة فهي لا تختلف عما ذكرناه سابقا ٠

اسم الولي : سيدى عبد القادر الجيلالي(1)
اسم القرية : في مختلف أنحاء المنطقة
اسم الراوي 1 : الشيخ علي من أتباع الطريقة القادرية
اسم الراوى 2 : الحاجة بينة

الموقع : ما من قرية بالمنطقة الا و نجد بها قبة أو (حويطة) صغيرة يقال و يعتقد أنها المكان الذي كان يجلس فيه سيدي عبد القادر للاستراحة أو قراءة القرآن و تعبد ، ولذا يسمى هذا المكان أحيانا (مقام مولاي عبد القادر) .

حياته : تتفق معظم الروايات الشعبية على أن سيدي عبد القادر رجل متصوف و من أولياء الله

---

1 - الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست بن أبي عبد الله بن يحي ابن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الحوزي بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، قطب العارفين ولد سنة 470هـ تسرع ببغداد حيث كان من طلاب العلم والمعرفة ، ثم أصبح مدرسا بها في ميدان الافتاء و التفسير . وقد ألف مجموعة من الكتب نذكر منها : الفتح الرباني والفيض الرحماني - فتوح الغيب . وقد مات سنة 591 هـ - ينظر ابن الملقن - طبقات الاولياء - ص 246.

ويعد الشيخ من مؤسسي الطريقة القادرية وامامها في القرن الخامس الهجري والتي انتشرت في كل أرجاء العالم الاسلامي وبالخصوص في المغرب العربي ، وقد أسست بمدينة "أرزيو" بالجزائر (زاوية القادرية) وكان آخر من أشرف على تسيير شؤونها الشيخ بن عواد الذي كان يقطن بمدينة عين تادلس . واعتبرت هذه الزاوية في العهد الماضي كمركز اشعاع فكري وديني ، وكانت تقام بها كل سنة احتفالات دينية كبيرة تخليدا للشيخ عبد القادر الجيلاني .

الصالحين ، بعثه الله رحمة للناس حيث أسلم على يده أكثر من خمسة آلاف من اليهود والنصارى .

اختصاصه : الواقع أن هذا الولي كما يعتقد الناس مختص في شفاء جميع الامراض ، الا أن هناك من النساء من يعتقدن أن سيدى عبد القادر الجيلالي يشفي النساء العاقرات مثله مثل سيدي زواوي . و من ثم كان على المرأة العاقر التي تزوره و تتجب بعد ذلك أن تسمي مولودها "جيلالي" ان كان ذكرا ، و " أم الجيلالي ان كانت أنثى .

كراماته : من حكايات الكرامات حول هذا الولي أنه في يوم من الايام التقى سيدي عبد القادر مع الشيخ الولي سيدي سعيد أبوزيد ، فأرادا أن يعرفا أيهما أقوى في الايمان والعبادة ، فكان السؤال أن ينادي كل واحد منهما على تلك الشجرة في قمة الجبل . فبدأ سيدي عبد القادر قائلا :

((أيتها الشجرة باذن الله و حق محمد رسوله ، تعالي ظللي علينا))

فاهتزت الشجرة و لم تأت . ثم نادى الشيخ أبو زيد :

((أيتها الشجرة باذن الله و رسوله و باسم عبد القادر الولي الصالح ، تعالي ظللي علينا))

فاهتزت و جاءت مسرعة اليه . فلما رأى سيدي عبد القادر هذا ، أقسم على نفسه أن يعبد الله أربعين سنة على رجل واحدة أمام البحر . ولما قضى هذه المدة ، بعث الله اليه جبريل في المنام و أخبره بأن الله يقول له

((رواح يا عبد القادر راك فوق بوزيد و ما يزيد ، أنت يا عبد القادر سلطان البر والبحر ، و أنت سلطان الاولياء الصالحين)) [1] .

ومن حكايات هذا الولي في البلاد العربية الاخرى أنه أظهر بعض كراماته قبل أن يولد بزمن بعيد ، اذ ظهر لأمه في صورة صقر و حماها من الاغتصاب و هي فتاة لم تتزوج . و يعتقد أن مولده كان في شهر رمضان ولم يكن يأخذ ثدي أمه الا بعد آذان المغرب ، و هذا ما جعل أهل (نيف) سقط رأسه ، اذا شق عليهم معرفة حلول آذان المغرب (بسبب الغيم الكثيفة التي تحجب السماء) لجأوا الى أم الرضيع و سألوها اذا كان ابنها قد بدأ الرضاعة أم لا . ومن كراماته أيضا أنه كان يتحدث مع الحيوانات ، و أنه لم يشرب الماء قط ، ولم يكن ينام الليل أبدا ، ولكي يبعد النعاس كان يقضي الليل واقفا على رجل واحدة [2]

أما زيارته فهي تتم بنفس الطرق التي ذكرناها سابقا ، ومن الادعية التي يذكرها الناس قولهم :

((يا سيدي عبد القادر أنا أعطيتك بالقف ، و أنت أعطيني بالوفا)) [3]

---

1 ـ رواح = بمعنى تعالى ـ راك = انك ـ

2 ـ ينظر محمد الجوهري ـ علم الفولكلور (دراسة المعتقدات الشعبية) ـ 62/2 وما بعدها

3 ـ القف = الظهر ، والمعني أنني ذهبت وتركتك فأرجوا منك أن تتقبلني

• خاتمة

و هكـــذا ينتهـــي هذا البحث بهـــذه الخاتمـــة المشتملة على النتـــائج التاليـــة ، التي تمكـن الباحث من استخلاصهـــا من خـــلال معايشـــة صادقـة لتراثنـا الشعبـي عمـــوما و معتقداتنـا خصـوصـــا .

أولا : تعتبـر المعتقدات الشعبيـة جزءا هـاما من تـراثنا الشعبـــــي بهـا تتشكـــل فلسفـة الانسـان و تصـوراتـه المختلفـة ســـــــواء ما تعلـق منها بالعالـم الخارجـي أو العالم ما وراء الطبيعـــــة و هي بهـذا تعتبـر أكثـر أشكـال التعبيـر الشعبـي استجـابـــة لـروح الشعـب و متطلباتـه النفسيـة و الاجتماعيـــة .

ثانيـا : تستمد معتقدات سكـان منطقـة بلعباس أصـولهـا مـن حصيلـة المعارف والديانات والتصـورات البدائيـة على الخصـوص . فـأغلـب المعتقدات التي تعـــرض لهـــا البحث ذات جـذور في بقايـا الطقـــــوس الاسطـورية و السحـريـة التي خلفتهـا الاجيـال السابقـة . كمـــا الاســلام بمسلماتـه العقائـديـة و شعائره الدينيـة المصدر الثانـــي لـهذه المعتقدات ، و بخاصـة تلك التي تتعلـق بعالـم الملائكـــة والشياطيـــن .

ثالثـا : تعتبـر الانتمـاءات الصوفيـة التي تعرفهـا المنطقـة ، كالانتماء الى الدرقاويـة و التيجانيـة من أبـرز عوامـل انتشـار المعتقدات الصوفية كالايمـان بالاولياء والكرامـات ، وكذا بعـض الشعائـر المتعلقـــــة بالرقـص الديني والتهليـل والجـذب والضـرب على الطبـول .

رابعا : لقد كـان لبعـض أئمـة المسـاجد وغيرهم من "الطلبـــة" المنحرفيـــن عن التصـور الاسـلامي الصحيـح دور كبيـر في انتشـار المعتقدات السحريـة والخرافيـة و ترسيخـها في أذهـان البسطـاء من الناس . و مما لا شـك فيـه أن هـؤلاء وقعـوا في كثيـر من الخلط وعدم الفهم عندما راحـوا يـروّجـون لبعض المعتـقـــدات

الإسرائيلية التي وردت في بعض كتب التفسير القديمة ظنا منهم أنها من المعتقدات الدينية الاسلامية .

خامسا : يمثل عالم الجن والملائكة في معتقدات سكان المنطقة عالما موازيا لعالم الانسان ، فهي كائنات خفية قادرة على التشكل في أية صورة بشرية أو حيوانية ، كما أنها تتزاوج و تتناسل ولها ملوك ورؤساء وخدم ، وفيها المسلمون والكفار ، ويمكن للانسان الاستعانة بها في مواقف معينة ، وهي قادرة على ايذائه في حالات أخرى .

سادسا : السحر في المعتقد الشعبي وسيلة من وسائل الانتقام الاجتماعي فهو قادر على الايذاء و ايقاع السوء ، وهو في الوقت ذاته من وسائل رد الشرور لأن العمل السحري يبطله عمل سحري مضاد . ونسجل ضمن هذه النتيجة أيضا ، أنه لا وجود للسحر الرسمي كما عرّفناه سابقا ، فعمّال "الطلبة" الذين يدعون أن لديهم معرفة سحرية ، هم في الحقيقة لا يعرفون من السحر الا تلك الوصفات التي ينقلونها من كتب السحر و يعيدون كتابتها لزبائنهم ومن ثمّ فان ما يمارسونه من أعمال سحرية لا يخرج عن مجموع الطقوس السحرية الشعبية .

سابعا : تبين من البحث أن الاعتقاد في الاولياء يرتبط ارتباطا قويا بفكرة تقديس أرواح الموتى عند القدماء . كما أنه وليد انحراف وقع فيه الاتجاه الصوفي ، وذلك حينما شاعت فكرة الولاية والكرامة . و مما ساعد على ترسيخ هذا الاعتقاد بالمنطقة اقترابها من المغرب الاقصى حيث فكرة المشيخة و السلطنة كما سبق وأن شرحنا ذلك .

ثامنا : لقد ساهم هذا التراكم الفولكلوري الضخم بجزء وفير في تكوين بنية العقل الشعبي وخلق نمط من التفكير يمكن أن

نطلق عليه اسم ((التفكير قبل المنطقي))[1] ساعد على تفجير طاقات المخيلة الشعبية فراحت ترسم لنفسها عالما أسطوريا و سحريا موازيا لعالمها الواقعي ، لأن ((الانسان يبلغ مرحلة التفكير بالاساطير دونما معرفة بها))[2]

تاسعا : تبين من البحث أن المعتقدات الشعبية الجزائرية تتميز - بحكم الظروف التاريخية التي تعاقبت على الشعب الجزائري - بعناصر ثقافية متداخلة وهو ما يزيد في صعوبة البحث عن أصولها ، فحتى تلك المعتقدات التي ترجع الى أصول وثنية وأسطورية تبدو عند العامة في صور لا تتنافى والمعتقد الديني .

عاشرا : ان الطابع البدوي كما تجلى من خلال البحث ، ضارب بجذوره في تفكير سكان المنطقة وتصوراتهم ، على الرغم من تلك المظاهر والاشكال التي تدل على عكس ذلك . ففكرة العرش والانتماء القبلي لا زالت قائمة بينهم ، ولا زال النسق القرابي يلعب دورا أساسيا داخل البناء الاجتماعي على جميع المستويات الاقتصادية والسياسية و الثقافية . ومن ثم كانت ((قطرة دم خير من ميات صاحب)) ، و ((بنت العم خير من البرانية ولو بارت)) ، ((ليخرج من عرشه ، خرج من عشه)) .

و أخيرا سوف تظل المعتقدات الشعبية مجالا خصبا للدراسة والبحث ، فهي صالحة لأن تكون موضوعا لعدة دراسات فولكلورية تتناول جوانب عديدة منها .

---

1 - وهي طريقة من التفكير تتميز بها الشعوب البدائية وتتصف بتحيزها العاطفي غير المعقول ، فالافكار في هذا النوع من التفكير توجهها التصورات الجمعية العاطفية التي لا تخضع لقوانين التناقض المميز .

2 - كلود ليفي شتراوس - الاسطورة والمعنى - ترصبحي حديدي - ص: 7

● مُلحَق

الشكل رقم : 1

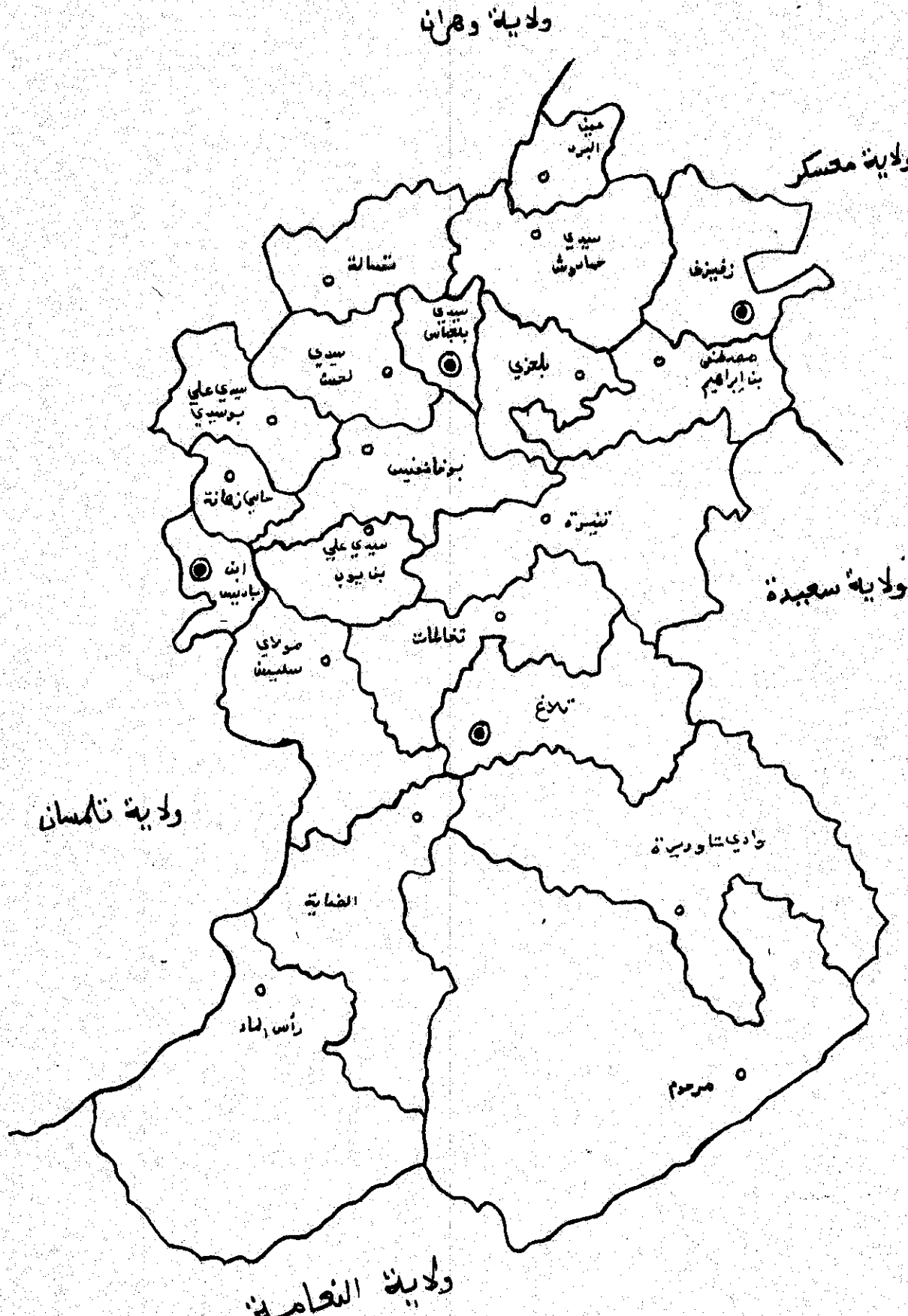
ولاية وهران
ولاية معسكر
ولاية سعيدة
ولاية تلمسان
ولاية النعامة
مينا البرج
سيدي حماموش
زغيزغ
شعالة
سيدي بلقباس
سيدي لحسن
بلعزي
مصطفى بن ابراهيم
سيدي علي بوسيدي
بوخانفيس
حاسي زهانة
تنيسرة
سيدي علي بن يوب
ابن بابنيس
تغالمات
صولاي سليمان
تيارت
وادي تاوريرت
الضاية
رأس الماء
مرسوم

الشكل رقم 2 التقسيم الاداري الجديد لمنطقة بلعباس جوان 1991

الدوائر	البلديات
سيدي بلعباس	سيدي بلعباس
سيدي لحسن	سيدي لحسن - الصفارنة - سيدي خالد - سيدي يعقوب
تسالة	قصر سالة - عين ترید - سهالة
سفيزف	سفيزف - عين عدان - بوجبهة البرج - مسيد
تنيرة	تنيرة - بن عشيبة - حاسي دحو - واد سفيون
عين البرد	عين البرد - ماكدرة - سيدي براهيم - سيدي حمادوش
مصطفى بن براهيم	مصطفى بن براهيم - بلعربي - تلموني - زروالة
ابن بادیس	ابن بادیس - بضرابين - شيطوان - حاسي زهانة
سيدي علي بن يوب	سيدي علي بن يوب - بوخنافيس - الطابية
سيدي علي بوسدي	سيدي علي بوسدي - عين قادة - لمطار - سيدي دحو
رأس الماء	رأس الماء - واد السبع - رجم دموش
مرحوم	مرحوم - بئر الحمام - سيدي شعيب
تلاغ	تلاغ - الضاية - مزاورو - تيغاليمات
مرين	مرين - واد التوريرة - تفيسور - تاودموت
مولاي سليسن	مولاي سليسن - عين تندامين - الحصايبة

الشكل رقم : 3

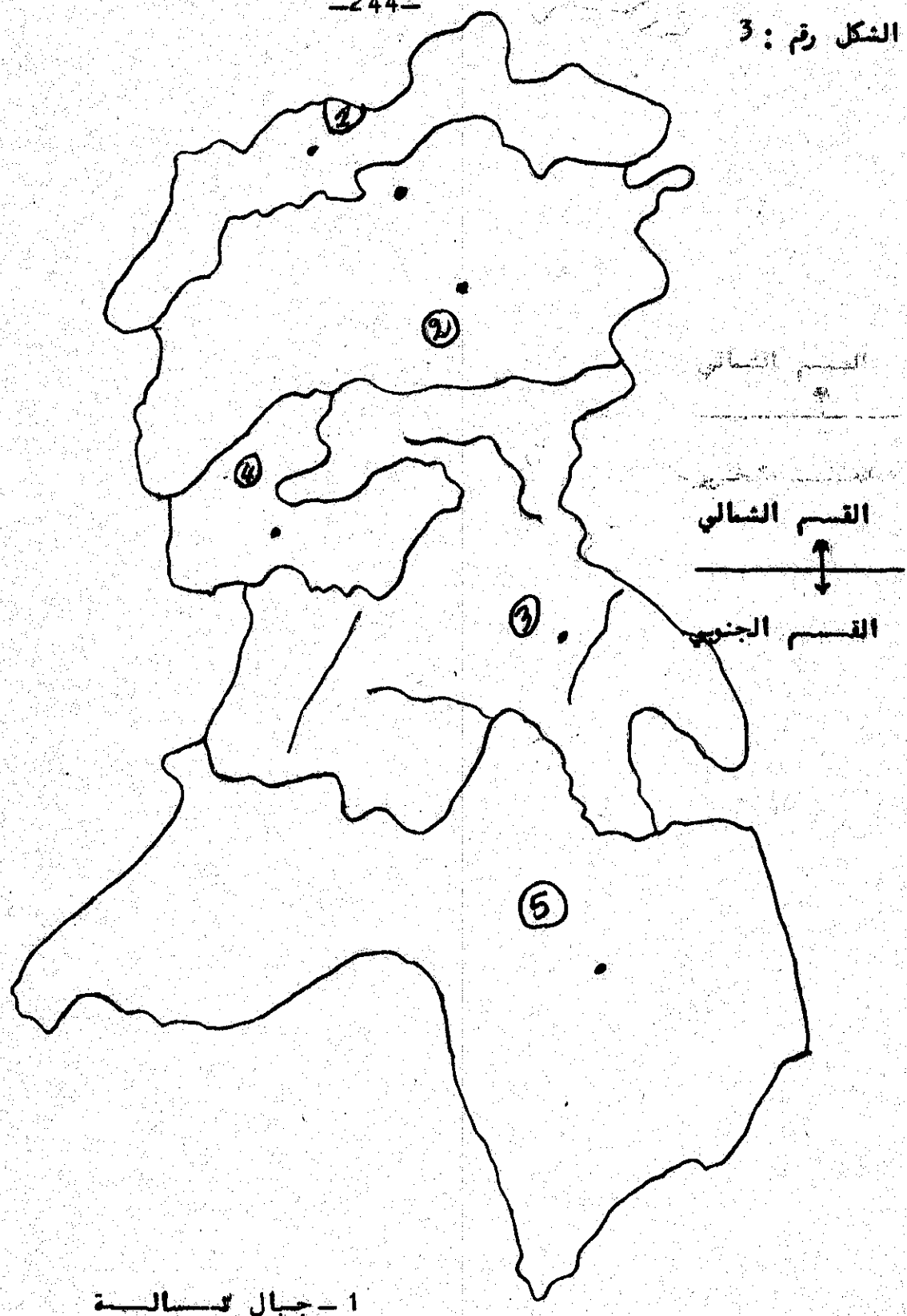

1 ـ جبال تـــالـــة
2 ـ سهـــول سيدي بلعباس
3ـ جبال الضايـــــــة
4 ـ الهضاب العليا لمدينة تلا غ
5 ـ المناطق الرعـويـــــــة

الشكل رقم 4

خريطة تبين وضع قبائل بني عامر سنة 1845

الشكل رقم 5

نماذج مما هو مكتوب على القبور - مقبرة مدينة سيدي بلعباس و سيدى لحسن .

النموذج الأول :

الشاهدة الأولى (عند الرأس)	الشاهدة الثانية (عند الرجلين)
هذا قبر المرحوم فلان بن فلان ولد يوم ..... توفي يوم	يا واقفا على قبرنا أدع لنا الله بالرحمة والمغفرة يرحمنا جميعا بمنه و كرمه - آمين

النموذج الثاني[1] :

لا تقنطي يا نفس من زلتي
ان عظمت ان الكبائر في الغفران
ان كان للم بعد رحمة
ربي حين يقسمها تأتي
على حسب العصيان في القاسمي

النموذج الثالث :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله انتقل الى عفو الله و رحمته السيد : ..... يوم :	يا واقفا على قبرنا أدع لنا بالرحمة و المغفرة آمين يا رب العالمين

النموذج الرابع :

ici repose ----- Né le ---- age de ---- décédé le ---	الله أكبر كل نفس ذائقة الموت انا لله وانا اليه راجعون

1 - قبر رجل ينتمي الى المذهب التيجاني ، و يبدو أن هذا النوع من " الشاهدة " مصنوع بمدينة تلمسان . و للاشارة فإن هذا القبر بمقبرة مدينة بلعباس قرب القبة .

الشكل رقم : 6 نماذج من وشوم الحنك .

الشفة السفلى

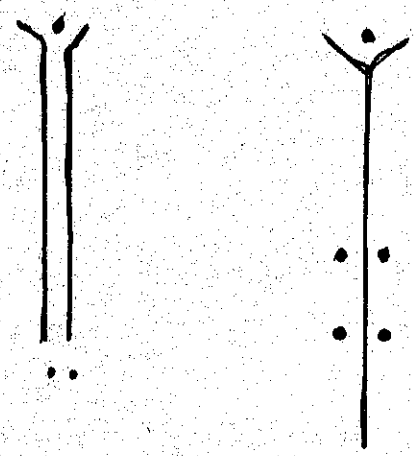

رأس الحنك

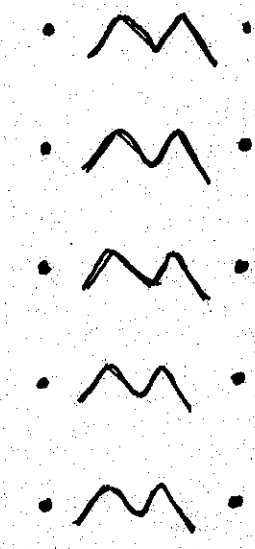

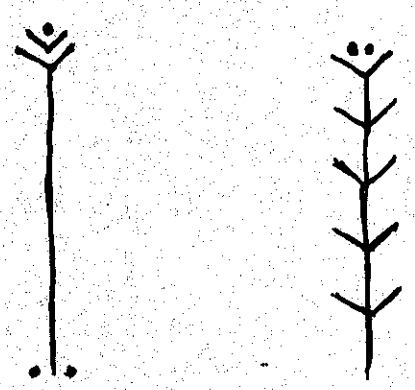

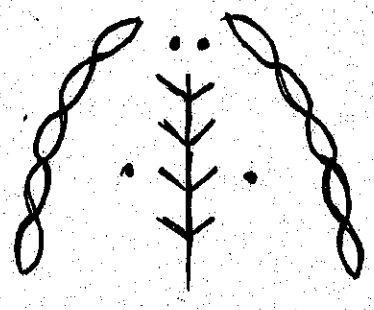

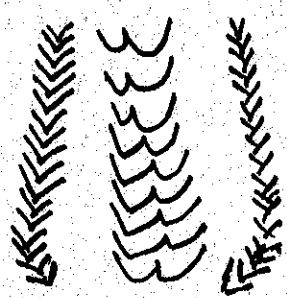

الشكل رقم : 7 وشم الجبهة

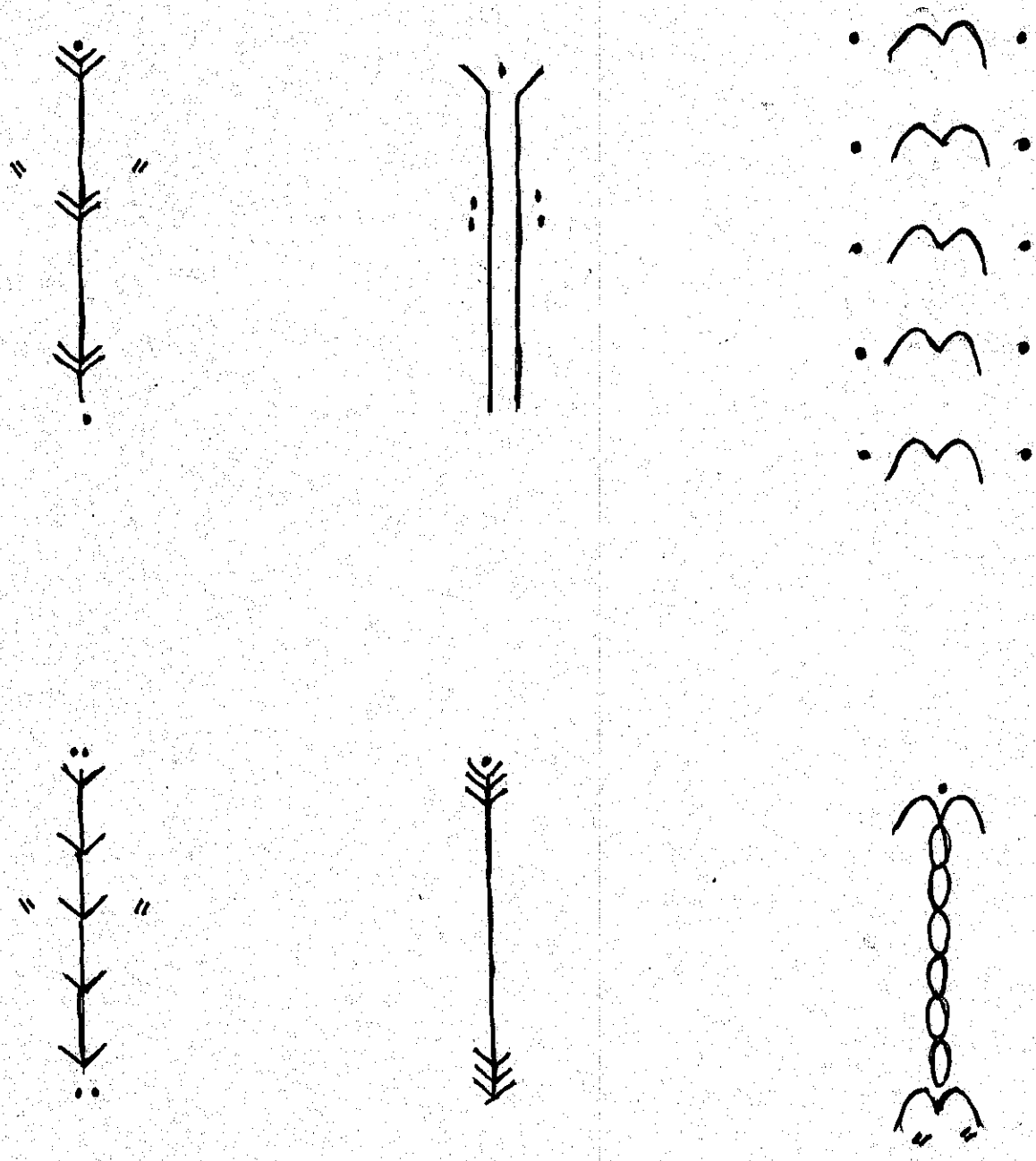

الشكل رقم : 8 نماذج من وشم اليد (النساء)

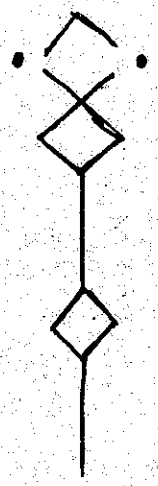

دار السلطان

السبولة

جرة اللفعة

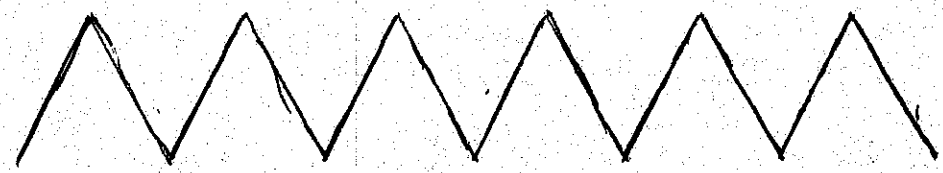

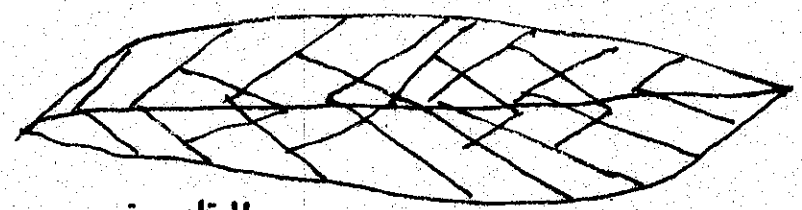

الرقادية

الشكل رقم : 8 نماذج من وشم الرجل (وشم الساق)

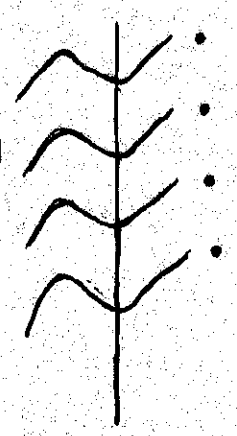

الناصية

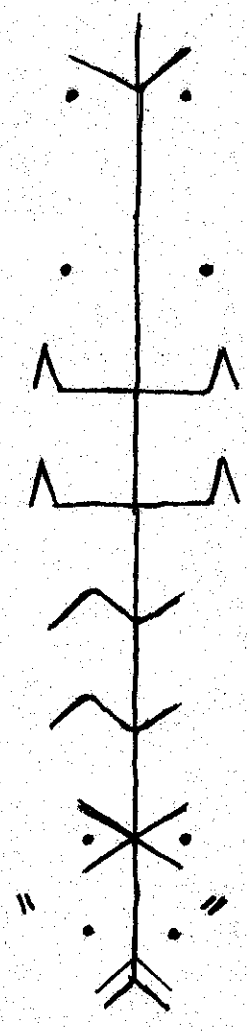

عين الحجلة

السبولة

الشكل رقم : 8 وشم الساق (النساء)

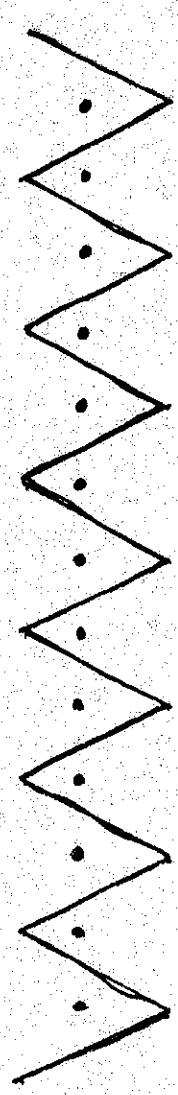

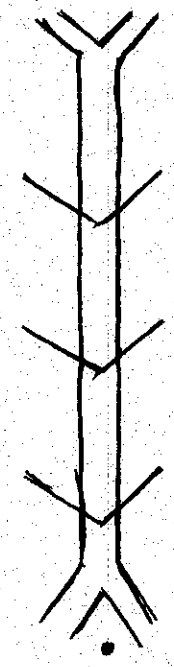

الشكل رقم : 9 نماذج من وشـــم الشيخ (وشم اليد)

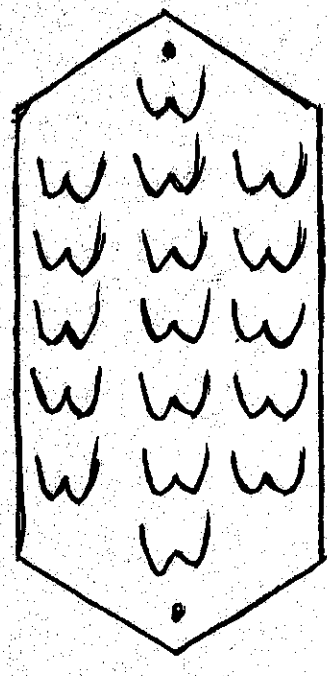

الزريبـــــة

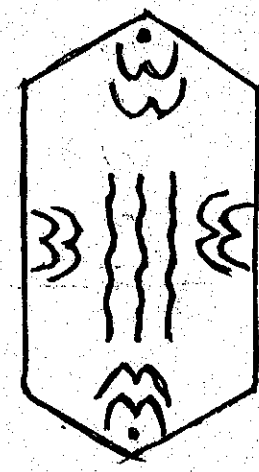

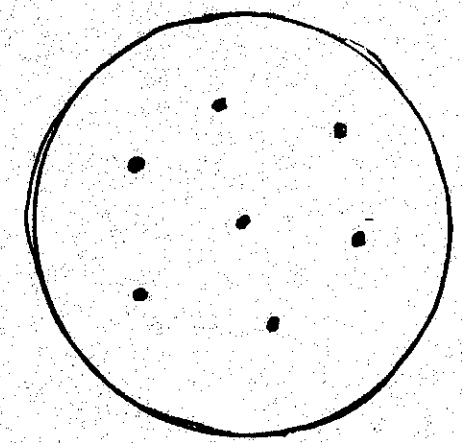

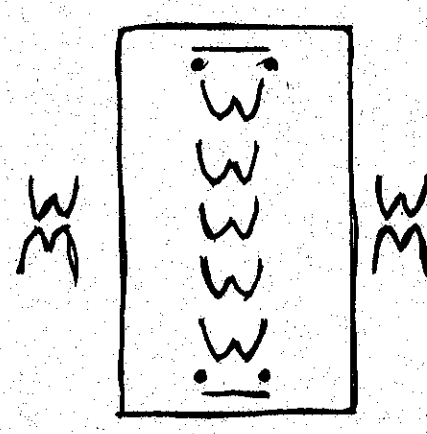

الشكل رقم : 10 - طريقة تحضيـــر الا رواح

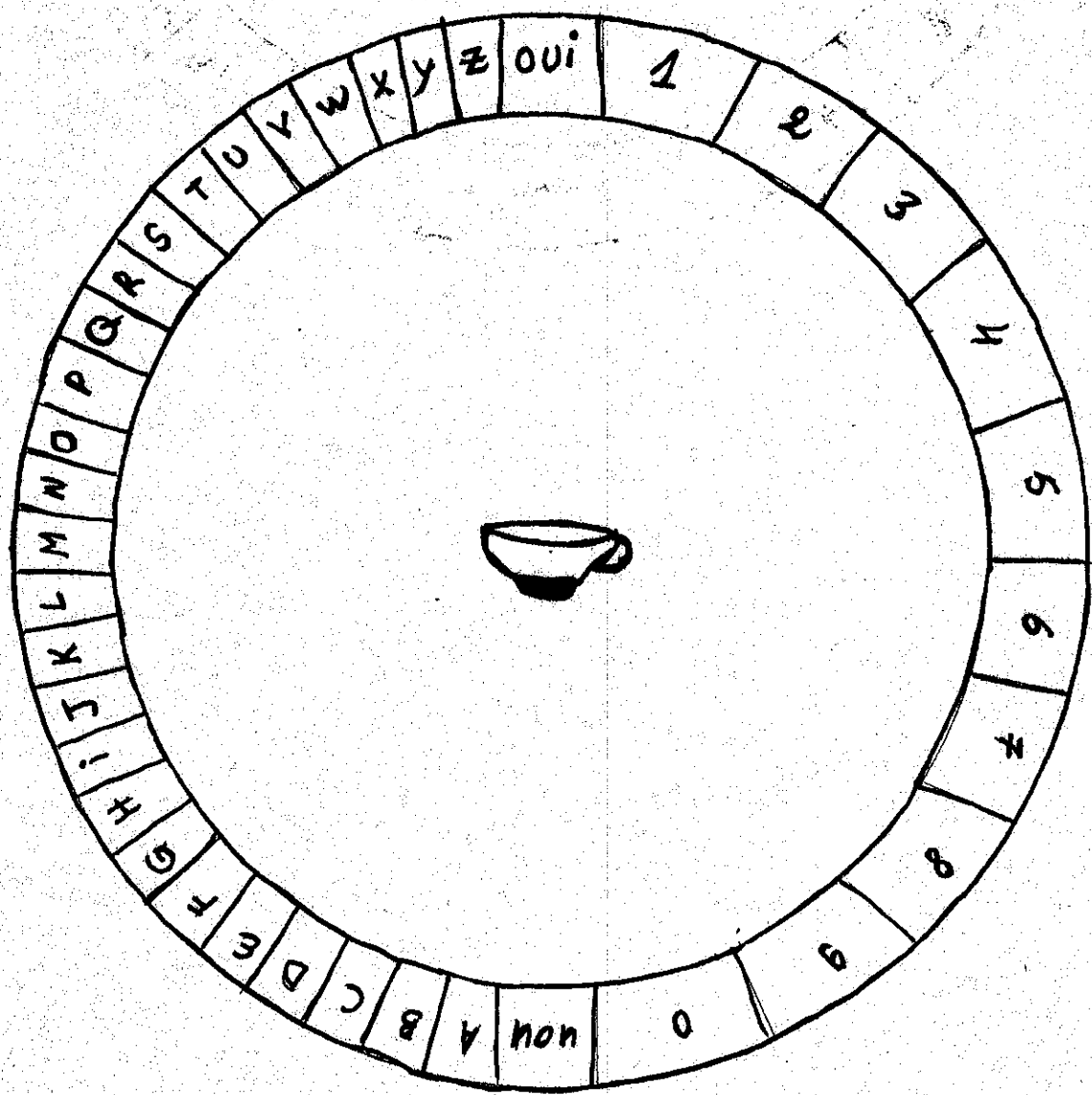

الشكل رقم 11

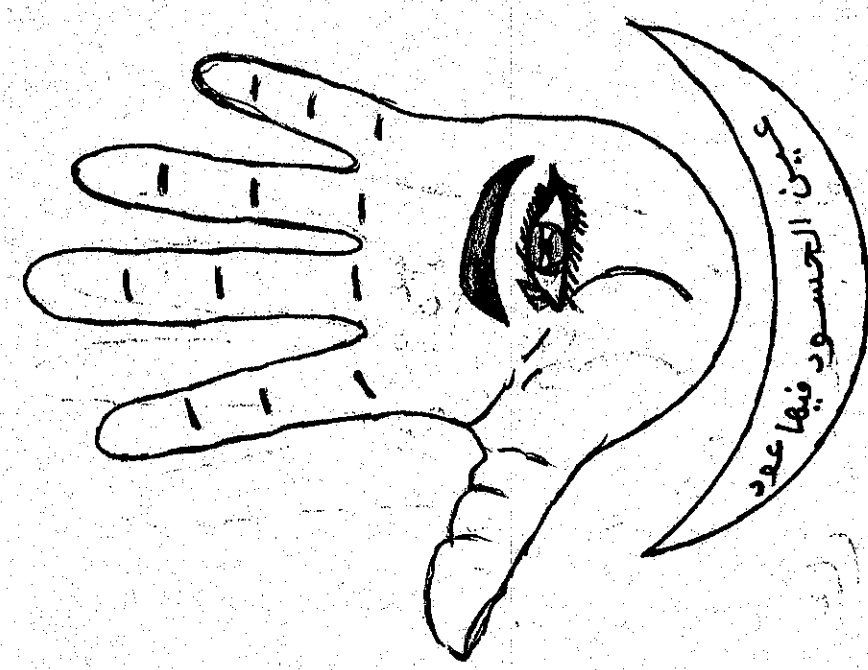

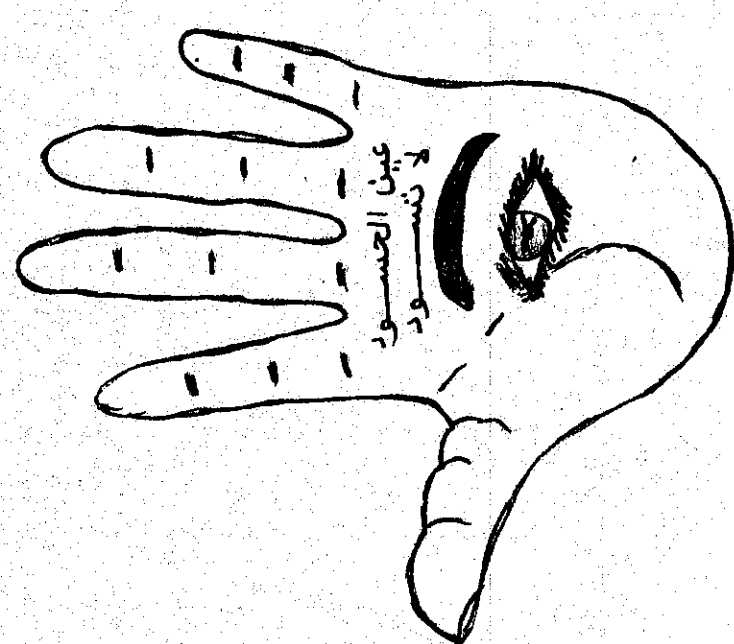

يا رب سترك

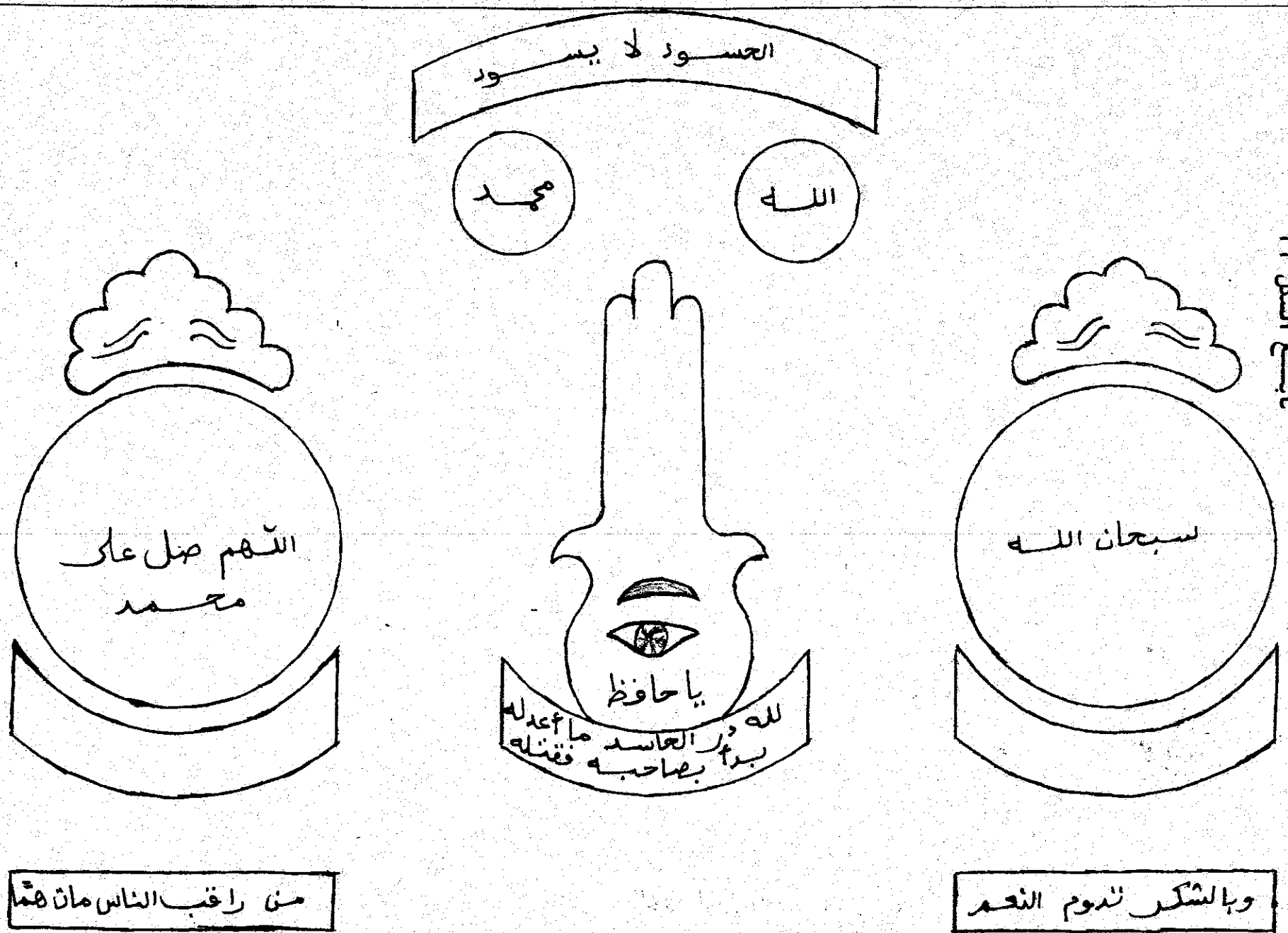
الحسود لا يسود
الله
محمد
سبحان الله
اللهم صل على محمد
يا حافظ
لله در الحاسد ما أعدله
بدأ بصاحبه فقتله
وبالشكر تدوم النعم
من راقب الناس مات هما

شكل رقم : 12

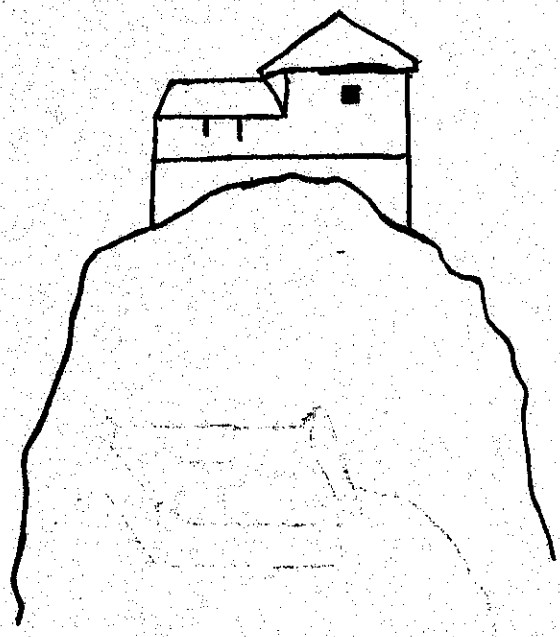

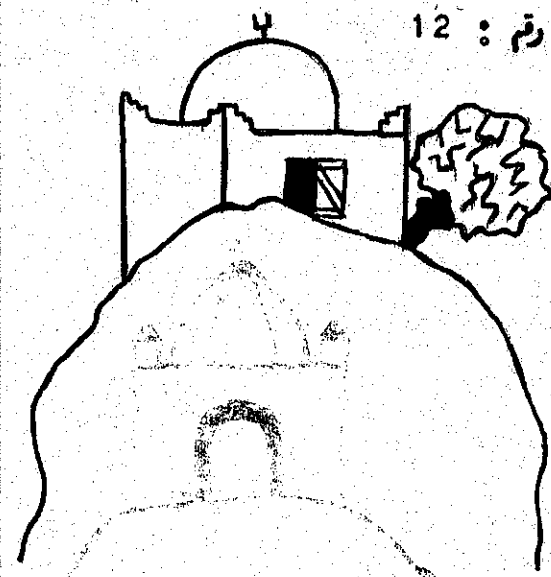

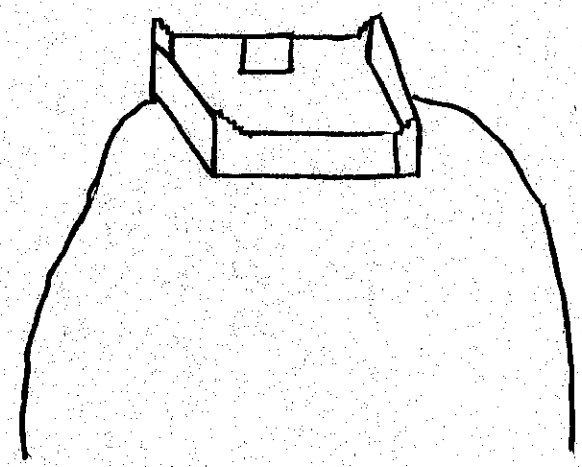

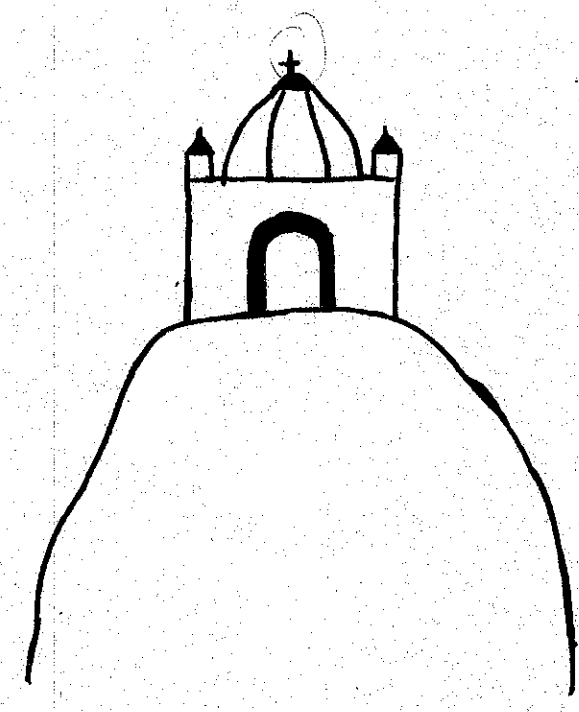

تابع الشكل رقم 12

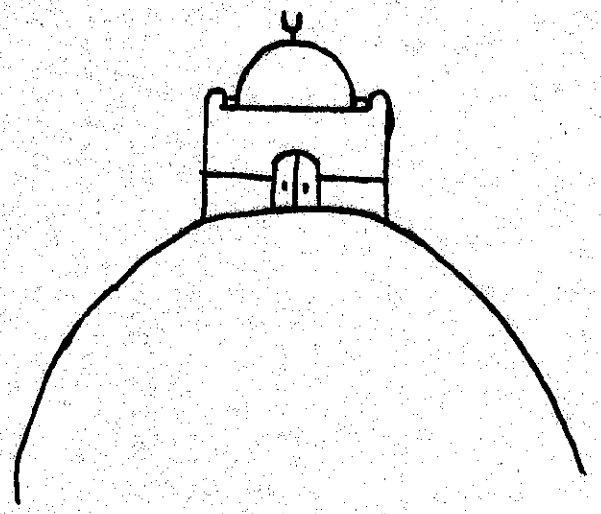

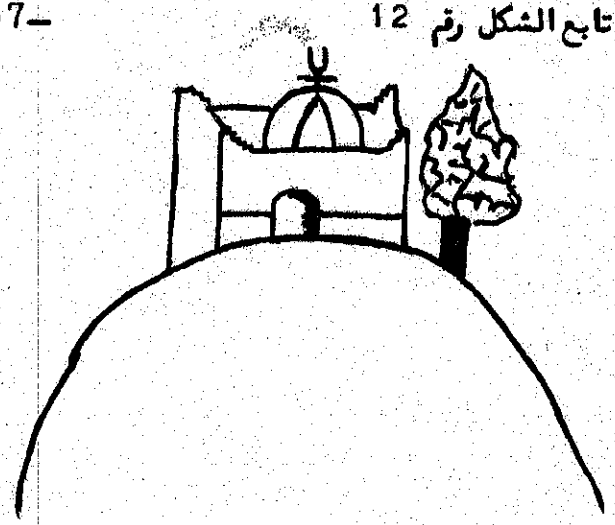

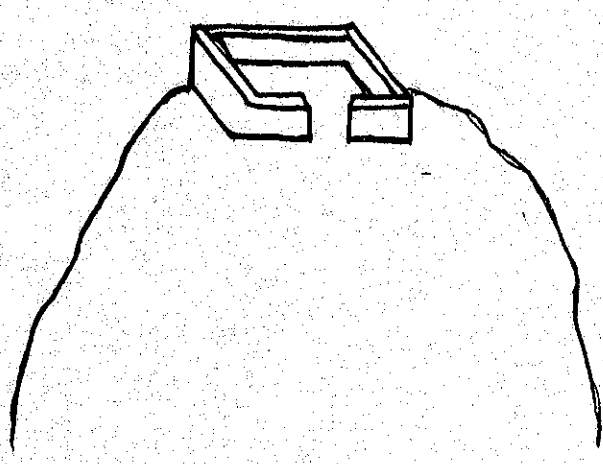

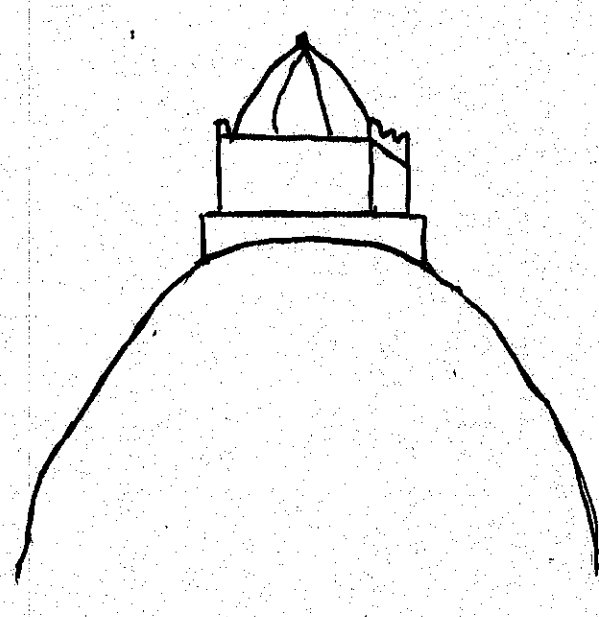

الشكل : 13 لالة بعيرة بالسيد - قرب سفيزف

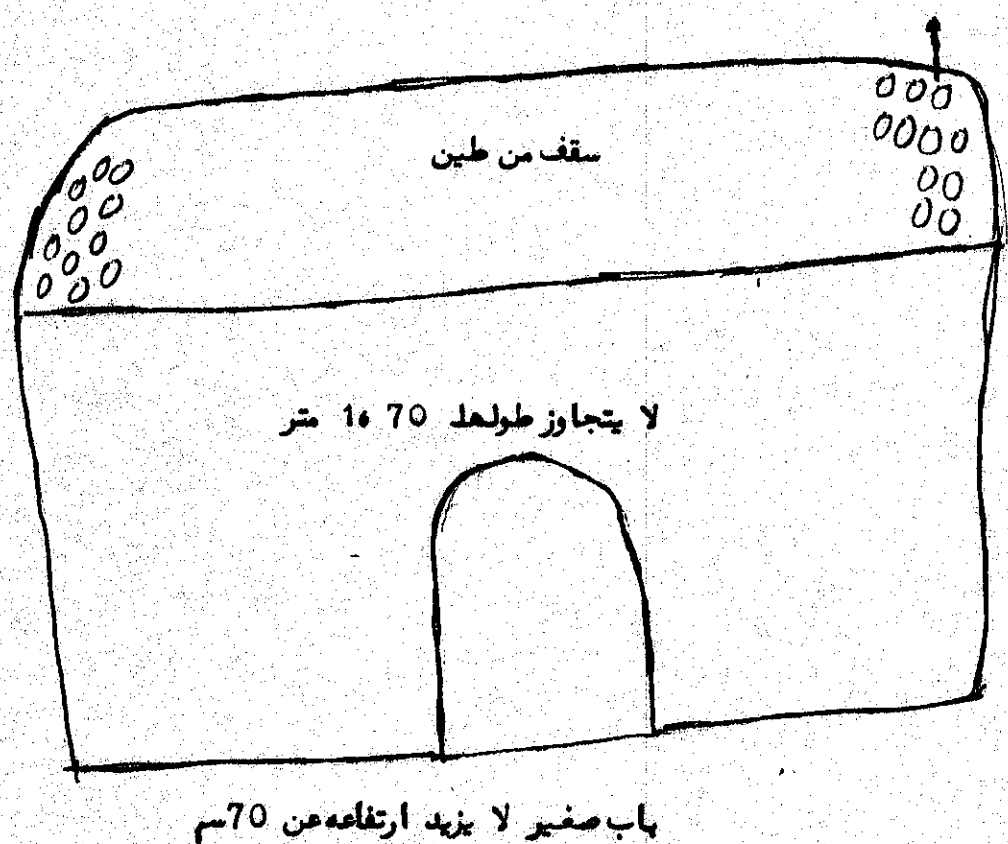

خريطة المشتغلين بالسحر

/// / المناطق المشهورة

/// مناطق نصف مشهورة

البيانات الاساسية :

1 ـ النـوع :

ذكر	( )
أنـثى	( )

2 ـ الـسن :

أقل من 20 سنة	( )
من 20 الى 30	( )
من 30 الى 40	( )
من 40 الى 50	( )
أكثر من 50 سنة	( )

3 ـ مستوى التعلم :

أمـــــي	( )
يقرأ فقـــط	( )
يقرأ و يكتـــب	( )
ابتدائـــي	( )
ثـانـــوي	( )
جـامعـــي	( )
فوق الجامعـــي	( )

4 ـ الحالة الاجتماعية :

أعـــزب	( )
متـــزوج	( )
مطـلـــق	( )
أرمـــل	( )

5 ـ درجة الشهرة :

مشهـور جـدا	( )
مشهـــور	( )
نصـف مشهـور	( )
مغمـــور	( )

6 ـ اكتساب الحر :

عن وراثـــة	( )
عـن هوايـــة	( )

7 ـ الوسائل المستعملة :

كتـب السحـر	( )
لا يستخدم الكتـب	( )

=0= مجموع الاسر والافراد الوافدين الى منطقة سيدى بلعباس =0=
ما بين سنة 1966 - 1977

مواطن الاصلية للوافدين	عدد الوافدين الى مدينة بلعباس	عدد الوافدين الى المناطق الاخرى	المجموع
عين الصفراء	657	1 578	2 285
تفانام	235	173	408
معسكر	636	601	1 237
موشنت	582	521	1 103
وهران	1 182	563	1 745
تلمسان	1 528	1 350	2 878
تيارت	116	135	251
ولايات الوسط	605	295	900
ولايات الشرق	301	121	422
ولايات الجنوب	107	41	148
المغرب	212	70	282
فرنسا	287	88	376
بلدان اخرى	137	120	257
المجموع	6 585	5 656	12 241

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

1 - القرآن الكريم

2 - الكتاب المقدس

- أ -

3 - الأب جرجس داود داود - أديان العرب قبل الاسلام - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت - ط 1 - 1981

4- ابراهيم بدران و آخرون - دراسات في العقلية العربية (الخرافة) - دار الحقيقة - بيروت - ط2 - 1979

5 - ابراهيم بحلولي - فن الرقص الشعبي في الجزائر - الجزء الاول - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1986

6 - ابراهيم الحيدري - اثنولوجيا الفنون التقليدية - دار الحوار - سورية - ط 1 - 1984

7 - ابراهيم محمد الجمل - جذور الشر - دار الكتاب العربي - بيروت - ط1 - 1985

8 - ابن الأثير - جامع الاصول - دار احياء التراث العربي - بيروت - ط3 - 1983

9 - ابن تيمية - الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان - دار البعث - قسنطينة - 1987

10 - ابن الحاج التلمساني المغربي - شموس الانوار وكنوز الاسرار الكبرى - المطبعة السعيدية - مصر - دون تاريخ .

11 - ابن خلدون - كتاب العبر - مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت - 1979

12 - ابن القيم الجوزية - الروح - المكتبة العصرية - بيروت - ط1 - 1989 .

13 - ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل) - قصص الانبياء - دار الشهاب - باتنة - 1988

14 - ابن الملقن - طبقات الاولياء - تحقيق: نور الدين شريبة - مطبعة دار التأليف - القاهرة - ط 1 - 1973

15 - ابن منظور - لسان العرب - دار صادر - بيـــــروت .
16 - أبـــو نواس (الحسن بن هانئ) - الديوان - دار صادر - بيروت
17 - أحمـد أميـن - فجر الاسلام - دار الكتاب العربي - بيروت - ط11 - 1975
18 - أحمد حسين - الطاقة الانسانية - مطبعـة مصر - 1962
19 - أحمـد رشدي صالح - الادب الشعبي - مكتبة النهضة المصرية / مطبعة السنـــة المحمدية - ط3 - 1971
20 - أحمد شلبي - مقارنة الاديان (أديان الهند الكبرى) - مكتبة النهضة المصريـــة - ط2 - 1966
21 - أحمد شهاب الدين الهيتمي - الفتاوى الحديثية - المطبعة الميمنية بمصر - 1307 هـ
22 - أحمد كمال زكي - الاساطير دراسة حضارية مقارنة - دار العودة - بيروت - ط2 - 1979
23 - ارنست كاسيرر - الدولة والاسطورة - تر: أحمد حمدي محمود - الهيئة المصريـــة العامة للكتاب - القاهرة - 1975
24 - أرنولد هاوزر - الفن والمجتمع عبر التاريخ - تر: فؤاد زكريا - المؤسسة العربيـــة للدراسات والنشر - ط2 - 1981

- جـ -

25 - الجـاحـظ (أبو عثمان) - الحيوان - تحقيق : عبد السلام هارون - بيروت - 1969 .
26 - جلجـامش - الملحمـة - طه باقر - بدون دار الطبع والتاريخ
27 - جـواد علي - المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام - دار العلم للملايين بيروت - مكتبة النهضة - بغداد - ط3 - 1980
28 - جوزيف جاستر و - التفكير السديد - تر: نظمي لوقا - مطبعة السعادة - مصر - ط1 - 1957

- خ -

29 - خليل أحمـد خليل - مضمون الاسطورة في الفكر العربي - دار الطليعة - بيـــروت ط3 - 1986

- د -

30 - درني خشبة - أساطير الحب والجمال عند الاغريق - دار الهلال - ع 171 - 1965

31 - دليلة مرسلي - دراسات لسانية حول التراث والفولكلور الشعبي في الوطن العربي - تر: سليم قسطون - دار الحداثة - بيروت - ط1 - 1988

- ر -

32 - الرازي (فخر الدين) - التفسير الكبير - د اراحياء التراث العربي - بيروت - ط3

33 - // // - النبوّات (وما يتعلق بها) - تحقيق : أحمد حجازي السقا - مكتبة الكليات الازهرية

34 - رالف لنتون - شجرة الحضارة - تر: أحمد فخري - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - د س

35 - رشيد الخاضوري - تاريخ المغرب الكبير - د ار النهضة - بيروت - 1981

36 - رندل كلارك - الرمز والاسطورة في مصر القديمة - تر: أحمد صليحة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - 1988

37 - روزلين ليلى قريش - القصة الشعبية الجزائرية ذات الاصل العربي - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 0 198

38 - ريتا عوض - أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ط1 - 1978

- ز -

39 - الزبيدي (محمد مرتضي) - تاج العروس - دار مكتبة الحياة - ط 1 - 1306 هـ

40 - زهير بن أبي سلمى - الديوان - تحقيق : كرم البستاني - دار بيروت - 1979

- س -

41 - سامية حسن الساعاتي - السحر والمجتمع - دار النهضة العربية - بيروت - ط2 - 1983

42 - سبتينو موسكاتي - الحضارات السامية القديمة - تر: السيد يعقوب بكر - دار الرّقي - بيروت 1986

43 - سليمان مظهر - أساطير من الشرق - الدار القومية للطباعة والنشر - دون تاريخ

44 - // // - قصة الديانات - دار الوطن العربي للنشر - دون تاريخ

45 - سيج سونيرون- كهان مصر القديمة - تر: زينب الكردي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - 1975

46 - سيغموند فرويد - الطوطم والتابو - تر: بوعلي ياسين - دار الحوار - سورية - ط1 - 1983

- ش -

47 - شكري محمد عياد - البطل في الادب والاساطير - دار المعرفة - القاهرة 971

48 - شوقي عبد الحكيم - الفولكلور والاساطير العربية - دار ابن خلدون - بيروت - ط2 - 1983

- ص -

49 - صالح بن حمادي - دراسات في الاساطير والمعتقدات الغيبية - دار بوسلامة للطباعة والنشر - تونس - ط1 - 1983

50 - صموئيل هنري هووك - منعطف المخيلة البشرية - تر: صبحي حديدي - دار الحوار للنشر والتوزيع - سورية - ط1 - 1983

- ط -

51 - طرفة بن العبد - الديوان - تحقيق - كرم البستاني - دار بيروت 1979

52 - طه الهاشمي - تاريخ الاديان وفلسفتها - منشورات دار مكتبة الحياة - 1963

- ع -

53 - عاتق بن غيث البلادي - الادب الشعبي في الحجاز - دار مكة - ط2 - 1982

54 - عبد الرؤف المناوي - فيض القدير - دار المعرفة - بيروت - ط2 - 1972

55 - عبد الرحمان الجيلالي - تاريخ الجزائر العام - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - دار الثقافة - بيروت - 1982

56 - عبد العزيز بن عبد الله بن باز - ايضاح الحق (في دخول الجني في الانسي والرد على من أنكر ذلك) - دار البيان - البليدة - دون تاريخ (وهو عبارة عن كتيب صغير

57 - عبد القادر رعزة - مصطفى بن براهيم - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر.

58 - عبد الملك مرتاض - عناصر التراث الشعبي في (اللاز) - ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر - 1987 .

59- عبد الملك مرتاض- في الامثال الزراعية - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر 1987
60- // // - الميثولوجيا عند العرب - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - الدار التونسية للنشر 1983
61- علي البطل - الصورة في الشعر العربي - دار الاندلس - ط2 - 1981
62- علي زيعور - التحليل النفسي للذات العربية - دار الطليعة - بيروت - ط1 - 1977
63- علي عبد الجليل راضي - أضواء على الروحية - دار الفكر الحديث - القاهرة - 1961
64- عمر سليمان الاشقر - عالم الجن والشياطين - دار الشهاب - باتنة - 1985
65- // // - عالم الملائكة الابرار - دار الشهاب - باتنة - 1986

-غ-

66- غايستون بشلار - النار في التحليل النفسي - تر: نهاد خياطة - دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع - لبنان - ط1 - 1984

-ف-

67- فاروق خورشيد - عالم الادب الشعبي العجيب - دار الهلال - ع 447 - 1988
68- فراس السواح - مغامرة العقل الاولى (دراسة في أسطورة سورية وبلاد الرافدين) - سومر للدراسات والنشر - ط6 - 1986
69- فردريش فون ديرلاين - الحكاية الخرافية - تر: نبيلة ابراهيم - دار القلم - بيروت ط1 - 1973
70- فريزر (سير جيمس) - الغصن الذهبي (دراسة في الدين والسحر) - تر: أحمد أبو زيد - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - 1971
71- فريزر (سير جيمس) - الفولكلور في العهد القديم (التوراة) - تر: نبيلة ابراهيم - دار المعارف - مصر - ط2 - 1982
72- فوزي العنتيل - بين الفولكلور والثقافة الشعبية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - 1978
73- // // - الفولكلور ما هو ؟ - دار المسيرة - بيروت - مكتبة مريولي - القاهرة - ط2 - 1987
74- فيلالي مختار الطاهر - نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني - دار الفن الفرافيكي - باتنة - ط 1 .

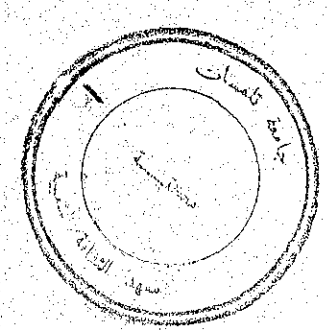

— ق —

75ـ القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن ـ بيروت ـ بدون تاريخ

76 ـ القشيري (أبو القاسم) الرسالة القشيرية ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ بدون تاريخ

— ك —

77 ـ ك ك رائقين ـ الاسطورة ـ تر : جعفر الصادق الخليلي ـ منشورات عويدات بيروت 1981

78 ـ الكلبي (أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب) ـ الاصنام ـ تحقيق : أحمد زكي ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ 1965

79 ـ كلود ليفي شتراوس ـ الاسطورة والمعنى ـ تر : صبحي حديدي ـ منشورات عيون ـ دار البيضاء ـ 1986

80 ـ كولون ولسن ـ خفايا الحياة ـ تر : مجاهد عبد المنعم مجاهد ـ منشورات دار الادب بيروت

— ل —

81 ـ ليفي برايل ـ العقلية البدائية ـ تر : محمد القصاص ـ مكتبة مصر ـ بدون تاريخ

— م —

82 ـ مبارك محمد الميلي ـ تاريخ الجزائر في القديم والحديث ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ـ 1976

83 ـ // // ـ رسالة الشرك ومظاهره ـ دار البعث ـ قسنطينة ـ ط3 ـ 1982

84 ـ محمد الجوهري ـ علم الفولكلور (دراسة المعتقدات الشعبية) ـ دار المعارف ـ مصر ط1 ـ 1980

85 ـ محمد رياض ـ الانسان (دراسة في النوع والحضارة) ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ط2 ـ 1974

86 ـ محمد عزة دروزة ـ تاريخ الجنس العربي ـ المطبعة العصرية ـ بيروت ـ 1961

87 ـ // // ـ عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة ـ دار اليقظة العربية ـ بيروت ـ ط2 ـ 1964

88 ـ محمد فريد وجدي ـ دائرة معارف القرن العشرين ـ دار الفكر ـ بيروت .

89 ـ محمود شكري الالوسي ـ بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ـ دار الكتاب العربي ـ مصر ـ ط3 ـ بدون تاريخ

90 ـ المسعودي ـ مروج الذهب ـ تحقيق : محي الدين عبد الحميد ـ دار المعرفة بيروت

91 مسلم (أبو الحسن بن الحجاج القشيري) ـ صحيح مسلم ـ تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار احياء الكتب العربية ـ ط1 ـ 1955

92 ـ مصطفى عبد الشافي الشوري ـ شعر الرثاء في العصر الجاهلي ـ الدار الجامعية بيروت ـ 1983

93 ـ مصطفى علي الجوزو ـ من الاساطير العربية و الخرافات ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ ط2 ـ 1980 .

ـ ن ـ

94 ـ نبيلة ابراهيم ـ الاسطورة ـ منشورات وزارة الثقافة و الاعلام ـ العراق / دار الحرية للطباعة ـ بغداد ـ 1979

95 ـ نعيم قداح ـ حضارة الاسلام و حضارة أوربا في افريقيا الغربية ـ الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ـ الجزائر ـ ط2

96 ـ نور الدين عبد القادر ـ القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمان المجذوب ـ المطبعة الثعالبية و المكتبة الادبية ـ الجزائر .

ـ هـ ـ

97 ـ هـ ريبرت ريد ـ الفن و المجتمع ـ تر: فارس متري ضاهر ـ دار القلم ـ بيروت ط1 ـ 1975

98 ـ هـ . فرانكفورت و آخرون ـ ماقبل الفلسفة ـ تر: جبرا ابراهيم جبرا ـ المؤسسة العربية للدراسات و النشر ـ ط2 ـ 1980

99 ـ هيرقة روسو ـ الديانات ـ تر: متري شماس ـ المنشورات العربية (سلسلة ماذا أعرف) 25

كتب بدون مؤلف

100 ـ الانسان و الدين ـ اعداد المكتب العالمي للبحوث ـ منشورات المكتب العالمي للطباعة و النشر ـ بيروت

102 ـ ألف ليلة و ليلة ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ بدون تاريخ

103 ـ دفاتر الارشيف لولاية سيدي بلعباس ـ رقم : 3 ـ مديرية المخطوطات لولاية سيدي بلعباس .

دوريـات عربيـــة و أجنبيـــة

أ - العربية :

1 - أحمد الطبال - الماء في رمزيته الاسطورية و الدينية - مجلة الفكر العربي المعاصر - ع 25 - السنة 1983

2 - بشير زهدي - مقدمة في الميثولوجيا - مجلة المعرفة - ع197 - تموز 1978

3 - دولة موسى (ترجمة) - الوشم - دراسة ثقافية اجتماعية - مجلة التراث الشعبي - ع 11 - السنة العاشرة - 9 197

4 - ليث الخفاف - الوشم و وحدة الفولكلور العربي - مجلة التراث الشعبي - ع 10 - السنة العاشرة - 1980

ب - الاجنبيـة :

1- A.Berbrugger -Sidi Ali Benyoub - Revue Africaine 1857 - 58 - n° 2 - OPU.

2- Cauvet - Les marabouts - Revue Africaine 1923 n° 64 - OPU.

3- ED - Destaing -l'Ennayer chez les Beni-Snous Revue Africaine 1905 n°49- OPU.

4- M.D. Le Tessala et ses ruines - Revue Africaine 1857 - 58 - n°2 - OPU.

لمراجـع باللغة الاجنبيـة

1- Anne Millard /François Carlier - L'Egypte ancienne - (Panorama des civiliss EDitions Gamma.

2- Belhalfaoui Mohamed - La poesie arabe maghrebine d'expression populaire, François Maspero 1973.

3- Edith Hamilton- La mythologie - traduit de l'anglais par: Abeth de Beughem Editions Marabout 1978.

4- Léon Adoue - La ville de Sidi-Bel-Abbès (Histoire- legende - anecdote) Bureau documentation - S.B.A 1927.

5- Léon Bastide -Bel-Abbès et son arrondissement - Typographie et lithographie ad - Perrier Oran 1880.

6- Mathea Gaudry - La société feminine au djebel amour et au Ksel . (L'Institut de recherches sahariennes de l'université d'Alger).

7- P.J. André (C.R.) - Confreries religieuses musulmanes. Editions: La maison des livres ALger 1956.

8- Robert Lowie- Manuel d'anthropologie cuturelle-traduit de l'anglais par E.Mé Payot Paris 1936.

9- Sylvia Bates / François Carlier religions du monde . Editions Gamma 1981.

10- V.Gordon Childe- La naissance de la civilisation - traduit par Pierre Henri Gonthier .Editions Gonthier - London.

فهرست الرواة

ترجمة لبعض الرواة

1 - أ . سميحة - سيدي بلعباس - طالبة - 20 سنة

2 - ب الحبيب - سيدي بلعباس - تاجر - 61 سنة

3 - ب سليمان - سيدى بلعباس - متقاعد - حافظ للقرآن (طالب) 69 سنة

4 - الحاج سعيد - سفيزف - متقاعد - راو شعبي - 67 سنة

5 - خديجة (الحاجة) - سيدي لحسن - ربة بيت - 63 سنة

6 - سبتي سنوسي - عين البرد - طالب ثانوي - 21 سنة

7 - م . صالح - رأس الماء - عامل بمزرعة - 48 سنة

8 - م قويدر - ابن باديس - تاجر - 54 سنة

9 - ن قويدر - سيدي بلعباس - من أتباع المذهب الدرقاوي - 64 سنة

10 - وهراني مسعود - سيدى بلعباس - مختص بالاعشاب الطبية - 67 سنة

فهرس باسماء الاماكن

مسلسل	الاسم	الصفحة
1	ابن باديس	3
2	بئر الحمام	4، 62
3	بغداد	200
4	بلعباس	2، 3، 10، 11، 27، 29، 30، 35، 50، 58، 68، 72، 77، 79، 87، 88، 100، 120، 151، 154، 187، 201، 202، 204، 209، 212، 225، 238.
5	بني راشد	24
6	بني شقران	3
7	بوخنفيس	8 22، 229
8	تسالة	3، 5، 6
9	تلاغ	3، 31، 62، 95
10	تلمسان	2، 5، 6، 7، 10
11	الجزائر	11، 37،
12	حمام بوحجر	7،
13	رأس الماء	4، 62، 95
14	سعيدة	2
15	سفيزف	3، 49، 201
16	سيدي خالد	201
17	سيدي شعيب	4
18	سيدي علي بن يوب	5، 201
19	سيدي لحسن	201، 204
20	سيدي محمد بن علي	79

فهرس أسماء الاماكن

مسلسل	الاسم	الصفحة
21	الغابة (جبال)	3
22	العراق	66، 202
23	عنابة	201
24	عين البرد	201، 231
25	عيت تريد	81
26	قسنطينة	201
27	القطارنية (غابة)	3
28	قنيطة (حي شعبي ببلعباس)	151، 79، 163
29	السيد	46، 58، 201
30	مصر	131
31	مشرية	2
32	مكرة (واد)	7
33	المغرب	9، 204
34	ملاتة	7
35	واد مليوية	9
36	وهران	2، 10، 201

فهرس بأسماء الاعلام (الرجال والنساء)

مسلسل	الاسم	الصفحة
1	ابليس	90
2	ابن خلدون	5، 122، 126
3	ابن تيمية	77
4	أبوحمو موسى بن يوسف	6
5	أبوعثمان سيدى سعيد	6
6	أبو نواس	79
7	ابيس (اسم ثور)	37
8	أساف	33
9	اسرافيل	92
10	ب جمعة	50
11	ب حبيب	40
12	ب سليمان	36
13	بوسيف	85
14	البومة	27، 28، 29، 81
15	الجاحظ	99
16	جبرائيل	92، 93، 94
17	جدع بن سنان	86
18	الجوهري (محمد)	99، 111
19	حمام (طير)	91
20	خديجة الحاجة	63، 9، 6
21	الرازي	128، 140
22	الروحاني (اسم جن)	84

فهرس بأسماء الاعـــلام

مسلسل	الاســـــم	الصفحـــــة
23	زوس (رب الآلهة اليونانية)	34
24	سعيـــــــد	105
25	سليمـــــان (النبي)	28 ، 146
26	السنـــونـــو	91
27	سيدي محمد بن علـــي	79
28	سيدي يوسف	78
29	شكـــري الالوسي	126
30	صالح حمـــادي	34
31	طرفة بن العبـــد	42
32	عامـــــــر	5، 6، 7، 9، 60
33	العامر (اسم جن)	85
34	عامر بن زغبـــة	5
35	عبد الرحمان	9
36	عبد الرحمان الجيلالي	60
37	عبد القادر	9
38	عبد الملك مرتاض	49
39	عبد النار (اسم جن)	83، 84
40	العبـــــري (اسم جن)	82
41	عزرائيـــــل	92 ، 93
42	العفريت (اسم جن)	82 ، 83
43	عمر بن الخطاب	93
44	عمرو بن يربـــوع	86

فهرس أسماء الاعـــلام

مسلسل	الاســـم	الصفحـــــة
45	عمروذي الادعار	86
46	الغراب	27، 28، 29، 81
47	الغـــزال	150
48	قسطاديوي محمد	28
49	القرطبي	30
50	كلوزل	9
51	مســعودة	171
52	المسعودي	75، 99
53	م صـالـــح	79
54	مصطفى بن براهيم	7، 10، 83
55	م العيـــد	65
56	م قـــويدر	101
57	مهـــاجـي	7
58	مـــوسى	123
59	ميـــمون	7
60	نائلة (صنم)	33
61	الهدهـــد	28، 150، 151، 152
62	ياما (اله الموت)	59
63	يغمـراسن	5
64	يـــو (من الالهة اليونانية)	34
65	يـــوب	7
66	يوسف بن محمد	84

الفهـــــرس

مقـــــدمـــة .....

مـــدخـــــــل : المعطيات الجغرافية والتاريخية لمنطقة بلعباس 2

الباب الاول : أولية الاعتقاد الشعبي ومصادره 12

الفصل الاول : الطقـــوس الاسطـــورية 14

تعريف الأسطورة ـ الأسطـورة والديـن ـ نشأة الإعتقاد وبنيـة العقل البدائي ـ التفكير الأسطوري وبنية العقـــل الشعبي ـ بقايا معتقدات تقديس الشمس ـ معتقدات المسخ (الغراب ، البومـة) ـ بقايا معتقدات تقديـس الثـــور ـ الإحتفـال بالنّايـر ـ طقوس الموت في الفكر الشعبـــــي ـ دلالة العدد في المعتقد الشعبي .

الفصل الثاني : الطقـوس السحـرية 51

الأسطورة والسحـر ـ الطـوطـم : أ ـ البعد السحري للوشم ـ ب ـ البعد الاجتماعي ـ ت ـ البعد الجمالـي ـ ث ـ البعـد الجنسي ـ ج ـ البعـد السياسي ـ الوشامـــون .

الباب الثاني : الكائنات الخفية وأثرها في تشكيل فلسفة المعتقدات الشعبية 71

الفصل الأول : صورة الجن والملائكة في المعتقد الشعبي 73

مصادر صورة الجن ـ أ ـ المعتقد الاسلامي ـ ب المعتقد الجاهلي ت ـ المعتقد الفارسي ـ صورة الجن في المعتقد الشعبي ـ نشأة الجن ـ أنواع الجن وأماكن انتشارها ـ الزواج من السعالى في المعتقد الشعبي ـ معتقدات عامة حول صرع الجن للانس وعلاجه ـ معتقدات عامة حول الجن . صورة الملائكة في المعتقد الشعبـي أنواع الملائكة (جبرائيل ، عزرائيل) معتقدات عامة حول الملائكة ـ الملائكة و الطفـــل ـ الملائكة وليلـة القدر ـ

الفصل الثاني : صورة الغول والأرواح في المعتقد الشعبي 98

صورة الغول في المعتقد الشعبي ـ الأرواح والأشباح ـ أرواح الموتى ـ الأخت ـ القرينة ـ "عروسة السمـا" ـ تحضير الأرواح ـ كيفية تحضير الأرواح ـ .

الباب الثالث : الممارسات السحرية 119

الفصل الأول : الظاهرة السحرية 121

مفهوم السحر في اللغة العربية - مفهوم السحر في الاسلام
المفهوم الأنثربولوجي للسحر - مفاهيم مرتبطة بالسحر
أ - الكهانة - ب - العرافة - ت - التنجيم
ث - التطير و العيافة و الزجر - أنواع السحر - السحر
الرسمي و السحر الشعبي - السحر التشاكلي و السحر
الاتصالي - السحر الأبيض و السحر الأسود - أقسام
السحر عند فخر الدين الرازي .

الفصل الثاني : أركان العملية السحرية 142

أ - الكلمة السحرية - ب - المادة السحرية
ت - المشتغلون بالسحر .

الفصل الثالث : أغراض الممارسة السحرية 166

في الحب - في الزواج - الدلالة السحرية و الرمزية
للماء و البيض و السكر - في الربيط - كيفية حل المربوط في
المعتقد الشعبي - في العين - ممارسات سحرية
لرد العين - في كشف الكنوز - في استطلاع الغيب -

الباب الرابع : الأولياء 192

الفصل الاول : تقديس الاولياء 193

مفهوم الأولياء في المعتقد الشعبي - نشأة الاعتقاد
في الأولياء - الموقع الجغرافي للقبب - وصف أضرحة
و قبب الأولياء - كرامات الأولياء - الزيارة - طقوس
الزيارة -

الفصل الثاني : نماذج من سير أولياء المنطقة 223

سيدي يوسف - سيدي زواوي - سيدي معاشو - سيدي عبد
القادر .

خـاتمـة 237
ملحـــق 241
قائمة المصادر والمراجـع 262
فهرســـت الرواة 272
فهرســـت الأعـــلام 273
1 ـ للأمكنـــة 273
2 ـ للرجال والنساء 275
فهرست الموضـوعات 278